العطر والطيب

علي محمد سلام

الدار الثقافية للنشر

إهـــــــداء2005

الباحث/ علي محمد علي سلام
جمهورية مصر العربية



علي محمد سلام

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : العطر والطيب
AL Atr wa AL Teeb

المؤلف : علي محمد سلام
ALi M. Sallam

17 X 24سم . 272ص
17 x 24 cm.272 p.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 17511 /2004
ISBN: 977 - 339 - 151 - 5

اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

الطبعـــة الأولـــى

1426هـ / 2005م

الدار الثقافية للنشر - القاهرة
ص. ب. 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4035694 ـ 4172769
Email: nassar@hotmail.com

تقديم

الطيب نعمة الطيبات التى أسبغها الله سبحانه وتعالى على عباده، لأنه متعة الروح، ولذة الحس، ينعش البدن، ويفرح الفؤاد، يملك على الإنسان مشاعره، ويأخذ بمجامع قلبه، وفوق ذلك يزيد العقل، لما يرويه جعفر بن محمد عن الرسول {ﷺ}: "ما طابت رائحة عبد إلا زاد عقله"[1].

ومن خصائص الطيب أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر منه، والأرواح الطيبة تحب الروائح الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الكريهة، وكل تميل إلى ما يناسبها[2]، وتتقبل حواس الإنسان ما يتصل بها مما طبعت عليه، فنجد العين تألف المرأى الحسن، وتتقذى من المرأى القبيح، والأذن تشنف بالصوت الرقيق الساكن، وتتأذى بالصخب الجهير الهادر، والفم يلتذ بالمذاق الحلو، ويمج البشع المر، والأنف يقبل المشم الطيب، وينفر من المنتن الخبيث، فكل مخصص لما خلق، قال أبو الوليد البحتري:

كالعين منهومة بالحسن تطلبه والأنف يطلب أعلي منتهى الطيب[3]

وقد شغفت بالعطر والطيب حباً منذ حداثتي،وكنت أنشد الظفر بقنينة صغيرة منه، فأنفق في ذلك مصروفي المحدود، وقد ظل عهدي مقيماً على ذلك الحب لكل ما هو معطر فواح من الأراييج الطيبة، ولأي شذي عطر من زهر نضر، أو عبير أخاذ يتضوع من فاغم الرياحين، مما يأخذ الألباب، ويستهوي

---

١) أبو حنيفة النعمان، دعائم الإسلام، تحقيق أصف بن علي أصغر فيضي -جزءين- دار المعارف ١٩٦٣، ج٢ ص ١٦٣.

(٢) ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق ومحمود فرج العقدة، عيسى البابى الحلبي، ١٩٨٠، ص ٢٥١.

(٣) ديوان البحتري: شرح وتحقيق حسن كامل الصيرفي، خمسة مجلدات، دار المعارف، ط٣، ج١، ص ٩٧.

النفوس،ويجذب الأرواح، ثم تمكن عشق الطيب والعطر من نفسى، ومضى قطار العمر، وزادت معارفي، فرغبت في تأصيل هذا الحب الذي همت به، بدراسة علمية خاصة، لعلي أؤكد فضل هذه النعمة في حياة البشر.

فهذه الدراسة طاقة من الزهر العطر، قطفتها من رياض المعرفة، والتقطتها من جعبة التاريخ، وجؤن العطارين، ضروباً وألواناً من الحكايات والأخبار، والنوادر والأشعار، والموضوع طيب الأرج، عبق النشر، فواح العطر، ضائع الشذى، وكيف لا يكون كذلك؟! وهو عن الطيب، متعة الروح والوجدان، ومحبوب الملائكة..

القاهرة فى ٧ من شوال ١٤٢٥ هـ

الموافق ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٤

علي محمد سلام

الباب الأول

دواعي التطيب

الفصل الأول : الفطرة الإنسانية.

الفصل الثانى : العقائد والتقاليد.

- ♠ أولاً : الطيب فى الحضارات الوثنية.
- ♠ ثانياً : الطيب عند اليهود.
- ♠ ثالثاً : الطيب عند المسيحيين.
- ♠ رابعاً : الطيب في الحضارة الإسلامية.
- ♠ خامساً : الطيب في الحضارات الحديثة.

الفصل الأول

الفطرة الإنسانية

الرائحة

يصعب وضع تعريف للرائحة، وكل ما يمكن التعبير عنها هو: ما ينقله عصب الشم من إحساس للمادة المراد شمها، وذلك عن طريق أعصاب الرائحة الموجودة في خلايا الغشاء المخاطي المبطن للأنف، ومازال موضوع التمييز بين الروائح المختلفة، أمراً يكتنفه الغموض، يتغير تبعاً للحالة النفسية للإنسان، حيث إن هذه الرائحة مقبولة أو غير مقبولة، وحتى هذا أمر تقديري، يتغير تبعاً للحالة النفسية للإنسان، حيث إن الجائع يميز رائحة الطعام ويلذه، بينما الشبعان لا تؤثر فيه وعلى الرغم من وجود وحدات خاصة لقياس شدة الضوء وأخرى لقياس شدة الصوت، إلا أنه لا توجد الوسيلة التي تصلح لقياس شدة الرائحة وتعيين مقدارها[1].

الشم حاسة كيميائية

تعتبر حاسة الشم مفتاح الحواس الخمس وأهمها على الإطلاق، فبينما يمكن غض البصر أو إغلاق العينين، وسد الأذنين بلا أية مشاكل، فإن الإنسان لا يملك سد أنفه للحظات وإلا انقطع نفسه ومات، وتعتمد هذه الحاسة على فكرة ذوبان الأبخرة والغازات في الغشاء المخاطي المبطن للأنف، الذي يجب أن يستمر سليماً حيث إنه عندما يصاب الإنسان بنزلة برد، ينتفخ ذلك الغشاء ويحول دون وصول الرائحة إلى خلايا الشم داخل الأنف، فلا يشعر بنكهة الشواء أو السمك المقلي، ويحس أن الفلفل والقرفة والقهوة —رغم نفاذتها— عديمة الرائحة، ويتخذ دخان السجائر طعم ورائحة الشياط، ولذلك فهي حاسة كيميائية، والحرمان من حاسة الشم عجز كبير في الإنسان، حتى إنه يتداول لدى العامة من الناس: إن الوصف بإنعدام الإحساس بالشم نقيصة خطيرة، وسبة مشينة.

---

(١) محمد فهمي الفولي، العطور، مكتبة الأنجلو، ص ١٩.

الشم والذوق

الأنف عضو الشم أدق حساسية من اللسان عضو التذوق، وما يعتبر إحساساً بالتذوق هو — من قبل– إحساس بالشم، وعملية تناولنا للطعام عملية مزدوجة، فعند خلط الطعام بلعاب الفم تتصاعد منه الأبخرة الطيارة وتتجه إلى مؤخرة الأنف من الداخل، حيث تتلامس هذه الأبخرة مع نهايات الأعصاب فى منطقة الشم، وبذلك لا نتذوق الطعام فقط، بل نشمه كذلك أثناء عملية المضغ[1]. ونحن نتعرف على الطعام الجيد بالشم أو لا فنقبل عليه بالهناء والشفاء، ونلقي بالفاسد متغير الرائحة ولا نقربه، والشخص العادي يمكنه تمييز نقطة فانيليا مذابة في مليون نقطة ماء، ولكن اللسان لا يميز إلا مذاقات أربعة: الحلو والمر والحامض والملح، ولولا دقة تمييز الرائحة بالأنف لأصبح كل ما نأكله شيئاً بلا طعم.

بين الإنسان والحيوان

كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل وفضله على جميع المخلوقات، وجعله يرى ويميز الألوان، ويسمع ويفرق بين الأصوات والذبذبات المختلفة، ويشم ويفرق بين الروائح والعطور، كما اقتضت الحكمة الإلهية تميز الحيوان على الإنسان بقوة حاسة الشم، والقدرة الفائقة على تمييز الرائحة لملاءمة الحياة في بيئة الغابات والأحراش، وحيث يلاحظ كبر حجم حاسة الشم بمخ الحيوان أكثر عشرة أمثال حجمها فى مخ الإنسان، وهناك بعض ملايين جزء في الجرام، بينما يحتال الإنسان على إدراك الرائحة بالتسخين تارة، وبالحك وتصغير الأجزاء تارة أخرى، وتلعب حاسة الشم دوراً رئيسياً، في حياة الغابة حيث يشتد الصراع الرهيب بين الحيوانات المفترسة والفرائس، من ناحية، وصيادي الأدغال من ناحية أخرى، الذين لا يجب تواجدهم في مهب الريح، حتى لا تحمل رائحتهم إلى الحيوانات آكلة العشب: كالوعول والغزلان والزراف والأرانب فتلوذ بالفرار، أو تشم رائحته الوحوش المفترسة: كالأسود والفهود والنمور فتتأهب للهجوم والافتراس، ومن المعروف أن الكلاب البوليسية تتمتع بحاسة شم قوية تجعلها —بعد التدريب– تقتفي أثر الجناة والمجرمين بمجرد شم أي شيء من متعلقاتهم، ويذكر أن

---

(١) دكتور أحمد مدحت سلام، لغة الكيمياء عند الكائنات الحية، عالم المعرفة ٩٣، سبتمبر ١٩٨٥.

الفيل يشم رائحة الإنسان على بعد نصف كيلو متر، كما تتواصل بعض الحيوانات عن طريق الرائحة مثل ذكور الببر وعامة ذكور فصيلة السنوريات حدود مقاطعتها بالتبول عند تلك الحدود، وتعلم من رائحة البول من ذكور الببر الأخرى، أن هذه المقاطعة يحتلها ذكر آخر من نوعها[1].

الرائحة والفرمون

عرفنا الرائحة بأنها ما ينقله عصب الشم من إحساس المادة المراد شمها إلى المخ، أما الفرمون فلغة خفية أو رسالة صامتة تتكون مفرداتها من مواد كيماوية أطلق عليها العلماء اسم "فرمونات"، وبدأ ظهور كلمة الفرمون عام ١٩٥٠، من الكلمتين اليونانيتين: " pherine & hormone وتعني "حامل الإثارة"، ويفرزها الكائن الحي، للتأثير على سلوك كائن آخر، من نفس الجنس والفصيلة، وتجدر الإشارة إلى أنه ليست كل الروائح "فرمونات"، فالإنسان يتعرف على العديد من الروائح في الطعام مثلاً ولكنه لا يتخاطب أو يتفاهم من خلال هذه الروائح، ويقتصر الباحثون استخدام كلمة " فرمون" على وصف الرسائل الكيماوية المتبادلة بين حيوان من السلالة نفسها. وعليه فقد توصف رائحة بأنها "فرمون" بالنسبة إلى حيوان معين، بينما تكون مجرد رائحة بالنسبة لحيوان آخر.

ومن أمثلة تلك المواد:

"مواد الأثر" التى يستخدمها النمل لتحديد اتجاهات سيره وحركاته داخل كهوف المستعمرة المظلمة تحت الأرض وخارجها، حيث نجد أن النمل يتميز برائحة خاصة تدل على العش الذى ينتمي إليه، والوظيفة التي تؤديها كل نملة في هذا العش حيث يتم إنتاج هذه الفرمونات من غدة قرب الشرج، وحينما تلتقي نملتان فإنهما تستخدمان قرون الاستشعار، وهي الأعضاء الخاصة بالشم، لتعرف الواحدة الأخرى.

و"مواد الإنذار" التي تطلقها حشرات أخرى مثل النحل للإنذار بوقوع خطر على الخلية، وقد لوحظ أنه عند تدخل أحد الغرباء في مملكة النحل تبدأ الشغالات القريبة بالتصدي له في الحال، وتهاجمه ولدغه بعنف حتى يموت، والشيء المدهش أن مئات الشغالات الأخرى تأتي من كل صوب وحدب وتستمر في لدغ العدو بنفس القوة حتى لو

(١) الدكتور على عبد الواحد وافي، غرائب النظم والتقاليد والعادات، مكتبة نهضة مصر، جزء٢، ص ١٤٣.

كان قد مات من أول لدغة، والأعجب أن الشغالات الأولى التي تقوم بمهاجمة الدخيل تفعل أمرين في وقت واحد، تضع السم في جسده عند لدغه، كما تضع قدراً ضئيلاً من إفراز خاص له قدرة اجتذاب مئات من الشغالات.

و"جاذبات الجنس" التي تطلقها الإناث لجذب ذكور الحشرات، حيث تطلق ملكة النحل مادة من حمض كيتوني لاجتذاب الذكور أثناء طيران العرس، أو مادة "البومبيكول" التي تفرزها فراشة دودة الحرير، أو مادة "الجيبلور" التي تفرزها فراشة الجيبسي.

وقد اهتم العلماء بالمواد الجاذبة للجنس لأغراض إقتصادية بحتة، والاستفادة منها في القضاء على بعض أنواع الحشرات الضارة بالمحاصيل الزراعية، أو استخدامها على الأقل في السيطرة على تكاثرها والحد من انتشارها والتقليل من أضرارها[1].

الفطرة والغريزة

الفطرة في اللغة تعني الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه، والصفة التي يتصف بها في أول زمان خلقته، وهي الطبيعة الجسيمة والنفسية التي يخلق بها الإنسان، إذ يولد في الدنيا وتولد معه الغرائز والأحاسيس والعواطف، وخلق الله تعالى الغرائز في الإنسان والحيوان، وهي فطرية في رأي المحققين، وإن كان البعض يرى أنها مكتسبة من أثر عادات ثابتة، والمهم أن في الإنسان غرائز كثيرة أوجدها الله تعالى فيه ليستطيع أن يعيش، ويحفظ نفسه، ويبقى نسله. ومن أهم تلك الغرائز التي تتنازع الإنسان:

١- غريزة المحافظة على الحياة، والتي تدفعه إلى البحث عن الطعام لحفظ كيانه، وحتى يقبل الطعام ويلذ، تؤدي الرائحة دوراً مهماً، ويقسم علماء الفسيولوجيا، المواد الغذائية إلى نوعين: مواد عديمة الرائحة، وأخرى ذات رائحة قوية بما فيها من زيوت عطرية، وحتى نجعل الأولى مقبولة نضيف إليها عند الطبخ مشهيات مثل التوابل حتى تفتح الشهية عند تناولها.

(١) دكتور أحمد مدحت سلام، لغة الكيمياء عند الكائنات الحية، عالم المعرفة ٩٣، سبتمبر ١٩٨٥،

٢- الغريزة الجنسية وهي حب التناسل للمحافظة على النوع الإنساني، ويتولد منها:

- الاتصال الجسماني أو الميل الجنسي بين الزوجين.
- العلاقة الروحية أو النفسية بين الزوجين.
- الزوجية أو إنجاب الذرية[1].

ومن أهم وظائف الروائح أنها تبعث وتحافظ على إحياء المحافظة على غريزة حب التناسل، وتأثيراتها بالحالات المختلفة من التنشيط والإنتعاش وتهدئة الأعصاب، ومن ثم سارع صناع العطور إلى تخليق تركيبات عطرية تتفق وهذه الأغراض.

تقسيم الروائح

وتقسم الروائح من حيث الباعث على التعطر والتأثير النفسي على الإنسان إلى شعب أربع: مثيرة، مخدرة، منشطة، غير مثيرة.

- **فرائحة الشعبة غير المثيرة:** تجمع أصول زيوت الأزهار المختلفة والصموغ والبلسميات، العنبر، المسك، والقاسطورة، والياسمين، والمواد النعناعية، ومن أهم وظائفها عزل الروائح غير المرغوب فيها كروائح الملابس والغذاء والأجسام، حيث تغطي على الروائح الأخرى، ومن خصائصها سرعة تبخرها، ويطلق عليها الشعبة الحمضية.
- ورائحة الشعبة المثيرة أنها تضاد الشعبة السابقة، وتتكون من الروائح الحيوانية والروائح المماثلة كالدهنية الشمعية والتي تشبه رائحة العرق، والروائح العفنة ويطلق عليها الشعبة القاعدية، ويدخل في تركيبها: العنبر والمسك والتونكين والياسمين، وتأثيرها أنها دافع على الحب والسرور ومنشطة للجنس، وعندما تضاف إلى روائح الشعب الأخرى: مثل رائحة الشعبة المخدرة تكون مهدئة، وعندما تضاف رائحة الشعبة المنشطة تكون منعشة.
- **رائحة الشعبة المنشطة:** تجمع أنواع روائح النباتات كل أجزاء النبات عدا الأزهار: البذور والجذور والأوراق، والتوابل (البهارات)، الأعشاب، الروائح الفينولية، رائحة طحلب البلوط، وتعرف بالشعبة المرة، وتمتاز الرائحة بأنها منعشة ومنشطة ومغرية، تثير حس الغريزة.

---

(١) محمد فهمي الفولي، العطور، مكتبة الأنجلو، ص ٤٢.

- **رائحة الشعبة المخدرة:** وتجمع أنواع الروائح التربنتينية، والكافور، الأصماغ، زيت الورد، زيت البنفسج، زيت البرجاموت، ويطلق عليها الروائح الحلوة المضادة للروائح المنشطة، ومن خواصها إضعاف أو تقليل خاصية التفكير لأنها مهدئة مخدرة ومنومة ومسكرة[1].

الرائحة الذاتية:

تتكون الرائحة الذاتية لجسم الإنسان من: **رائحة الجلد، ورائحة الفتحات.**

فرائحة الجلد الأملس النظيف مثل كف اليد وكف الرجل لا رائحة لهما لعدم وجود شعر بهما.

ورائحة الفتحات مثل: العين والأنف والفم لا تشع رائحة فى حالة النظافة والصحة، بينما تظهر الرائحة من هذه الفتحات عند المرض أو عدم النظافة، أو نوع الطعام الذي يتناوله الإنسان، حتى إننا نجد نهاية المصران (المستقيم) إذا كان نظيفاً فلا رائحة له إلا إذا علقت به آثار البراز، والجلد والفتحات التي بها شعر مثل: شعر الرأس، وشعر الذقن، وشعر الإبط، وشعر العانة، لما رائحة خاصة قوية من حيث إثارة الجنس، حيث تفرز هرمونات خاصة، ومع وجود الشعر الذي يساعد على إشغاع وتبخير الرائحة.

وتتوقف رائحة الجسم على الملابس، فالصوفية تزيد حرارة الجسم فتزيد تميز الرائحة، والقطنية تحبس بعض الرائحة.

وعموماً نجد أن مواد الرائحة المثيرة في جسم الإنسان، يمكن أن نعبر عنها بأنها هرمونات تتولد في غدد دهنية تحت الشعر، وظيفتها الإثارة الجنسية، وهي هرمونات خارجية خاصة بالفتحات والشعر، بخلاف الهرمونات الداخلية ذات الوظائف الأخرى[2].

بصمة الرائحة

لكل إنسان بصمة لرائحته المميزة التي ينفرد بها وحده دون سائر البشر أجمعين والأية تدل على ذلك قال الله {تعالى} على لسان يعقوب {عليه السلام} :

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ {يوسف: ٩٤}

---

(١) محمد فهمي الفولي، العطور، مكتبة الأنجلو، ص ١٠٦.

(٢) محمد فهمي الفولي، العطور، مكتبة الأنجلو، ص ٢٣.

إننا نجد فى هذه الآية تأكيداً لبصمة رائحة سيدنا يوسف التي تميِّزه عن كل البشر، واستغلت هذه الصفة المميزة أو البصمة في تتبع آثار أي شخص معين، وذلك باستغلالها، مثل كلاب "الوولف" التي تستطيع بعد شمٍّ ملابس إنسان معيَّن أن تخرجه من بين آلاف البشر.

و"**بصمة الرائحة**" التي يمكن تعقبها وحدها أو بين روائح أخرى في الوقت الراهن أو حتى بعد عشر سنوات "هي جزيئات يخلفها أي واحد منا في المكان الذي يمر به، فكل كائن بشري يمتلك رائحة محددة مختلفة عن رائحة الآخرين، ويتم الكشف عن هوية مجرم من خلال الرائحة المنبعثة من جسمه تماماً كما يحصل مع بصمات اليد بفضل "علم تعقب الرائحة" الذي وضع قبل حوالي ١٥ عاماً في أوروبا الشرقية في المجر خصوصاً حيث باتت السلطة القضائية العليا في فرنسا تعتمد هذه التقنية كعنصر بين الأدلة المختلفة، وتم اختبارها بعد سنتين من دراسات أجرتها الشرطة الفنية والعلمية (بي تي اس)"[1].

---

(١) دكتور أحمد مدحت إسلام، لغة الكيمياء عند الكائنات الحية، عالم المعرفة ٩٣، سبتمبر ١٩٨٥.

الفصل الثاني

العطر والطيب في العقائد والتقاليد

عرف الإنسان العطر والطيب منذ زمن بعيد، واستخدم الأعشاب العطرية والبخور فى المناسبات الدينية عندما استلزمت بعض الطقوش والشعائر أن يملأ البخور أرجاء المعبد أو الهيكل أثناء الصلوات، وأن يُضمَّخ تمثال المعبود بأفضل أنواع الطيب والعطور، ودخلت عناصر الطيب في تحنيط جثث الملوك والآلهة القدماء، وكان إطلاق البخور خلال المراسم الجنائزية أمراً ضرورياً، وتقرُّب عُباد الوثن إلى آلهتهم بقرابين كان لها المقام الأول في تلك العقائد، وكان من بين هذه القرابين والتقدمات أصناف العطر والطيب، وغسل الهنود معبوداتهم -من البقر- بالعطور وغذُّوا النار المقدسة -عندهم- بالزيوت العطرية خلال حفلات الزواج، واستعملوا أخشاب الصندل العطرة في حرق جثث موتاهم.

ومن ناحية أخرى أُعتبر العطر والطيب منذ القدم رمزاً للأناقة والنظافة، وعلامة للزينة والترف عند كافة الشعوب، ولم يقتصر الأمر في الزينة على المرأة فقط،بل وضع الرجل المساحيق على وجهه، وتطيب وتعطر وتأطر، وبلغ الاهتمام بزينة العروس وطيبها مبلغاً عظيماً، وتأكدت أهمية عنصر الطيب بين عناصر جهاز العروس، وفاح شذا أفضل الطيب من المسك والعنبر والعود في حفلات الزواج، وعبق في مجالس الملوك والأمراء، والسادة من بني العلياء وطُيِّبت مواكبهم وموائدهم، ولا يزال الطيب من أحب متطلبات الناس، رغم تنوع العادات والتقاليد عند مختلف الأجناس، ونعرض فيما يلي قصة الطيب على مدى الحضارات الإنسانية المتعاقبة حتى العصر الحديث، ودوره في العقائد الوثنية، والأديان السماوية، وكذلك ما اعتاده الناس في حياتهم اليومية وتقاليدهم.

ونبدأ بالحضارات الوثنية في مصر وبابل والهند وسومر وفينيقيا وبلاد الأنباط واليونان والرومان والعرب.

♠ أولاً : الطيب فى الحضارات الوثنية.

١- مصر

تعددت آلهة المصريين القدماء حيث اتخذوها من قوى الطبيعة : كالشمس والقمر والسماء والرياح كما اتخذوا آلهة من الحيوان والطير والنبات، وشيّدوا المعابد العظيمة والهياكل الضخمة، والتي لاتزال شاهدة على عبقريتهم وقدرتهم على المزج بين الدين وكل من العلم والفن، وفي داخل تلك المعابد رفعوا تماثيل الإلَه المعبود وقد توفر له عدد من الكهنة للخدمة، وكانت عقيدتهم تتمثل في حركات طقسية وصلوات وأناشيد وإحراق بخور، وكان التمثال نفسه يُغسل ويُزين ويُمسح بالطيب ويُخضب بالحِنّاء[١].

وعن الحياة الدينية عند قدماء المصريين يقول سليم حسن: "كان الملك هو صاحب الحق الإلَهي في إقامة الشعائر الدينية بوصفه الكاهن الأول، غير أنه كان يُنيب عنه كاهناً كبيراً، ووجب عليه قبل أن يقترب من محراب الإلَه أن يتطهر ويتخلص من كل أقذائه الجسيمة، ويتقدم مُطهّرا – بعبيق البخور– في طريقه إلى الإلّه، ثم يُخرج التمثال من محرابه، ويُحضر صندوق الزينة، ويأخذ في تطهير الإلَه مرة بالماء وأخرى بالبخور، ثم يُلبسه ويُـزيّنه ويعطره بكل نفيس من أنواع العطور، ثم يوضع التمثال ثانية في محرابه، وتتلى أثناء عملية التبخير والتعطير تعويذة خاصة"[٢].

وتذكر بعض المصادر أن عُباد الشمس قي هليوبوليس كانوا يجتمعون في صلواتهم حيث يُحرق العود في الفجر، والمر عند الظهر، والعطر (خيفي) –وكان مكوناً من خليط ستة عشر نباتاً وعشباً عطرياً– عند الغروب[٣].

وعموماً كان للعطور ثلاثة أغراض مميزة في حياة المصريين القدماء، هي:

- قربان للآلهة.
- أساس في عملية التحنيط.
- عنصر من عناصر الزينة اليومية.

---

(١) أندريه ايمار وجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، ص ١٠٦.

(٢) سليم حسن، مصر القديمة، ج٧، ص ٥٩٠ ، ٦٠٣.

(3) W.A. poucher Panfumes, cosmetics saap, chapman Hall, London 8 th editian, 1976 v. II, p.3.

◆ قربان للآلهة (القربان من الطيب).

قامت الصلة بين الإنسان القديم وآلهته – قبل الأديان – على أساس تقديمها للقرابين والنذور، حيث لم ترتق العقيدة عنده في الآلهة، إلى صورة تتفق مع الجلال والعظمة، وقد تصور الإله في صورة مجسدة، يقدم إليه من القرابين مثلما يقدم هدايا الاستعاطاف إلى غيره من بني الإنسان، ومن بين هذه القرابين والتقدمات أصناف العطر والطيب.

وتُظهر نقوش على اللوحة الجرانيتية على صدر تمثال أبي الهول، تمثل الملك تحوتموس الرابع (١٤٠٠ ق.م) وهو يقرب إلى الآلهة قربانا من البخور والزيوت العطرية والأدهنة[1].

كما تمثل نقوشاً أخرى على معبد الكرنك بالأقصر، الملك رمسيس الثاني (١٣٥٠ – ١٢٠٠ ق.م)، وهو يتضرع إلى الإله آمون كي يمنحه النصر في معاركه، وقد قدم إليه ثلاثين ألفاً من الثيران، وجميع ما طابت رائحته من الأعشاب العطرية[2].

◆ أساس في عملية التحنيط (الطيب والتحنيط).

حرص المصريون على حفظ جثث الموتى بالتحنيط، اعتقاداً منهم بخلود النفس فيما وراء الموت، ونقل عن المؤرخ هيرودوت (ت ٥٤ ق.م) وصفه لعملية التحنيط والمواد المستخدمة فيها، مثل: الطيب والصمغ والمر والخيار شمبر ومسحوق النطرون والأسفلت ورغم إحتكار الكهنة لأسرار التحنيط، والأجزاء والنسب للأصناف المستخدمة وبخلهم بهذا العلم، فقد استمرت همة الباحثين والعلماء حتى توصلوا إلى تركيبة خاصة بعملية التحنيط بالاستعانة بمادة السليماني ومسحوق السنديان والملح والقرفة والبخور والقار والكحول والخل والكافور ومواد عطرية مثل: بلسم بيرو والميعة السائلة وزيت جوزة الطيب والخزامة – والصعتر[3].

---

(1) Poucher, IBID, VII, P3.

(٢) أحمد الشحات – سحر العطور – لجنة البيان العربي – ص ٩.

(٣) د. يوليوس جبار، د. لويس ريتر – الطب والتحنيط عند الفراعنة – تعريب أنطون ذكرى ص ١٠٨، ١٥٩.

◆ **عنصر من عناصر الزينة اليومية (زينة المصريين القدماء).**

أولـع المصريون القـدماء بالعطـر طلـبا للتزين والتجمل، وكانت العطور على اختلاف أنـواعها تسـتخدم لـتعطير الأجسـام والثـياب، كمـا كانـت المـنازل تبخـر بالبخور والمر، وسـلكت ملكـات الفراعنة واميراتهـم فـي أمـر زينـتهن وطيـبهن، طريق فاتنات العصور الحديـثة فـي عمـل (الماكـياج)، فالملكـة حتشبسـوت، ومعنى اسمها "زعيمة الجميلات" أحـبت العطـر والطيب وكانت وصيفاتها يُعِدُّون لها الحمام، ويعطرونها ويجملنها بأنواع العطـور ومـواد التجمـيل، ويخططـن حواجـبها بالكحـل، ويرسمن شَرْطة بجوار عين من عينيها لتظهر أكثر إتساعا، ويصبغن أيديها بالحناء[1].

أمـا الملكـة نفرتيتـى، ومعنـى اسمها "الجميلة التى أتت" والتى صار جمالها أسطورة على مر التاريخ، فقد اهتمت بزينتها وطيبها، وكانت تغسل جسدها بالماء المعطر، وتدلك جسـدها الزيتونـى اللامـع بالـزيوت المطيـبة، وتصفف شعرها القصير بالتسريحة المعروفة لهـا، بعـد سـكب العطور النادرة عليه، وتخضب كفيها وقدميها بالحناء، وتعفر أهدابها بالكحـل، وتضـع الأصـباغ علـى وجنتـيها وشفتيها، وتتبخر بخشب الصندل. والصموغ ذات الروائح الذكية[2].

وعُرفَت الملكة الفاتنة كليوباترة بحبها الشديد للعطور، وخاصة الزيوت المعطرة وكانت تعنـى بجمالها وزينتها، وتضميخ جسدها بكل نفيس من أنواع العطور ومواد التجميل[3]، ويسـجل المؤرخـون موكـبها الـرائع للقـاء الحبـيب أنطونيو فى الفُلك المذهب ذى الشراع القرمـزية والمجاديـف الذهبـية، تتحـرك على إيقاع الناى والقيثار، وأعطار الملكة تتضوع علـى ضـفاف النهر، والبخور تنطلق إلى اليمين واليسار من مجامر الفضة والذهب وعندما وصـلت إلى قصرها أمـرت أن تفـرش أرضـيات الغـرف الملكـية بطـبقات مـن أوراق الورد المعطرة[4].

---

(١) ونفريد هولمز – كانت ملكة على مصر – وزارة الثقافة – سلسلة الألف كتاب – ص ٤.

(٢) ونفريد هولمز – نفس المرجع – ص ٧٦.

(٣) ونفريد خولمز – نفس المرجع – ص ٩٦.

(٤) د. حسين فوزى – سندباد عصرى – دار المعارف.

ولم يكن ذلك الاهتمام بالعطر والطيب حال الملكات والأميرات فقط، بل شمل عوام النساء المصريات، ويوصى حكيمهم بضرورة إكرام المرأة والاهتمام بأمر زينتها وعطرها: "إذا كنت عاقلا فأوجد تموين بيتك، واحب امرأتك، ولا تشاحنها، وغذها، وزيّنها، وعطّرها، ومتّعها ما حييت"[1].

وعموما كان النساء فى مصر القديمة، يكثرن من استخدام العطر، ويصففن الشعر، ويخصصن أماكن فى وسط الرأس لوضع المزيد من العطر، ويلبسن حول رقابهن عقودا من زهور اللوتس الزرقاء المفضلة لجمالها وطيب رائحتها، كما كن يضفين على أنفسهن من مظاهر الحسن والجمال فنونا مثل: طلاء الشفاه والخدوذ باللون الأحمر، وصبغ أظافر اليدين والقدمين بطلاء أصفرَ ضارب للحمرة، وتزجيج الحواجب، وتحديد الرموش، ورسم الخطوط تحت العينين وبجوارها، وكن يقضين الساعات الطوال أمام المرايا المصنوعة من المعادن المصقولة يتزين ويتطيبن[2].

وقد شارك كثير من الرجال نساءهم فى استخدام العطر والطيب طلبا للتجمل والتزين، وقد وجدت فى قبر الملك توت عنخ آمون — حينما اكتشفه الأثرى (هوارد كارتر) فى ١٩٢٣ — قوارير لا تزال تحمل طيب العطر منذ وفاة الملك توت (١٣٥٠ ق.م)، وقد ظل شذاها طيبا على مر القرون، مما يحار فيه علماء الكيمياء فى عصرنا، وقد حُفِظَت فى أوان نفيسة من المرمر والألباستر والديورانت وغيرها من الأحجار القيمة، وتضم دار الآثار المصرية بالقاهرة كميات من أدوات الزينة، وصناديق الأدهان المعظرة، والأصباغ، باقية فى أنابيبها حتى يومنا هذا[3].

---

(١) محمد أحمد السباعى – المرأة بين التبرج والتحجب– مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر– ١٩٨١ – ص ١٣.

(٢) أحمد الشحات – سحر العطور – ص ١٠.

(٣) ول ديورانت – قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران وآخرون– الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ج ٢، ص ١٠٢.

٢- سومر

نشأت حضارة السومريين جنوبى العراق، وازدهرت ٥٠٠٠ق.م، وانتهت مع نهضة حامورابى وتأسيس بابل، وكانت نساء الطبقة العليا منهن يحيين حياة مترفة، فالأدهان والأصباغ والجواهر كانت من أظهر العادات التى اكتشفت فى المقابر السومرية، وقد وجد فى قبر الملكة (شوب – آد). مدهنة صغيرة من دهنج أزرق مشرب بخضرة، ودبابيس من الذهب رؤوسها من اللازورد، كما عثر على مثبتة عليها قشرة من الذهب المخرم، لا يزيد حجمها على حجم الخنصر، وبداخلها ملعقة صغيرة كانت تستخدم فى أخذ الصبغة الحمراء من المدهنة، ووجدت أيضا عصا معدنية يستعان بها فى ملوسة الجلد، وملقط لعله كان يستعمل فى تزجيج الحاجبين أو نزع الشعر غير المرغوب فيه[١].

٣- الأنباط

قامت دولة الأنباط على أطراف منطقة فلسطين، فى القرن الخامس قبل الميلاد، واتخذت مدينة البتراء عاصمة لهم[٢]، ويتجه كثير من العلماء إلى أن الموطن الأصلى للأنباط هو بلاد العرب، بل يرى البعض أنهم أقرب إلى قريش والقبائل الحجازية[٣] وأغلب ثروتهم كانت من الإتجار بالأطياب والمر وغيرها من العطريات، والتى كانوا يحملونها من اليمن وغيرها إلى مصر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط، ولم تكن تمر تجارة فى أيامهم من الشرق والغرب إلا على أيديهم[٤].

٤- بابل

ظهرت الحضارة البابلية (٢١٠٠ ق.م) جنوب بلاد ما بين الرافدين، وكانت الطقوس والصلوات تقام للإله (مزدك)، وتقدم له القرابين وسط الأزاهير وأدخنة البخور المنتقى وسيول من أصناف العطور، كما كانت الأصنام تطلى بالزيوت المعطرة، وتلبس أغلى الثياب، وتزين بأثمن الجواهر[٥].

---

(١) ول ديورانت – قصة الحضارة – ج ٢ ص ٣٣.

الدهنج مثل جعفر، جوهر كالزمرد (لسان العرب – ج٢، ص ١٤٤٨).

المثبتة كيس تضع المرأة فيه مرآتها وأدواتها (لسان العرب – ج ١، ص ٤٧٠).

(٢) د. محمد بيومى مهران – تاريخ العرب العام – جامعة الامام محمد بن سعود – ط ٢ – ١٩٨٠ ص ٤٩٤.

(٣) د. جواد على – المفصل فى تاريخ العرب – ج ٣ ص ١٠.

(٤) جورجى زيدان – العرب قبل الإسلام – دار الهلال – ص ٩٠.

(٥) أندريه ايمار – تاريخ الحضارات العام – ص ١٦٨.

ومن بين القرابين التى كانت تقدم للآلهة عناصر الطيب والبخور، ويذكر أنه قُدّم إلى الإله (بعل)، وكان صنما من الذهب — قرابين من البخور لتحرق فى هيكله، بلغت فى سنة واحدة عشرة آلاف وزنة[1].

ولم يعرف فن التحنيط فى بابل، ولكن قوما منهم احترفوا المراسم الجنائزية، فكانوا يغسلون الجثة ويُلبسُونها أحسن الثياب، ويصبغون خديها، ويسودون جفونها، ويلبسونها جواهرها، كما كانت توضع قوارير العطر والأمشاط واقلام الأدهان والكحل كى تحتفظ المرأة بطيب رائحتها وجمال وجهها فى الدار الآخرة[2].

واعتاد البابليون استخدام الأعواد المعطرة فى العلاج الطبى، والبخور لطرد الشياطين والأرواح الشريرة، والتى اعتقدوها سببا فى الأمراض التى تصيب الإنسان، عقابا على ما يرتكبه من ذنوب[3].

ونقل عن هيرودت، أن البابليين كانوا يكثرون من استهلاك العطر والطيب مع ادوات الزينة، وكانوا يعطرون أجسامهم بأفخر الأنواع، ودهان الوجه بالأصباغ الحمراء (القرمز)، والأصباغ البيضاء (الرصاص الأبيض)، وحك الأنوف بحجر الخفاف لإكسابها النعومة، ودهن الشعر بالزيوت المطيبة، وقد سجل سبقهم فى صناعة الزجاج، ووجد بين آثارهم أوان زجاجية وخزفية ومن الألباستر كانوا يحفظون فيها العطور[4].

٥- فينيقيا

احتل الفينيقيون الشاطئ الشرقى من البحر الأبيض المتوسط، وعاشوا فى المنطقة بين صور وصيدا على الساحل اللبنانى منذ ٢٠٠٠ق.م، وكانوا يتكلمون السامية، وأصبحوا سادة التجارة فى البحر المتوسط دون أن ينافسهم أحد سوى الملاحين اليونانيين، وقد نبغوا فى صناعة الزجاج، واشتهرت عندهم الأوانى الزجاجية والفخارية والنحاسية والمعدنية، وقد أمدوا بها أغلب أقطار العالم القديم، بعد أن عبأوها بأصناف العطر والطيب[5].

---

(١) نقولا زيادة – الجغرافيا والرحلات عند العرب – ص ٢٠٢.

(٢) ول ديورانت – قصة الحضارة – ج ٢، مج١، ص ٢٢٢.

(٣) ول ديوارنت – نفس المرجع – ج ٢، مج١، ص ٢٥٣.

(٤) ول ديوارنت – نفس المرجع – ج٢، مج١، ص ٣١١.

(٥) الموسوعة العربية الميسرة – دار القلم ومؤسسة فرانكلين – القاهرة ١٩٦٥ – ص ١٣٥٧.

٦- الهند

عُرفَت شبه الجزيرة الهندية بوفر النباتات العطرية والتوابل بها، ويُرجِع المسعودى توطن الطيب وتركيزه فى أرض الهند إلى هبوط آدم {عليه السلام} بجزيرة سرنديب، وكان معه ثلاثون صنفا من ورق الجنة وبذرها[1]، وذكر ابن كثير عن السدى: أن آدم نزل ومعه الحجر الأسود، وقبضة من ورق الجنة بثه فى الهند، فنبتت شجرة الطيب هناك[2]

وقد استعمل الهنود العطور والبخور فى منتدياتهم الدينية، ومجالسهم الخاصة، وكانوا يغسلون معبوداتهم من الحيوان مثل البقر بأفضل ما لديهم من عطور، وارّثوا النار المقدسة — التى عبدها المجوس — وغذوها بالزيوت العطرية وأعواد البخور[3].

ومن العادات الهندية التى تعتمد على أصل دينى وعقائدى، حرق جثث الموتى، حيث يقوم براهمة الهندوس بحرق موتاهم فى حفرة قليلة العمق تُملأ بحطيبات من خشب الصندل المعطر، و (زبل) البقر المجفف — الذى يعد وقودا مقدسا — فى الهند، وبعد حرق الجثة يجمع رماد عظام الميت المحترق وتلقى فى النهر[4].

وبلغ من تقدير الهنود للزهور والطيب، انهم فى جنائزهم يجتمعون بروضة البيت صبيحة اليوم الثالث من دفن الميت، وتفرش الروضة بالثياب الرقيقة، ويكسى القبر بالأكسية الفاخرة، وتوضع حوله الرياحين من الورد والنسرين والياسمين[5].

٧- فارس

انتشرت الزرادشتية فى فارس، وقامت على الاعتقاد فى إله برمزين، سماوى وهو الشمس، وأرضى وهو النار، ولذلك حرصوا على أن يوقد فى كل هيكل شعلة من نار تظل مضيئة دوما، حيث يتعهدها الكهان عدة مرات يوميا بوقود من خشب الصندل والأعشاب العطرية، ثم ترتل الأدعية والصلوات حول النار[6].

---

(١) المسعودى – مروج الذهب ومعادن الجوهر – دار الكتب العلمية، ٤ أجزاء – ح ١، ص ٢٤ ص ٢٩.

(٢) ابن كثير – البداية والنهاية – ح١ – ص ٧٤.

(٣) أحمد الشحات – سحر العطور ص ١٦.

أرّث النار: أوقدها وأذكاها (لسان العرب – ح١، ص ٥٧).

(٤) جوستاف لوبون – حضارة الهند – ص ٦٧٤.

(٥) ابن بطوطة – الرحلة – ص ٧٥.

(٦) الآلوسى – بلوغ الأرب – ج٢، ص ٣٥٥.

وقد أغرم الفرس بالورد، وتغنوا به فى أشعارهم، واكتسب الورد الجورى نسبة إلى مدينة (جور) شهرة واسعة فى حمرته الشديدة ورائحته الذكية، وقد ظهرت فى فارس صناعة متقدمة لماء الورد والمياة العطرية لبعض الأزهار، مثل صناعة العطور التى تزدهر الآن فى منطقة الريفيرا بجنوب فرنسا، وكان من عاداتهم أن يتشروا الورد على الأبسطة والسجاجيد الذين تنفوقون فى صناعتها كذلك[١].

واستعملوا الأدهان لتجميل الوجه، والأصباغ الملونة لدهن الجفون، كى يزيدوا بذلك من سعة العيون وبريقها، ومن ثم نشأت عندهم طبقة خاصة من (المزينين) أسماهم اليونان (الكزمتاى) كانوا خبراء فى فن التجميل، وعملهم تجميل الأثرياء، وكان القدماء يعتقدون أنهم هم الذين اخترعوا أدهان التجميل[٢] وكان مذهبهم أن يدهنوا فى عيد النيروز بدهن اللبان تبركا، كما يتهادون فى أعياد المهرجان بالمسك والعنبر والعود[٣].

وكذلك جرت بين ملوك الهند والفرس عادة تبادل الهدايا لتأكيد أواصر العلاقات السياسية بينهم، ومن أفضل الهدايا أصناف الطيب: فقد كانت هدية ملك الهند إلى كسرى أنو شروان ملك الفرس ألف مَنٍّ[*] مِنْ العود الهندى يذوب فى النار كالشمع، ويختم عليه فتبين الكتابة[٤].

وبعث أبرويز هرمز (كسرى الثانى وحفيد أنوشروان) هدية إلى ملك الروم — بعد ما كان بينهما من حروب طوال — وكان من بين ما اشتملت عليه بخلاف الذهب والجواهر والأحجار الكريمة، مائة خاتم من الذهب المرصع بالجوهر ومحشوه مسكا وغنبرا[٥].

٨- اليونان

عرف الأغريق العطور، وأطلقوا عليها (PerFumus) أى (مع الدخان) ما يعنى أن معرفتهم عن العطور جاءت عن طريق حرق الأعواد المطيبة والبخور، مع تصاعد أدخنتها

(١) أحمد الشحا – سحر العطور ص ١٥.

(٢) ول ديورانت – قصة الحضارة – ج٢ ص ٤١١.

(٣) أحمد الشحات – المرجع السابق – ص ١٥.

* المن: ميزان مقداره رطلان وربع.

(٤) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – الكويت – ص٤

(٥) الجاحظ – المحاسن والأضداد – تحقيق فوزى عطوى – الشركة اللبنانية للكتاب – ١٩٦٩ – ٢١٠.

واستنشاقها، وعن أصل العطور، تذكر الأسطورة الاغريقية أن (باريس) البطل اليونانى، قـدَّم إلى (أفروديت) آلهة الحب والجمال، تفاحة الشقاق التى اختلفت عليها الربات فى جـبال الأولـيمب، وقد كافأته أفروديت على ذلك بأن وهبته هيلين (زوجة مينلاوس ملك أسـبرطة) والتـى كانت أجمل إمرأة فى العالم القديم، وقد نشبت حرب طروادة من أجل إنقاذهـا، ويذكـر أن بـاريس نقـل إلى هـيلين سـر العطور، مما أعانها على إكتساب ذلك الجمال الآخَّاذ الذى اشتهرت به[1].

وأشـار هـوميروس، أعظـم شـعراء الـيونان (ت ٨ ق.م) فى الإلياذة والأوديسا إلى زينة (هيرا) إلهة الزواج وزوجة (زيوس) كبير آلهة الأوليمب، عندما كانت تستحم فى الحمام الملكى، وتصب على جسدها زيوتا عطرية ذات أرج طيب[2].

وكـان لنسـاء الـيونان شـأن خاص مع العطر، حتى تعددت أصنافه كثرة، فكان لكل سـيدة العديد من أدوات التجميل وقنينات العطر وأوانى الأصباغ والأدهان، وفاق الاهتمام كـل حـد، حـيث خُصِصَ لكل عضو من الأعضاء عطر خاص، فكان للوجه والصدر زيت النخيل، وللحاجبين والشعر البرد قوش وللعنق والكتفين خلاصة الصعتر، ولصبغ الخدود والشفاه عصى من السلقون وجذور من الشنجار وتلوين الجفون بالإثمد[3].

وكان (ثيوفراست) "أبو علم النبات قد أعد رسالة عن الروائح زكيها وكريهها والعطور والشمومات، وخاصة ما يشتق من الازهار ومختلف النباتات العطرية، وكيفية استخلاص الـزيوت العطـرية مـنها، وقـد نوه على روائح الحيوان فى فصل التناسل واعتُبر ذلك منه

---

(١) ب. كوملان – الأساطير – ترجمة أحمد رضا محمد رضا – هيئة الكتاب – سلسلة الألف كتاب – ١٩٩٢ – ص ٥٥، ٥٣، ٢٨٠.

باريس: بطل من أبطال رعاة اليونان، أبلى بلاء حسنا فى بعض الحروب، تزوج يونون بنت إله البحر.

(2) Poucher, IBID, VII, P8.

(٣) ول ديورانت – قصة الحضارة – مجـ ٢ – جـ ٧ – ص ٩٠.

البردقوش: أو المرزنجوش ضرب من الرياحين طيب الرائحة، أصله فارسى (مزن كوش) ومعناه آذان الفار

الشنجار: نبات لاصق بالأرض ذو شوك، أحمر اللون، يصبغ اليد إذا مس، يسمى رجل الحمامة

الإثمد: الكحل.

جرأة فى البحث، أعجبت علماء العصر الحديث، حيث أقدم على ما لم يرتاده أحد قبله، من الموضوعات التى لا تزال ظلمة الغموض تكتنفها إلى الآن[1].

وعموما كانت الأزهار محبوبة فى بلاد اليونان، حيث كانت تستنبت فى الحدائق، وتقوم بائعات بالتنقل بين البيوت طوال العام، يبعن الورد والبنفسج والزنبق، لتزين النساء شعورهن بها، ويضعها الشبان المتانقون خلف أذانهم، ويطوق الرجال رقابهم بعقودها فى الأعياد[2].

٩- الرومان

امتاز الرومان بالإفراط فى استخدام العطور، واعتادوا أن يتعطروا بعد الحمام باللاوند، حيث كان جنوب أوروبا هو الموطن الأصلى لنبات الخُزامى أو سنبل الطيب، وكان التجميل من أهم فنون العصر، وكثرت مستلزمات التجميل وألوان العطر كثرتها هذه الأيام، وضاق صوان السيدة الرومانية بما حوى من أدوات الزينة، وعد العطر من أهم ما يتهادى به الرومانيون فى مختلف المناسبات[3].

وهكذا كان للرومان مع العطر والطيب إسراف كبير وترف بالغ، وقد عبر عن ذلك الإسرف فوصِفَت إحدى السيدات كأنها مخازن عطر سائرة، وقيل عن أخريات "إن رؤوسهن يفوح منها رائحة بلاد العرب بأسرها"[4] كناية عما تزخر به بلاد العرب من بخور وعطور.

ولما كان من عادة الرومان حرق الأطياب والبخور فى المآتم، وكثرة استخدامه فى الجنائز، فقد وصف أحد المتأنقين بأنه " يفوح منه الشذا أكثر مما يفوح فى مأتمين".

---

(١) ثيوفراستوس ولد (٣٧٢ ق.م) وعمر ٨٥ عاما، تلميذ أرسطو وخليفته على الليكيوم وهى المدرسة التى أسسها أرسطو، وكانت أيكة مقدسة موقوفة على عبادة الإله أبو للون ليكيوس (الإله الذئب) ومنه اشتق اسم الليكيوم.

جورج سارتون – تاريخ العلم – دار المعارف – جـ ٣، ص ٢٨٧، ١٨٣.

(٢) ول ديورانت – قصة الحضارة – جـ٢، مجـ ٧، ص ١٢٣.

(٣) ول ديورانت – المرجع السابق – جـ٢، مجـ ٣، ص ٣٢٣.

(٤) دائرة معارف البستانى – مادة طيب – ص ٣٧٢.

وقد تغالوا في تقدير كمية البخور الذى أحرق في مراسم جنازة (يوبيا) زوجة الإمبراطور نيرون، بأنها تقدر بأكثر مما تنتجه الجزيرة العربية من البخور خلال سنة وقيل خلال عشر سنوات![1].

وفي القصر الامبراطورى الذهبى، ذكر أن أسقف قاعات الطعام غطيت بألواح عاجية تخفى وراؤها أنابيب من الفضة، تنثر رذاذ أفخر أنواع العطور على رؤوس المدعوين، وفى القاعات الكبرى كانت تطلق أسراب الحمام بعد أن تغمس أجنحتها فى العطر، ثم تطير ناثرة ذلك الرذاذ العطرى فوق الحضور[2].

وتجلّى مظهر احتفالهم بعيد الرعاة أو عيد الباليليات نسبة إلى الإلهة (باليس) يوم ٢١ أبريل من كل عام، والذى يتوافق مع الذكرى السنوية لبناء مدينة روما على أيدى رومولوس، فيبدأ القوم يومهم هذا منذ الصباح الباكر بتطهير أنفسهم بمختلف ألوان العطور، وحتى حظائر المواشى والقطعان تطهر بالماء والكبريت والصنوبر والغار واكليل الجبل (حصالبان)[3].

١٠- بلاد العرب

أُغرم العرب بالطيب فطرة، وتطيبوا بألوان العطر سُنة، وعَدوا التعطر علامة من علامات الفرح والسرور، وتركه علامة من علامات الغم والحزن، وكان لهم غرام خاص بالمسك أطيب الطيب الذى يلائم طقس بلادهم الحار، وفى حياتهم اليومية استوى الرجل والمرأة فى أمر العناية بشعر الرأس ودهنه وتطيبه، بالزيوت العطرية، وقد استخدموا البخور فى تجمير المعابد والأصنام فى جاهليتهم، واعتادوا تبخير الضيوف بأفضل أنواع العود وتطييبهم بالمسك والعنبر، وذلك تعبيرا عن المودة والإكرام[4]، وتعطرت مجالسهم ومنتدياتهم، وفاح من مواكبهم ودعواتهم طيب أرج عطر، وورد ذكر الطيب بألوانه المختلفة فى الشعر باعتباره ديوان العرب، وذخرت به أمثالهم التى تتضمن تجاربهم وحكمهم.

---

(١) دائرة معارف البستانى – مادة (طيب) – ص ٣٧٣.

(٢) موسوعة المعرفة – مجـ ١٩، ص ٣٢٠٧.

(٣) ب. كوملان – الأساطير – ترجمة أحمد رضا محمد رضا– هيئة الكتاب – الألف كتاب– ١٩٩٢ ص ١٣٩.

(٤) د. جواد على – المفصل فى تاريخ العرب – جـ ٦ ص ٤٢٤.

وذُكِرَ أن القافلة التى أخرجت يوسف {عليه السلام} من الجب، كانوا تجار توابل ومر وريحان[1].

وكان للنعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، قافلة حملت التجارة النفيسة من الطيب والبز* إلى سوق عطاظ، عُرِفَت بلطيمة النعمان، وقد بنى النعمان، دير هند — أعظم ديارات الحيرة — ليصلى فيه، وقد علق فى هيكله قناديل من الذهب والفضة، وكانت أدهانه فى أعياده من زئبق وبان وما شاكلهما من الأدهان، وكان يوقد فيه من العود الهندى والعنبر شيئا يجل عن الوصف[2].

وقبل الإسلام كان الطيب على رأس قائمة تجارة قريش، تلك التجارة النفيسة التى اتخذها أشراف مكة مثل أبو طالب (عم النبى صلى الله عليه وسلم)[3]. واشتهرت اليمن بعطورها وجودة بخورها فكان عبد الله بن ربيعة يبعث بعطر اليمن إلى أمه أسماء بنت مخربة (أم عمرو بن هشام) لتبيعه فى مكة ولعل شهرة مكة بعطورها، إنما جاءت من العطور التى كانت تأتى إليها عبر قوافل التجارة من اليمن ومن أماكن أخرى[4].

وذكر أبو عثمان الجاحظ أن "الغلفاء" كان لقباً أطلق على معد يكرب ابن الحارث بن عمرو، أخى شراحبيل بن الحارث، لأنه كان أول من غُلِّف بالمسك، كما كان يُغلِّف أصحابه بالغالية[5].

وكان للعرب عادات وتقاليد ارتبطت بالعطر والطيب، مثل: التطيب قبل الدخول فى الحرب تعاهدا وتناصرا حتى تتأجج الحرب وتشتد، ومن ذلك ما يروى عن حلف المطيبين وعطر منشم، كما اعتادوا تطييب نار القِرى (أجل نيران العرب)، وتخليق القاتل عند القود، وتخليق رأس الوليد يوم العقيقة، وتعبيرهم للطيب فى الرؤيا بالذكر الطيب والخير العظيم.

---

(١) سفر التكوين – الاصحاح ٣٧ – الفقرات ٢٥ – ٣٠.

(٢) الشابستى – الديارات – ص ٢٤٤، ٣٩٨.

* البز: الثياب أو متاع البيت من الثياب (لسان العرب – جـ١، ص ٢٧٤).

(٣) الخوارزمى – جمال الدين أبى بكر – مفيد العلوم ومبيد الهموم – المطبعة العلمية – ١٣١٠هـ ص ١٧٤.

(٤) د. جواد على – المفصل فى تاريخ العرب – جـ٧، ص ٣٠٧.

(٥) الجاحظ – البيان والتبيين – ج٣ – ص١٤.

- حلف المطّيبين

روى عبد الرحمن بن عوف عن الرسول (ﷺ) "شهدت غلاما مع عمومتى حلف المطّيبين، فما يسرنى أن لى حمر النعم وأنى انكثه"[1]. رواه أحمد فى المسند، والحاكم فى المستدرك.

وحكاية هذا الحلف: ولى قصى بن كلاب البيت وأمر مكة، وجمع قومه وتملك عليهم، وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة ودار اللواء، فحاز شرف مكة كلها وسمته قريش مُجمِّعا، ولما كبر قصى - وشَرُف ولده عبد مناف مكان أبيه وذهب كل مذهب - ترك لولده البكر عبد الدار كل ما كان بيده، فتنازع بنو عبد مناف مع بنى عبد الدار وعقد كل منهم على أمرهم حلفاً ألا يتخاذلوا ويسلم بعضهم بعضا وأخرج عبد مناف جفنه مملؤءة طيبا، ووضعوها فى المسجد عند الكعبة لأحلافهم: بنى أسد، وبنى زهرة، وبنى تيم، وبنى الحارث ابن فهد، ثم غمس القوم أيديهم فى الطيب، وتعاقدوا وتعاهدوا، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا (المطيبين)، أما بنو عبد الدار فقد تعاقدوا مع حلفائهم: بنى مخزوم، وبنى جمح، وبنى سهم، وبنى عدى، على منع المطيبين من بغيتهم - وهى أخذ ما جعله قصى لهم فسموا (الأحلاف)، وقالت بنو عدى إنما الطيب لربات الحجال، وأتوا بجفنة فيها دم، فغمسوا أيديهم فيها، وسموا (لعقة الدم)، وبينا الناس على ذلك، قد أجمعوا أمرهم للحرب، إذ تداعو للصلح[2].

- عطر منشم

كنّت العرب عن الحرب بعطر منشم، فقالوا: قد دقوا بينهم عطر منشم، وأشام من عطر منشم، وفى بيان المثل طرق وأقوال كثيرة: أن منشم كانت أمرأة من خزاعة تبيع الحنوط، وكانوا إذا حاربوا اشتروا منها حنوطا لقتلاهم، أنها كانت إمرأة من جرهم،

---

(١) المناوى - مختصر شرح الجامع الصغير - جـ٢ ص ٦٦.

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - تحقيق السقا وأخرين - طبعة مصطفى الحلبى - ١٩٥٥ - جـ١، ص ١٢٤

البلاذرى - أنساب الاشراف - تحقيق محمد حميد الله - معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ودار المعارف جـ١، ص ٥٦

ابن حزام - جمهرة أنساب العرب - تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار المعارف - ص ١٥٨

الحجابة: خدمة الكعبة، السقاية: رى الحجيج من زمزم، الرفادة: الإطعام، الندوة: الاجتماع للمشورة والرأى، اللواء: راية الحرب، الحجال: الستور، والمقصود بربات الحجال: النساء

الحنوط: طيب للموتى ، مراكز جمع وهو وعاء الطيب.

تخرج بقارورة طيب تطيب قومها فى حربهم مع خزاعة، ثم تضرب بالقارورة الأرض فتدقها فلا يتطيب من طيبها أحد إلا قاتل حتى يقتل أو يجرح، وزعموا أن المثل: قد دقوا بينهم عطر منشم، سار فى يوم حليمة التى جعل يومها فى أيام العرب الشهيرة، فقيل: ما يوم حليمة بسر، وكان (أبو حليمة) الحارث بن أبى شمر ملك الشام، قد وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (العراق)، فأخرجت حليمة مركن الطيب تطيب قومها كى تؤجج نار الحرب فى صدورهم،

ثم تقاتلوا حتى تفانوا، وزعم آخرون: أن منشم كانت امرأة دخل بها زوجها فنافرته فدق أنفها، فخرجت إلى أهلها مدماة، فقيل لها: بئس العطر عطر زوجك[1].

وفى كل الأقوال التى رويت، كان عطر منشم شؤما، سار به المثل.

- تطييب نار القِرى

اعتاد العرب إكرام الضيف، والإحتفاء به وتطيبه وإطلاق البخور بين يديه، ونار القِرى هى أجمل نيران العرب، وأعظم مفاخرهم، وأشرف مآثرهم وترفع للسفر، ولمن يلتمس القِرى، فيهتدى بها الضيف إلى المنزل، وكانت توقد على كل مكان مرتفع، وكلما كان موضعها أرفع كانت أفخر، وكانت تُغذى بالمندل الرطب، وهو خشب ذو رائحة طيبة، حتى يشم أرجها وشذاها من مسافة بعيدة حيث تحملها الريح، فيهتدى إليها الكل حتى العميان[2].

- تخليق القاتل عند القود

استخدم العرب الخَلوق قديما فى تطييب من يقاد به، أى من يُقْدِم ليقتل بدلا من القتيل، وآية ذلك أن السيد منهم كان إذا قتل رجلا من غير رهطه، وكان أولياء الدم أعزاء قالوا إما أن يقتلك صاحبنا، وإما أن تدفع إلينا رجلا شريفا من رهطك، نقيده به،

---

(١) على بن حمزة الأصفهانى – الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة – تحقيق عبد المجيد قطامش – دار المعارف جـ١ ص ٢٤٢، الميدانى – مجمع الأمثال – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة عيسى البابى الحلبى – ٣ أجزاء جـ٢، ص ٢٩٢.

نافر: فاخر، مدماة: ملطخة بالدماء.

(٢) الثعالبى – شمار القلوب فى المضاف والمنسوب – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف ص ٥٧٥ د. جواد على – المفصل فى تاريخ العرب – جـ ٦ ص ٧٠٠.

فيُعمد إلى رجل شريف، يلبس أجود الثياب، ويخلق بالطيب، ويزف إليهم، فإن وجدوه كفئاً قتلوه، أو عفوا عنه بعد القدرة، وقد قتل حاجب بن زرارة، مرار بن حنيفة، فقالت قبائل دارم: إما أن تقتد بنفسك، وإما أن تدفع لنا رجلا من رهطك، فأمر فتى من بنى زرارة من عدس أن يصير إليهم حتى يقاد، فلما زين الفتى وخُلِّق، أنشد أخوه:

تَضَمَّخَ بالخلوقِ وجَهَّزُوه لنا جزِ حتفِهِ والسيفُ دامى

وكان كظبيةِ عُتِيرت ضلالاً مكانَ الشاةِ فى الشهرِ الحرامِ

– تخليق رأس المولد يوم العقيقة

وكانت العادة فى الجاهلية قد جرت على تلطيخ رأس المولود بدم العقيقة، وأصل العقيقة هى الشعر على رأس المولود، الذى يُحلق بعد أسبوع ثم يُعَق عنه بذبح شاة، فلما جاء الإسلام جعل يلطخ رأس المولود بالخلوق أو الزعفران بدلا من الدم، وروى عن السيدة عائشة قالت: كانوا فى الجاهلية إذا عقوا عن الصبى خضبوا قطنة بدم العقيقة، فإذا حلقوا رأس الصبى، وضعوها على رأسه، فقال النبى (ﷺ): {**ضعوا مكان الدم خلوقا**}[1] فيدهن رأس الصبى بعد الحلق بالخلوق، يوم الذبح عنه.

– الطيب فى الرؤيا

وفى تعبير الرؤيا وتفسير الأحلام، يؤولون العطر والطيب إلى الفرح والسرور والذكر الطيب، وقد أُثر عن محمد بن سيرين أن تعبير رؤيا المسك فى المنام فرح وسرور، وكذلك تؤول رائحة العود وكل بخور طيب محمود، أما الزعفران فيؤول إلى حال مجموع طيب، ومن صُبِغَ به صار مريضا، والعصفر كذلك[2]

ويذكر صاحب "الاقتناء" أن رجلا أتى الإمام مالك بن أنس فى مسجد الرسول (ﷺ) فسلم عليه واعتنقه وضمه إلى صدره، وحدثه أنه رأى رسول الله (ﷺ) فى الرؤيا وقد طلب مالك وأجلسه وملأ حجره مسكا منثورا، وقال: " ضمه إليك وبثه فى أمتى"، فقال مالك: الرؤيا تسر ولا تضر، وإن صدقت رؤياك، فهو العلم الذى أودعنى الله[3].

---

(١) ابن قدامة – المغنى – مكتبة الرياض الحديثة – ٩ أجزاء – ١٩٨٠ – جـ ٨، ص ٦٤٨، ناصر الألبانى – الأحاديث الصحيحة – المكتب الإسلامى ببيروت – ط٥ – ١٩٨٥، ص ٧٥٢.

(٢) محمد بن سيرين – تعبير الرؤيا الصغير – طبعة مصطفى الحلبى – ١٩٣٦ – ص ٦٣.

(٣) القرطبى – ابو عمر بن يوسف – الإقتناء فى فضائل الأئمة الفقهاء – ص ٣٩.

١١- بيزنطة (٥٦٥ - ١٠٩٥م)

كانـت القسـطنطينية[*]، والتـى أنشـئت موضع مدينة بيزنطة القديمة، وشهدت مجد الامبراطورية البيزنطية وتقلباتها، حتى أصبحت قاصرة على هذه المدينة وضواحيها فقط، وكانـت أكـبر مديـنة فـى أوروبـا فـى العصـور الوسطى. ومن أزهى عصورها القرن العاشر الميلادى، وكان بها ثروة هائلة من الكنوز الفنية والأدبية، وزخرت قصور الأشراف وكبار التجار بكل ما يستطيع ذلك العصر أن يصل إليه من مظاهر الترف والزينة.

ولم تعرف النساء قبل ذلك العهد مساحيق أبهى، ولا عطور أذكى أو جواهر أثمن، أو تصـفيفاً للشـعر أجمل مما عرفته نساء ذلك العصر وكانت النار تبقى متقدة — فى العصور الامبراطورية طوال العام — لتطبخ عليها العطور التى يتطلبها تعطير الملكات والأميرات.

لقـد كانـت القسـطنطينية نفسـها فـى أوج عـزها، تفـوق رومـا القديمة والاسكندرية، وتضـارع بغـداد وقـرطبة المعاصـرتين لهـا فـى التجارة والثروة، والترف والجمال، والرقة والفن، ويذكر أنها كانت تحتوى على ثلثى ثروة العالم كله[1].

---

[*] هى الآن مدينة اسطنبول التركية.

[1] ول ديورانت – قصة الحضارة – جـ٣، مج٤، ١٤، ص ١٦٧ وما بعدها.

♠ ثانياً: الطيب عند اليهود.

احتل العطر والطيب أهمية بالغة فى عقيدة اليهود وعاداتهم، حيث استخدمت الزيوت المطيبة والأدهنة والبخور فى الطقوس والشعائر التى يعتقدون أنها تقربهم إلى الله، ومن بين هذه الطقوس، المسح، والبخور، والقربان[1].

١- طقس المسح

ويعنى صب الزيت أو الدهن المقدس على الشخص أو الشئ أو المكان المراد تكريسه لله، وقد جرى التقليد عند اليهود أن يمسحوا الكهنة والأنبياء والملوك، وكذلك خيمة الاجتماع والهيكل وتابوت الشهادة بالدهن المقدس، وقد حدد العهد القديم اصناف ومكونات دهن المسحة من الشجرة المباركة (شجرة الزيتون) التى تزخر بها أرض فلسطين مع مزجه ببعض النباتات والأخشاب العطرية، ففى سِفْر الخروج: وكلّم الرب موسى قائلا: وأنت تأخذ لك أفخر الاطياب، مرا قاطرا(*)، خمسمائة شاقل وقرفة عطرة نصف ذلك، وقصب الذريرة(*) مائتان وخمسون شاقلا، وسليخة(*) خمسمائة بشاقل(*) القدس، ومن زيت الزيتون هَيِّنا، وتصنعه دهنا مقدسا، عطر عطارة صنعة العطار[2].

٢- طقس البخور

من الشعائر الواجبة فى المعابد اليهودية، التبخير بأصناف من الطيب والبخور، بالطرق والشروط التالية:

أ- حددت مواصفات مذبح البخور من الخشب السنط المغشى بالذهب من الداخل والخارج كما حدد مكانه فى الهيكل قدام الحجاب أمام تابوت الشهادة[3].

ب- وحدد موعد تقديم البخور مرتين: صباحاً ومساء، ففى سفر الخروج: " فيوقد عليه هارون بخورا عطرا كل صباح يصلح السرج، وحين يصعد السرج فى العشية"[4].

---

(١) زكى شنودة – المجتمع اليهودى – مكتبة الخانجى – ص ٢٠٥.

(٢) سفر الخروج – الاصحاح ٣٠ – الفقرة ٢٠ – ٢٥.

* الشاقل: وحدة حساب المعايير والنقود عند اليهود، مشتق من الفعل العبرانى (شقل) بمعنى وزن

* المـُر القاطر: المر دواء كالصبر، والقاطر: الخارج من الشجر (لسان العرب جـ ٦، ص ٤١٧٥، ٣٦٦٩) (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٢٤)

* قصب الذريرة: فتات من قصب الطيب، يجاء به من الهند (اللسان – جـ ٣، ص ١٤٩٤)

* السليخة: شئ من العطر تراه كأنه قشر منسلخ (اللسان – جـ٣ – ص ٢٠٦٣).

(٣) سفر الخروج – الاصحاح ٣٠ – الفقرات – ١٠ .

(٤) نفس المصدر – الاصحاح ٣٧ – الفقرة ٢٥، ٢٦.

جـ- وعن طريقة تركيب البخور ومكوناته، جاء في سفر الخروج: " قال الرب لموسى: خُذ لك أعطارا، ميعة(*) وأظفارا(*)، وقنة عطر(*)، ولبانا نقيا تكون أجزاء متساوية فتصنعها بخورا عطرا، صنعة العطار، مملحا نقيا مقدسا، وتسحق منه ناعما، قدس أقداس تكون عندكم[1]

د- خصص البخور للخدمة الكهنوتية فقط مثل الدهن المقدس، وجُعِلَ قُدسا لا يصنع مثله، وكان عقاب من يقدِّم للهيكل بخورا غير المنصوص عليه أو بغير الطريقة السابقة، أن يحكم عليه بالموت، جاء في سفر الخروج: " كل من صنع مثله يقطع من شعبه"[2].

هـ- عدم جواز إصعاد البخور لغير الكاهن، حتى ولو كان ملكا، وكان الموت جزاء لمن يخالف شريعة اليهود بالنسبة لطقس البخور، ففي روايات التراث اليهودي " أن عزيا ملك اليهود دخل إلى الهيكل ليوقد على مذبح البخور رغم إرادة الكاهن، فأصابه برص في جبهته"[3] وفي رواية أخرى " خرجت نار عند الرب أكلت ناداب وأبيهو ابني هارون اللذين قدما بخورا غريبا"[4]، وفي ثالثة " وكذلك كان حال المائتين وخمسين رجلا الذين كانوا مع قورح والأخوين داثان وابيرام عندما قدموا بخورا باطلا مكروها، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم جميعا"[5].

ويروى كل من إشعيا وإرميا (من أنبياء العهد القديم) في أسفارهما، نبوءة عن قدوم الغرباء إلى أورشليم ليؤدوا فرائض الإكرام لله في هيكله المقدس، حاملين معهم البخور

---

(١) سفر الخروج – الاصحاح ٣٠ – الفقرالت ٣٤ – ٣٧.

* الميعة: ضرب من العطر، أصله صمغ يسيل في بلاد الروم، يؤخذ فيطبخ، وأصنافه هو الميعة السائلة (اللسان جـ ٢، ص ٤٣٠٩.

* الأظفار: ضرب من العطر، أسود على شكل ظفر الإنسان، يوضع في الدخنة (البخور). (اللسان جـ ٣، ص ٢١٤٩)

* القنة: ضرب من الأدوية (اللسان جـ ٦، ص ٣٦٥٩).

(٢) نفس المصدر – الإصحاح ٣٠ – الفقرة ٣٨.

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني – الإصحاح ٢٦ – الفقرات ١٦ – ٢١.

الإصعاد والتصعيد: الإذابة والمعالجة بالنار (لسان العرب جـ ٣، ص ٢١٤٧).

(٤) سفر اللاويين – الإصحاح ١٠ – الفقرة ١، ٢.

(٥) سفر العدد – الإصحاح ١٦ – الفقرة ٦، ٧، ٣٥.

والـذهب، وتذكـر الـرواية الـيهودية أن النـبوءة قـد تحققـت، ففـى سفر الأيام الثانى أن بلقـيس ملكـة سـبأ أرسـلت بهديـة إلى سليمان {عليه السلام} بعد بنائه الهيكل، وقد كانت مقادير كبيرة من أزكى العطور والبخور[1].

٣- طقس القربان

كان القربان جزءاً مهماً من الطقوس الدينية عند اليهود، وقد وضع موسى نظاما دقيقا ومفصـلا للقـرابين، التـى كـان يعبر بها عن التوبة والاعتراف والكفارة والتكريس والشكر وغير ذلك، وتكونت القرابين من: المحرقات، والتقدمات: دقيقا وزيتا ولبانا[2].

وكـان دهـن المسـحة المقـدس مـن عناصر التقدمة أو القربان الذى طلبه موسى من بنى إسـرائيل للهـيكل المقـدس، ففـى سـفر الخـروج " كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة وأطيابا لدهن المسحة والبخور العطر"[3] وكذلك

" خـذوا مـن عـندكم تقدمـة للـرب ... وأطيابا لدهن المسحة والبخور والعطر"[4] وقد وردت إشـارات كـثيرة إلى الطـيب والعطـر فـى مواضـع شـتى فـى أسـفار العهد القديم، وخاصة سفر نشيد الإنشاد[5].

---

(١) سفر إشعيا – الإصحاح – ٦ – الفقرة ٦، سفر إرميا – الإصحاح ١٧ – الفقرة ٢٦، سفر أخبار الأيام الثانى – الإصحاح ٩ – الفقرة ١، ٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس – مادة (قربان) – ص ٧٢١.

(٣) سفر الخروج – الإصحاح ٢٥ – الفقرة ٢،١

(٤) نفس المصدر – الإصحاح ٣٥ – الفقرة ٥، ٨.

(٥) انظر العهد القديم – ص ٩٨٥.

العادات والتقاليد اليهودية

كان من عادات اليهود وتقاليدهم مما يرتبط بالعطر والطيب:

١- تحنيط الجثث

ورد في سفر التكوين أنه إذا مات أحدهم غسلوه بالماء الساخن، وعطروا جثته بالروائح العطرية، وغطوها بلفائف من الصوف والقماش، مثلما فعلوا مع آسا ملك اليهود[١] وفي سفر أخبار الأيام الثاني، أنه لما مات يعقوب أمر يوسف الأطباء أن يحنطوه لمدة أربعين يوما ثم دفنوه في مقبرته، بعد أن أضجعوه في سرير كان مملوءاً أطيابا وأصنافا عطرة حسب صنعة العطار[٢].

٢- دهن الرأس والجسم

أُعتُبِرَ التزين والتطيب من علامات الفرح والسرور، وتركه من علامات الحزن والغم[٣]، واعتاد اليهود دهن الرأس بالأدهان العطرة، ودهن الجسم بزيت الزيتون الممزوج بالعطر في الأعياد والمناسبات، وتعطير الملابس بالبخور المستورد في بلاد العرب ففي سفر إرميا "يأتي لي اللبان من شبا والذريرة من أماكن بعيدة"[٤] وشبا يقصد بها شبوه عاصمة حضر موت القديمة، أما الذريرة فتأتي من بلاد الهند والصين.

١- قضت واجبات الضيافة في الولائم، أن يقوم المضيف بتقبيل الضيف، قبل عملية التنفيذ وتقديم الماء إليه ليغسل قدميه[٥].

٢- كان من يُحكم عليه بالموت عقابا، يُعطى كأسا من الخمر ممزوجة بالطيب، قبل عملية التنفيذ وذلك كمخدر يخفف من آلامه[٦].

وهكذا دخل العطر والطيب في شعائر اليهود وطقوسهم، واحتل مكانا مهماً في أعيادهم وعاداتهم وتقاليدهم.

---

(١) سفر التكوين - الإصحاح ٥٠ - الفقرات ٢، ٣، ٢٦.

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني - الإصحاح ١٦ - الفقرة ٤٠.

(٣) سفر المزامير - الإصحاح ٢٣ - الفقرة ٥، والإصحاح ٩٢ - الفقرة ١٠.

(٤) سفر إرميا - الإصحاح ٦ - الفقرة ٢٠.

(٥) انجيل لوقا - الإصحاح ٧ - الفقرات ٤٤ - ٤٦.

(٦) سفر الأمثال - الإصحاح ٣١ - الفقرة ٦، ٧.، وانظر شرح انجيل متى - ص ٢٧٢.

♠ ثالثاً : الطيب عند المسيحيين.

للعطر والطيب شأن أكبر فى العقيدة المسيحية مما كان عند اليهود، وقد وردت إشارات كثيرة عن الطيب والبخور فى أناجيل العهد الجديد، وكذلك تضمنتها أوامر الرسل وآباء الكنيسة الأولى، واعتُبِرَ البخور عنصرا ضروريا فى الصلوات والقداسات، ودخل الطيب فى الشعائر والطقوس المسيحية عند التعميد والمسح بالميرون.

أ- إشارات العهد الجديد إلى الطيب

تعددت إشارات الأناجيل فى العهد الجديد إلى الطيب، منها: إهداء الطيب للسيد المسيح، ودهن رأسه ومسح قدميه، ثم تطييب بعد وفاته حسب الرواية المسيحية

١- هدية الطيب للمسيح

جاء فى إنجيل متى " وحين أتوا إلى البيت، رأوا الصبى مع مريم أمه، فخروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر[1].

فقد " أتى ثلاثة من مجوس فارس، إلى بيت لحم (مدينة داود)، بعد أن طالعوا نجوم السماء فوجدوا أن ملك اليهود الذى ورد ذكره فى التوراة قد ولد، فأعلنوا التصديق به وحملوا إليه هداياهم، وكانت من الذهب واللبان والمر، ويرمز بهذة الهدايا إلى صفاته ومراحل حياته، فالذهب سيد المتاع كله، وكذلك النبى سيد أهل زمانه، والمر مادة تجبر الكسر وتشفى الجراح، وهذا النبى يشفى به الله كل سقيم، واللبان (البخور) يتصاعد دخانه فيصل إلى السماء، وهذا النبى يرفعه الله إلى السماء"[2].

٢- سكب الطيب على رأس المسيح

فى إنجيل متى " وفيما كان يسوع فى بيت عنيا، عند سمعان الأبرص، جاءت إليه إمرأة ومعها قارورة طيب غالى الثمن، ثم سكبته على رأسه"[3]

وكانت مريم أخت ألعازر — الذى أقامه المسيح من الموت بإذن الله — والذى آمن بسببه كثير من اليهود، تُصغى إلى حديث المسيح يتدفق من فمه إلى قلبها، فتفتحت نفسها وهامت روحها فى سماء النقاء، حتى ذاب كيانها فى شخصيته وانتظرت حتى جاء

---

(١) إنجيل متى – الإصحاح ٢- الفقرة ١١.

(٢) زكى شنودة – تاريخ الأقباط – جـ ٢ ص ١٢٨.

(٣) انجيل متى – الإصحاح ٢٦، الفقرات ٦، ٧، ١١، انجيل مرقس – الإصحاح ١٤ – الفقرة ٣، ٨.

المسيح إلى بيت سمعان الأبرص، وأحضرت مَنًا من طيب ناردين الفاخر وسكبته على رأس المسيح، ودهنت محبة وإكبارا[1].

٣- مسح قدمي المسيح بالطيب

في إنجيل لوقا "جاءت بقارورة طيب، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تبل قدميه بالدموع، وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب[2].

وفي رواية أخرى "وقال لسمعان... بزيت لم تدهن رأسي، أما هي فقد دهنت بالطيب رِجْليَّ"[3].

تابت مريم المجدلية ورجعت إلى الله بعد زلل، ولكن طائفة الفريسيين من أحبار اليهود المتشددين لم يقبلوا منها عملا صالحا، وأوجبوا عليها الرجم جزاء الزنا، فدافع المسيح عن الجميلة التائبة بقوله: "من كان منك بلا خطيئة فليرمها بحجر"، ولم يتقدم أحد، ثم جاءت مريم المجدلية بصندوق من المرمر فيه طيب، وركعت خاشعة أمام المسيح تبكي ندما، حتى بللت حبات اللؤلؤ المنهمرة من عينيها قدمي المسيح فجعلت تمسحهما بشعرها، وقبلتهما ودهنتهما بما كان معها من الطيب"[4].

٤- تطييب جسد المسيح

تشيد روايات الأناجيل أن الرجل الصالح يوسف، جاء من الرامة، وطلب من القائد الروماني بيلاطس أن يسلمه جسد المسيح، وقد احضر نيقوديموس — وكان من رؤساء اليهود — نحو مائة من الطيب، وأخذوا جسد المسيح وضمخوه بالطيب، وكفنوه بالكتان، كما جاء بعض النسوة المؤمنات من الجليل، منهن: مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب، وسالومة، ومعهن أطياب وحنوط إلى قبر المسيح من أجل تطييبه وتكفينه[5].

---

(١) زكي شنودة – تاريخ الاقباط – جـ ٢، ص ٢٢٤.

(٢) انجيل لوقا – الإصحاح ٧ – الفقرات ٣٧، ٣٨.

(٣) المصدر السابق – نفس الإصحاح – الفقرة ٤٦.

(٤) زكي شنودة – المرجع السابق – جـ ٢، ص ١٥٤.

(٥) انجيل يوحنا – الإصحاح ١٩ – الفقرات ٣٨ – ٤٠.

ب- إشارات العهد الجديد إلى البخور

وردت بعض الإشارات عن البخور فى أناجيل العهد الجديد، ومنها:

بشارة الملائكة لزكريا بمولد يوحنا، ورؤيا يوحنا التى أريها بعد ذلك.

١- بشارة زكريا

فى إنجيل لوقا " يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور، فظهر له ملاك الرب واقفا على يمين مذبح البخور، وأعلنه بقبول طلباته"[1].

بينما كان الكاهن زكريا يبخر داخل الهكيل، بشره الملاك بأن طلبه من الله ودعاءه إليه قد أجيب، وأن امرأته العاقر اليصابات سوف تلد!! ابنا ذكرا اسمه يحيى أو يوحنا المعمدان حسب الرواية المسيحية[2].

٢- رؤيا يوحنا

ورواية الانجيل لهذه الرؤيا "ولما أخذت السفر خرت الأربعة مخلوقات الحية والأربعة وعشرين قسيسا أمام الخروف، ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخورا الذى هو صلوات القديسين"[3].

وفى رواية أخرى "وجاء ملاك آخر، ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب، وأعطى بخورا كثيرا كى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش، فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين أمام الله"[4].

جـ- إشارات علماء الكنسية عن البخور

ومن الإشارات التى اتخذها علماء الطقوس الكنيسة عن البخور:

١- إن ذكاء رائحة البخور وطيب عَرْفِه، يناسب أماكن العبادة، ولذلك يقدمه المسيحيون قربانا إلى الله مع الصلوات، وتلك — حسب عقيدتهم — علاقة إخلاص

---

(١) الرامة: اسم عبرى معناه مرتفعة، وكانت قرية صغيرة على هضبة عالية، تبعد خمسة أميال شمال اورشليم، وربما تكون هى مدينة رام الله حاليا (قاموس الكتاب المقدس – ص ٣٩٢)

انجيل لوقا – الإصحاح الأول – الفقرات ٩ – ١١.

(٢) عبد الوهاب النجار – قصص الأنبياء – مؤسسة الحلبى – ص ٣٦٨.

(٣) سفر رؤيا يوحنا – إصحاح ٥ – الفقرة ٨.

(٤) المصدر نفسه – الإصحاح ٨ – الفقرة ٣، ٤.

ومحبة وولاء من بنى البشر لربهم، كما يشير تصاعد دخان البخور عاليا، إلى ارتفاع الصلوات إلى السماء.

٢- لما كان البخور لا تفوح رائحته إلا بالنار، فإن المؤمنين بالمسيح لا يفوح عطر سيرتهم إلا بالتجارب والآلام، وخاصة الآم المسيح المقدسة، والتى تدل عليها الرائحة الذكية المتصاعدة من البخور.

٣- إن الرائحة الذكية للبخور تطرد النتن، وكذلك الصلوات المقبولة تطرد الشر والأشرار.

٤- إن العين الساذجة عند البعض لا ترى فى البخور إلا مجرد دخان طيب الرائحة، سرعان ما تختفى حلقاته فى الهواء، بينما تراه العين المتأملة صاعداً إلى السماء، ترفعه أيدى الملائكة بتهليل وتسبيح، محملا بصلوات القديسين أمام الله، كما يعتقد أن المؤمنين عندما يشمون رائحة البخور الذكية تجتمع حواسهم، وتأخذهم نشوة روحية، حيث تشم رائحة الفضيلة والتقوى فى بيت الله[1].

وفى دراسة عن البخور وعلاقته بالطقوس الكنسية، يرد القس إبراهيم عبد السيد على بعض كتاب المسيحية وعلمائها الذين يعتقدون بأن البخور كان قاصرا على عبادة العهد القديم وطقوسه، قال: " إن تحول العبادة من العهد القديم إلى العهد الجديد لم يغير تقديم البخور فى الصلوات العامة، بل بقىيعبر عن العلاقة الأساسية التى تربط بين الإنسان والله، وبسبب خلو كتابات آباء الكنيسة خلال القرون الأربعة الأولى من ذكر أية تفصيلات عن البخور، تشكك بعض علماء الطقوس فى ضرورة استخدام البخور. ويرجع ذلك كله إلى أن التقليد الكنسى كان يحرم كتابة أية تفصيلات عن أسرار الكنيسة وطقوسها، فقد كانت تلقن للكهنة فقط، وبشكل شخصى"[2].

وعلى هذا الأساس أصبح البخور يقدم فى كل كنائس العالم المسيحى، بعد أن كان قاصرا على الأمة العبرانية وحدها، وفى هيكل أورشليم اليهودى فقط، وتقول رواية الانجيل " من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم، وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة"[3].

---

(١) يوحنا بن زكريا المعروف بابن سباع – الجوهرة النفيسة فى شرح علوم الكنيسة – ص ٩١.

(٢) القس إبراهيم عبد السيد – البخور – رسالة نشرتها كنيسة مارجرجس بالمعادى ١٩٨٥ – ص ٧.

(٣) سفر ملاخى – الإصحاح ١- الفقرة ١١.

ويضيف القس إبراهيم عبد السيد: "إن رائحة البخور دائما مقترنة بوجود الله فبمجرد أن تفوح رائحة البخور تبتهج النفس، وتتهلل الحواس الداخلية، إيذانا للشعور بوجود فى الحضرة الإلهية وكأنما رائحة البخور هى رائحة الرب"(١)، مشيراً إلى ما جاء فى سفر نشيد الإنشاد: " ما دام الملك فى مجلسه أفاح نادينى رائحته"(٢) كما يشير إلى قول سليمان الحكيم في سفر الأمثال " الدهن والبخور يفرحان القلب"(٣).

ووفق عقيدة المسيحيين، فإن الطقوس الكنسية تمنع تقديم بخور من أصل حيوانى مهما كان ذكى الرائحة مثل: المسك والزباد والعنبر لأنها تستخرج من حيوانات برية (غزال الأيل وقط الزباد)، – وحيوانات بحرية (حوت المن)، والعلة فى ذلك إبطال تقديم الذبائح الحيوانية فى المسيحية، فقد صار الذبيح هو يسوع حسب عقيدتهم، والبخور الجائز استعماله فقط هو : الصندوروس، ولبان الجاوى، والعود(٤).

وينسب إلى بعض الكتاب المسيحيين أن بدء استخدام البخور فى الطقوس المسيحية كان فى القرن السادس الميلادى، وخاصة فى الكنائس الارثوذكسية والكاثولوكية اليونانية(٥).

---

(١) القس إبراهيم عبد السيد – البخور – ص ٦.

(٢) سفر نشيد الانشاد – الإصحاح ١ – الفقرة ١٢.

الناردين – سنبل الطيب.

(٣) سفر الأمثال – الإصحاح ٢٧ – الفقرة ٩.

(٤) القس إبراهيم عبد السيد – البخور – ص ٩

الصندوروس:

(5) The Macmillan Encycloped, P.611.

الطيب فى الشعائر والطقوس المسيحية

من بين شعائر العقيدة المسيحية وطقوسها: التعميد بمعنى الغسل، والمسح بالميرون

١- التعميد

وهو طقس الغسل بالماء رمزا للنقاوة، وقد جعله المسيحيون علامة على التطهر من الخطيئة والنجاسة، كما يدل على الإنتساب إلى كنيسة المسيح، وتذكر الرواية المسيحية " أن يوحنا المعمدان كان يُعمد الناس، أى يغسلهم ويطهرهم فى نهر الأردن وأنه قام بتعميد المسيح، أما المسيح فلم يقم بتعميد أحد، ولكنه قَبِلَ المعمودية ليظهر موافقته على ذلك، وليكرس نفسه للخدمة المقدسة، ويعبر عن تحمله خطايا البشر(١).

ويذكر المقريزى فى حديثه عن معتقدات النصارى أن الكهنة فى الكنائس يقومون بتعميد الأطفال، ويغسل المولود فى ماء قد أُغلى بالرياحين وألوان الطيب فى أُجانة جديدة، وتتلى بعض التراتيل، ويزعمون بعدها نزول الروح القدسى على المولود"(٢).

ويُذكر أن البلسم يدخل فى ماء المعمودية، وهو ناتج شجرة البلسان والتى تكثر زراعتها فى منطقة المطرية وعين شمس بمصر، وهو من أطيب الأدهان وأشدها قوة، وهو ذهبى اللون، صبغى القوام، وكان ملوك الفرنج يتغالون فى شرائه بوزنه ذهبا، وترجع هذه الشجرة إلى رواية تقرر انها نبتت فى مكان راحة السيدة العذراء وطفلها يسوع فى طريق هربهما إلى مصر، من طغيان الحاكم الرومانى هيرودس فى بيت المقدس، الذى قرر قتل كل المواليد من الأطفال اليهود بعد أن ذاع خبر مولد ملك من أبناء اليهود(٣).

٢- المسح بالميرون

بعد التعميد، يقوم الكهنة — حسب الطقوس المسيحية — بمسح المؤمن بدهن الميرون المقدس وعن ذلك قال صاحب اللآلى النفيسة " الميرون كلمة يونانية تعنى طيب وتطلق فى اصطلاح الكنائس المسيحية، على مزيج سائل مركب من ثلاثين صنفا أو جنسا من أصناف الطيب، منها المر والعود والسُلَيْخَة وقصب الذريرة وعود البان والقرفة مع أنفس

---

(١) قاموس الكتاب المقدس – ص ٦٣٧.

(٢) المقريزى – الخطط – جـ ٢، ص ٥٥١.

* الأجانة: إناء تغسل فيه الثياب مثل المركن (الإفصاح فى فقة اللغة – جـ ١ ص ٥٨٤)

(٣) سونيا هاو –فى طلب التوابل– ترجمة محمد عزيز رفعت –وزارة الثقافة والإرشاد– الألف كتاب – ص ١٧

الأطياب، مضافا إليها زيت الزيتون الصافى، ومدافا* إليه الأفاوية* التى أمر الله موسى أن يركب منها دهن المسحة — السابق الإشارة إليه — فى غير ذلك من المواد[1].

ويضيف القمص يوحنا سلامة " إن أول من صنع الميرون واستعمله هم تلاميذ المسيح، فقد أخذوا الحنوط الذى كان على جسد المسيح المقدس مع الأطياب التى ابتاعها النسوة، وأضافوا إليها من زيت الزيتون الصافى، وقدسوا الجميع بكلمة الله والصلاة، وجعلوه ميرونا أو طيبا خاتما للمعمودية يمسح به المتعمدين ويمدد دائما بزيت الزيتون والحنوط والأطياب لئلا ينقطع"[2].

وهكذا يتبين لنا وفق المعتقدات المسيحية الدور الكبير للطيب والبخور فى الشعائر والطقوس المسيحية، ومن ثم كانت الكنائس والأديرة تنفق الأموال الطائلة على شراء عود البخور وغيره من أصناف الطيب، لإحراقه فى المجامر بغرض تطييب المذبح وهيكل الصلاة ومقاومة الروائح الكريهة المنبعثة من المكان أو من المصلين خلال الصلوات أو القداسات، كما قامت الأديرة بدرو مهم فى تجارة البخور وعناصر الطيب، فاضطلعوا بدور الوسيط بين قوافل التجارة التى تمر فى طريقها.

وفى معرض حديثه عن القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية فى القرون الوسطى يقول ول ديورانت "كان بها عددا كبيرا من الكنائس تعد تحفا فنية غاية فى الإبداع وكانت كنيسة أيا صوفيا فى زينة دائمة، وتفوح فى جنباتها هبات البخور وروائح الطيب، وتتردد فى أجوائها التراتيل الرنانة"[3].

وفى وصف كنيسة القُلَّيس، تذهب روايات الاخباريين، أن الذى بناها أبرهة الأشرم فى صنعاء، كى يصرف الحجيج عن مكة، وقد بنيت من حجارة قصر بلقيس ملكة سبأ بمأرب، ومن أفضل الرخام والفسيفاء المجلوب من بلاد الروم، ونقشت بالذهب والفضة وألوان الأصباغ وحلِّيت بأفخر الجواهر، وطعم بابها بالذهب والفضة، ورشت حوائطها بالمسك[4].

---

* داف: خلط (لسان العرب – جـ٣ ص ١٤٥٤)

* الأفاوية: جمع فوه.

(١) القمص يوحنا سلامة – اللآلى النفيسة فى شرح طقوس الكنيسة – مكتبة مار جرجس – جـ ٢ ص ٦٦.

(٢) المرجع السابق – جـ ٢ – ص ٦٧.

(٣) ول ديورانت – قصة الحضارة – مجـ ٤، جـ ٣ ص ١٦٨.

(٤) د. محمد بيومى مهران – تاريخ العرب القديم – ص ٣٨٠.

♠ رابعاً: الطيب في الحضارة الإسلامية.

نعرض بالبحث لموضوع الطيب فى آيات الذكر الحكيم من القرآن الكريم، وأحاديث البشير النذير (ﷺ) فى السنة النبوية الشريفة، وهديه (ﷺ) فى الطيب والتطيب وتأسّى الصحابة و التابعين (رضوان الله عليهم أجمعين) به (ﷺ)، وتطييب الكعبة وتجمير المساجد، ثم دور الطيب فى الحياة الاجتماعية، وفى الزينة اليومية عند الرجل والمرأة، وحفلات الزواج والأعراس ومواكب الخلفاء والأمراء ومجالسهم، وعادة التهادى بالطيب.

(أ) الطيب فى القرآن الكريم

لم يرد لفظ الطيب بمعنى العطر فى آيات القرآن الكريم، ولكن ورد فى مشتقات المادة ألفاظ الفعل بأوزان: طاب، طبن، طبتم (مرة واحدة) لكل منها.

وألفاظ الاسم بأوزان: الطيب (٧ مرات)، طيبا (٦ مرات)، طيبة (٩ مرات)، والطيبون(مرة) والطيبن (مرتان) والطيبات (١٣ مرة) وطيبات (٧ مرات)، طيباتكم، طيبين، طوبى (مرة واحدة) لكل منها[١].

والطيب ما تستلذه الحواس، وما تستلذه النفس[٢]. ولما كان الأصل فى الأشياء الإباحة، ولا تحريم إلا بنص، فإنه فى كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل، وفى كل ما تستخبثه النفس ويكرهه الطبع الحرمة إلا لدليل منفصل، والطيب نعت جامع لما طاب كسباً أو طعماً، وهو من كل شئ أفضله، فالطيب يعنى الحلال، وطابت النفس بالشئ سمحت به من غير كراهة ولا غضب[٣].

والطيب لفظ عام فى جميع الأمور، يتصور فى المكاسب والأعمال والناس والمعارف من العلوم وغيرها، والخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة وإن كثر، أما الطيب فهو نافع جميل العاقبة وإن قل[٤].

فلفظتا الطيب والخبيث عامتان، ويندرج تحتهما من المال حلاله وحرامه، والعمل صالحه وفاسده، والناس جيدهم ورديئهم، والعقائد صحيحها وفاسدها، وعلى ذلك فأنه

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – طبعة الشعب – ص ٤٣٢.

(٢) الراغب الأصفهانى – مفردات القرآن – كتاب الجمهورية – ٤ أجزاء – جـ ٣، ص ٣٠٨.

(٣) ابن منظور – لسان العرب – جـ ٤، ص ٢٧٣٣.

(٤) القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر – ١٩٦٧ – جـ ٦ ص ٣٢٧.

يمكن تصنيف آيات القرآن الكريم التى ورد فيها لفظ الطيب ومشتقاته فى أربع مجموعات تميز: الناس، والأموال، والأعمال، والأماكن.

(١) آيات تميز الناس

الطيب من الإنسان من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال[١].

وقد ورد لفظ الطيب، فى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران آية: ١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال آية: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [المائدة آية: ١٠٠].

وفى الآيات الثلاث، جاء لفظ الطيب بمعنى المؤمن، والخبيث بمعنى الكافر.

وفى تبرئة السيدة عائشة (رضى الله عنها) من حديث الإفك، قال تعالى:

﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ [النور آية: ٢٦]، فالطيبات والطيبون هم الأطهار من دنس المعاصى، والمرأة الطيبة هى الحصان العفيفة.

ومن دعاء زكريا، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران آية: ٣٨]، أى ذرية صالحة مؤمنة طاهرة.

وعمن تطيب نفوسهم، وتسر أرواحهم بلقاء الله، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل آية: ٣٢]. وعن زُمر المتقين وجماعاتهم، وحسن استقبال خزنة الجنة لهم يوم القيامة قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر آية: ٧٣]، وطبتم يعنى طهرتم.

وإشارة إلى كل مستطاب فى الجنة (دار الطيبين) من بقاء بلا فناء، وعز بلا زوال، وغنى بلا فقر قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد آية: ٢٩]. ومن معانى طوبى أنها فرح وقرة عين، وقيل إنها شجرة فى الجنة[٢].

---

(١) الراغب الاصفهانى – مفردات القرآن – جـ ٣ ص ٣٠٩.

(٢) الراغب الاصفهانى – المصدر السابق – جـ ٣ ص ٣١٠.

(٢) آيات تميز الأموال

ويقصد بالأموال المكاسب والأرزاق والأقوات والمطاعم والمشارب والثمار والذبائح[1]. وقد ورد مشتقات الطيب في القرآن الكريم تدعو إلى أكل الحلال من هذه الأموال، مما في الأرض جميعا ومن الغنائم، ومن الأرزاق المختلفة، في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً﴾ [البقرة آية: ١٦٨]،

وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً﴾ [الأنفال آية: ٦٩]،

وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً﴾ [النحل آية: ١١٤]،

وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً﴾ [المائدة آية: ٨٨]،

وقوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (أربع مرات) في سور (البقرة ٥٧، ١٧٢)، (الأعراف ١٦٠)، (طه ٨١).

وقوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون آية: ٥١]،

وقوله تعالى: ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (ثلاث مرات) في سور (يونس ٩٣) (الاسراء ٧٠)، الجاثية ١٦).

وقوله تعالى: ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (ثلاث مرات في سور (الانفال ٢٦)، (النحل ٧٢)، (غافر ٦٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأعراف آية: ١٥٧]،

وقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة آية: ٤ ، ٥]،

وقوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء آية: ١٦٠]،

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة آية: ٨٧]،

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف آية: ٣٢]،

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة آية: ٢٦٧]

---

(١) القرطبي - جـ ٦ - ص ٣٢٧.

وترتبط الحقوق بالأموال، فيأمرنا الله بالحفاظ على أموال اليتامى التى يطمع فيها، فى قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء آية: ٢]، وفى حق النساء فى الصداق قال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾ [النساء آية: ٤]، وطبن تعنى رضين وسمحن عن طيب خاطر وبغير إكراه، وفى تحديد العدد الحلال من الزوجات، قال تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء آية: ٣]، وطاب يعنى حل.

وفى كل الآيات كان لفظ طيبا وطيبات والطيبات يعنى الحلال من النعم والأرزاق والمستلذات.

(٣) آيات تميز الأعمال

العمل الطيب هو الايمان، وهو عمل المؤمن الصالح، والكلمة الطيبة هى كلمة الايمان[1]، (لا إله إلا الله)، والتى تثبت فى قلب المؤمن، وقد مثلها الله سبحانه وتعالى بالشجرة الطيبة وهى (النخلة) سيدة الشجر، كما شبه بها عمل المؤمن الذى يصعد إلى السماء، فيعود على صاحبه بالثواب والحكمة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم آية: ٢٤]، وعن أحوال المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج آية: ٢٤]، وعن الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر آية: ١٠]، والله سبحانه لا يقبل من الكلم أو القول أو العمل أو النفقة إلا الطيب لقوله(ﷺ) "إن الله تعالى طيب يحب الطيب" رواه الترمزى من حديث سعد[2].

وفى تبكيت المسرفين على أنفسهم، وتقريعهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف آية: ٢٠].

---

(١) الراغب الاصفهانى – مفردات القرآن – جـ٣ – ص ٣٠٨.

(٢) المنادى – مختصر شرح الجامع الصغير – جـ ١، ص ١١٨.

ويوجهنا القرآن إلى تحية الإسلام الطاهر المباركة من عند الله، وهي السلام عليكم.

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور آية: ٦١].

ويتأكد جزاء العمل الصالح بحياة قانعة بالرزق الحلال، من قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل آية: ٩٧].

(٤) آياتٌ تميز الأماكن

يقصد بالاماكن الطيبة، المنازل التى يطيب فيها ويلذ(1). فى مثل قوله تعالى:

﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ (مرتين) فى سورتى (التوبة ٧٢)، (الصف١٢) وقد وصفت المساكن بالطيب لأنها فىٌ الجنة، حيث يطهر كل شئ ويطيب، لأنها فى جوار رب العزة.

وعن البلاد الطيبة، قوله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً ﴾ [الأعراف آية: ٥٨].

وعن بلاد سبأ، وما قد جعل لأهلها فيها من جنات، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ آية: ١٥]. فالبلد الطيب هنا تعنى كريمة التربة كثيرة الخيرات، لا سبخة ولا حرة(2).

ومن نعم الله على عباده تسخير الريح بأمره لتسيير السفن فى البحر، قال تعالى:

﴿ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس آية: ٢٢]. أى ريح لينة تسيِّر السفن برفق وهدوء، وليست رياحا صعبة تحرق وتغرق.

ومن النعم أيضا تخصيص أمة سيدنا محمد (ﷺ) بالتيمم عند فقد الماء للوضوء، وذلك بأن تتجه إلى صعيد طيب طاهر، فتمسح منه الوجه واليدين. قال تعالى: ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ (مرتين) فى سور (النساء ٤٣)، (المائدة ٦).

---

(١) الراغب الأصفهانى – مفردات القرآن – جـ ٣ – ص ٣٠٨.

الصعيد هو وجه الأرض، سواء عليه تراب أو لا (لسان العرب– جـ ٤ – ص ٢٤٤٦).

(٢) سبخة: أرض ذات ملح ونز. (لسان العرب – جـ ٣ – ص ١٩١٨)

حرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنما أحرقت بالنار (لسان العرب حــ ٢ – ص ٨٢٩).

وبعد فإن لفظ الطيب ومشتقاته، وضده الخبيث قد استخدمت فى آيات القرآن الكريم لتميز المؤمن من الكافر، والحلال من الحرام، والحسن من القبيح، والجيد من الردئ، والمستلذ من المؤلم، وكان اللفظ عاما فى كل الأحوال:

فى الأعمال والأقوال، فى الأرزاق والأموال، فى الأماكن والبلدان، كما الخطاب شاملا لكل الخلق.

فمادة الطيب فى القرآن الكريم تدور كلها حول معانى: الحلال والطهر والصلاح والحسن وما أطيبها من معان.

شراب الأبرار (ختامه مسك ومزاجه كافور)

ورد فى القرآن الكريم من أصناف الطيب والعطر، لفظتا المسك والكافور، فى قوله سبحانه يصف شراب الأبرار فى جنات النعيم : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦)﴾ [المطففين آية: ٢٢ - ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾ [الإنسان آية: ٥]، والرحيق هو خمر الجنة، وهو الشراب الخالص المصفى الذى لا غش فيه ولا كرورة، وهو طيب بذاته، ففى الحديث **[لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فى هذا الشراب ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها]** [(١)]، وختام الرحيق مسك يعنى أنه معد فى أوانيه المقفلة والمختومة بالمسك باعتباره طين الجنة تكريما وصيانة، أو أن أخر طعمه مسك، بخلاف أكثر أشربة الدنيا التى يكون الكدر فى آخرها[(٢)].

والمسك أطيب الطيب، يشبه ريح الجنة الذى يوجد فى مسيرة أربعين عاما، وقد وصفت الجنة وتربتها وأنهارها ومراعيها وأشجارها وطعامها وشرابها وحورها، كل ذلك ريحه طيب بل أطيب من المسك، حتى حاجة أهل الجنة تكون عرقا يفيض من جلودهم مثل المسك[(٣)].

---

(١) ابن قيم الجوزية -حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح - دار الحديث - ص ١٧٥.

(٢) سيد قطب - فى ظلال القرآن - دار الشروق - ط ١٩٧٠ - ٤ أجزاء - جـ ٦، ص ٣٨٥٩.

(٣) ابن قيم الجوزية - المصدر السابق - ص ١٦٧/ ١٧٣.

ويطلق المفسرون لفظ الكأس على الزجاجة والشراب، وكل شيئين اختلطا كان أحدهما مزاجا لصاحبه، فمزاج ذلك الشراب الذى يشربه الأبرار من كافور، وهو طيب معروف يُستَحضر من أشجار تنمو ببلاد الهند والصين، وهو من أنفس الطيوب عند العرب، وقال ابن عباس (رضى الله عنهما) " الكافور اسم عين ماء فى الجنة يقال لها عين الكافور، تمتزج الكأس بماء هذا العين، وتختم بالمسك فتكون ألذ شراباً"[1].

(١) محمد على الصابونى – صفوة التفاسير – ٢٠ جزءا – جـ ١٩، ص ١٦٥٧.

(ب) الطيب فى السنة النبوية الشريفة

ساير الرسول (ﷺ) فطرة الله سبحانه وتعالى فى الخلق، فى حبه (ﷺ) للطيب والعطر وكل الرياحين الأرجة، وخاصة أن العطر والتطيب كانا من سنن المرسلين كما حدَّث (ﷺ)[1]، وكان له فيه هدى عظيم، وأثرت عنه أحاديث شريفة فى استخدام العطر و الطيب فى مناسبات كثيرة، وقد تأسى فى ذلك صحابته والتابعون (رضوان الله عليهم أجمعين)

(١) الطيب فى حياة الرسول (ﷺ)

تتعدد مناسبات الطيب فى حياة الرسول (ﷺ)، فقد حُبب إليه، وكان لا يرده إذا أهدى له، وكانت له خصوصية فى طيب ريحه وعرقه وريقه وكراهته للروائح غير الطيبة، وحرصه على التسوك، وهديه على التطهر والتطيب عامة، وفى مناسبات خاصة أيام الجمعة والعيدين وعند الإحرام.

أ- طبيعة للرسول (ﷺ) وخصوصيته

يروى الحسن بن على (رضى الله عنهما) عن خاله " هند بن أبى هالة، وكان وصَّافا، عن حلية الرسول (ﷺ)، من حديث طويل، قال: " .... كان فخما مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، عظيم الهامة، رجل الشعر، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، له نور يعلوه، كث اللحية، سهل الخدين، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة"[2].

وإلى هذا الجمال الذى لم تر مثله العيون، اختص (ﷺ) ببعض الشمائل والصفات منها: حبه للطيب، وطيب ريحه، وكفه، وعرقه، وعذوبة ريقه، وكراهته للروائح غير الطيبة.

---

(١) المناوى – مختصر شرح الجامع الصغير – جـ ١، ص ٦٠.

(٢) المناوى – نفس المرجع – جـ ٢، ص ١٦٦.

محمد ناصر الألبانى – مختصر الشمائل الترمذية – مكتبة المعارف – الرياض – ص ١٨

أزج: مقوس، الجيد: العنق، الدمية: الصورة المتخذة من العاج، والمراد أنه فى اعتدال وحسن هيئة وكمال وإشراق.

هند بن أبى هالة، أخ السيدة فاطمة الزهراء لأمها السيدة خديجة بنت خويلد التى كانت متزوجة أبى هالة بن مالك قبل الرسول (ﷺ). (سيرة ابن هشام جت ٤ ص ٦٤٣ جمهرة انساب العرب – ص ٢١٠).

(١) حبه للطيب

فُطر (ﷺ) على حب الطيب، لما يرويه أنس بن مالك، من قولهَ [**حُبِبَ إليَّ من دنياكم: النساء والطيب وجُعِلَت قرة عينى فى *الصلاة*]**[١] وعن أنس أيضا أنه (ﷺ) [**كان لا يرد الطيب إذا أهدى له]**[٢]، و "كان احب الرياحين إليه الفاغية"[٣]، وعن أبى هريرة قوله (ﷺ) [**من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه خفيف المحمل، طيب الريح]**[٤]

(٢) طيب رائحته

كان (ﷺ) طيب الرائحة دائما، ويعرف بريح الطيب يسبقه إذا أقبل، قال أنس "ما شممت عنبرا قط، ولا مسكا قط، أطيب من ريح رسول الله (ﷺ) وكان إذا مر بطرق المدينة وجد منه رائحة المسك، ويقال مر رسول الله[٥].

وكان يُكثر دهن رأسه، ويرجِّل شعره، ويكتحل بالإثمد، وكان له سكة يتطيب منها، وكان يستجمر بالألوة" غير مطراة، وبكافور يطرحه مع الألوَّة[٦].

(٣) كَفُّهُ

كان كفه (ﷺ) كأنه كف عطار طيبا، مسها أو لم يمسها بطيب، يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها الطيب، ويضع يده الشريفة على رأس الصبى، فيعرف من بين أقرانه من الصبيان بطيب الرائحة التى عبقت به، وعن جابر بن سمرة قال: "صليت مع رسول الله (ﷺ) صلاة الأولى" ثم خرج إلى أهله، وخرجت فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدَّى أحدهم واحدا فواحدا، أما أنا فمسح خدى، فوجدت ليده (ﷺ) بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جونة عطار"[٧].

---

(١) المنادى – مختصر شرح الصغير – جـ ١، ص ٢٥٠.

(٢) المنادى – نفس المصدر – جـ ٢، ص ١٩٠.

(٣) المنادى – نفس المصدر – جـ ٢، ص ١٦٨

الفاغية: نور الحناء.

(٤) النووى – شرح صحيح مسلم جـ ٥، ص ١٦٨.

(٥) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى – الحديث رقم ٣٥٦١ – جـ ٣، ص ٦٦٣.

(٦) النووى – المصدر السابق – جـ ٥، ص ١٠٩

السكة: ضرب من الطيب مركب من مسك ورامك (اللسان جـ ٣، ص ٢٠٥٢)، الألوة: العود الهندى، المطراة: المخلوطة بغيره.

(٧) النووى – شرح صحيح مسلم – جـ ٥ ، ص ١٨٢.

(٤) عَرَقُهُ

كان عرقه في وجهه (ﷺ) مثل اللؤلؤ، وأطيب من المسك الأذفر، فقد روى أنس: دخل علينا رسول الله (ﷺ) فقال* عندنا، فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ (ﷺ) فقال: "يا أم سليم: ما هذا الذي تصنعين؟" قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب"، وفي رواية أخرى هذا عرقك أدوف* به طيبي، وفي رواية ثالثة: نرجو بركته لصبياننا، فقال النبي (ﷺ) "قد أصبت"[1].

وحدث أبو هريرة عمن استعان بالرسول (ﷺ) في تجهيز ابنته، فلم يكن عنده شيء، فاستدعى قارورة فسلت فيها عرقه (ﷺ)، وقال للرجل: "مُرها فلتتطيب به" فكانت إذا تطيبت شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب، وسموا ببيت المُطَيِّبين من ذلك[2].

(٥) رِيقُهُ

كان ريقه (ﷺ) طيبا عذبا، وتروي أم عاصم أمراة الصحابي عتبة بن فرقد السلمي، وقد غزا مع الرسول (ﷺ) غزوتين، وكانت له رواية قال: " كنا عند عتبة ثلاث نسوة فما منا أمراة إلا وهي تجتهد في الطيب، لتكون أطيب من صاحبتها، ولا يمس عتبة الطيب، إلا دهنا يمس به لحيته، ولهو أطيب ريحا منا، فقلت له يوما: إنا لنجتهد في الطيب، ولأنت أطيب ريحا منا، فمم ذلك؟ قال عتبة: "أخذني الشرى* على عهد رسول الله (ﷺ)، فأتيته فشكوت إليه ذلك، فأمرني أن أتجرد وقعدت بين يديه، وألقيت ثوبيَ على فرجي، فنفث في يده، ثم مسح ظهري وبطني بيده، فعبق بي الطيب من يومئذ"[3]

ويروي البيهقي أنه أتي النبي (ﷺ) بدلو فيه ماء، فشرب من الدلو ثم مج* فيه، ثم صبه في البئر، وفي رواية: شرب (ﷺ) من الدلو ثم مج في البئر ففاح منها رائحة المسك[4].

---

* صلاة الأولى: صلاة الظهر، الجونة: وعاء المسك.

* قال: نام وقت القيلولة، أدوف: اخلط (لسان العرب جـ٣، ص ١٤٥٤)

(١) النووي – نفس المصدر – الأحاديث ٧٨، ٧٩، ٨٠ – جـ ٥، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) البيهقي – دلائل النبوة – جـ ١، ص ٢٥٦.

* الشرى: شئ يخرج على الجسد كهيئة الدراهم، يعرف حديثا ب (الارتكاريا).

(٣) ابن الاثير الجزري – اسد الغابة في معرفة الصحابة – تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرين – دار الشعب ٧ مجلدات – جـ ٢٣ ص ٥٦٨.

* مج الشرب أو الماء من فيه: رماه _ لسان العرب – جـ ٦ ص ٤١٣٦)

(٤) البيهقي – دلائل النبوة – جـ ١ ص ٢٥٧.

(٦)كَرَاهَتَه للروائح غير الطيبة

يقابل حبه (ﷺ) للطيب ولكل ذى أرج عطر، كراهته لكل رائحة غير طيبة، وقد اختص (ﷺ) بألا يأكل كل ما له رائحة كريهة مثل: الثوم والبصل، وعلة ذلك توقع نزول الملائكة بالوحى فى أى وقت[1]. ومن ذلك نهيه (ﷺ) من يأكل من هاتين الثمرتين أن يقرب المسجد، حتى لا يتأذى الملائكة والمصلين، من الرائحة غير المقبولة، حيث قال: من أكل ثوما أو بصلا فلا يقربن مسجدنا، وليقعد فى بيته، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"[2].

ب - التطيب فى السنة

من السنة المستحبة تطييب الفم بالسواك، والتطيب للجمعة والعيدين وعند الإحرام، ومن الواجب تطيب الميت عند الغسل، وقد أُثرت عنه (ﷺ) أحاديث شريفة توضح كيفية تطيب الحائض والنفساء.

١- تطيب الفم

الفم طريق النطق والكلام، ويلزم تطيبه بالتسوك أى دلك الأسنان بالسواك أى بالعود المتخذ من شجر الأراك، وهو أفضل ما استيك بفرعه من الشجر، وأجوده ما استعمل مبللا بماء الورد. وينمو الأراك فى المناطق الحارة والاستوائية: فى المملكة العربية السعودية (عسير وجيزان وأبها) وطور سيناء والسودان وإيران وباكستان وشرقى الهند.

والسواك سنة مستحبة فى مواضع كثيرة:

الصلاة، والوضوء، قراءة القرآن، والقيام من النوم، والأَزَمَ (الجوع)، والقَلَحَ (صُفرة الأسنان ووسخها) وعند دخول البيت، وعند تغير الفم مطلقا، فالسواك مستحب عموما، ولكن فى حالين أشد استحبابا: عند القيام إلى الصلاة وإن لم يكن الفم متغيرا، وعند تغير الفم وإن لم يرد الصلاة[3]. ومن هدى الرسول (ﷺ) فى التسوك:

---

(١) ابن قيم الجوزية - زاد المعاد فى هدى خير العباد - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة مصطفى الحلبى مجلدين - جـ ٣ ص ١٨٩.

(٢) ابن حجر العسقلانى - فتح البارى - الحديث رقم ٨٥٥ - جـ ٢ ص ٣٩٥، النووى - شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٩٧.

(٣) أبو شامة (شهاب الدين المقدس) - السواك وما أشبة ذاك - تحقيق أحمد العيسوى وإبراهيم ابن محمد - دار الصحابة التراث - ١٩٩٠ - ص ٦٠، ٧٣.

أ- حديث أبى هريرة " لولا أن أشق على أمتى، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة[1].

ب- وحديث سَمُرة " طيِّبوا أفواهكم بالسواك، فإنها طرق القرآن"[2].

جـ- وحديث حذيفة " كان (ﷺ) إذا قام من الليل يشوص* فاه بالسواك[3].

٢- التطيب للجمعة

يوم الجمعة هو يوم اجتماع المسلمين للصلاة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾[الجمعة آية٩] وهو سيد الأيام، وفى فضله يروى أبو هريرة عن الرسول (ﷺ) قال: {**خير يوم طلعت فيه الشمس، فيه خلق آدم، وفيه أُهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو فى الصلاة يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه**}[4].

وقد خص بغُسل من الاغسال المستحبة – التى يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها – حتى يكون المسلمون على أحسن حال من النظافة والتطهر عند اجتماعهم للصلاة، روى أبو سعيد الخدرى عن الرسول (ﷺ) قال: {**غسل الجمعة واجب على كل محتلم (بالغ)، وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه**}[5] كما حث (ﷺ) على دهن الرأس، وتطيب الجسم بعد غسل الجمعة، ففى الصحيح روى سلمان الفارسى عن الرسول (ﷺ): {**لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج لا يفرق بين اثنين، ثم يصلى ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**}[6].

---

(١) المناوى – مختصر شرح الجامع الصغير – جـ٢، ص ٢٢٣.

(٢) المناوى – المصدر السابق – جـ٢، ص ٩٢.

* أسفرت البحوث التى أجريت على جذور وسيقان شجر الأراك، فى ألمانيا وأمريكا بالتعاون مع إحدى شركات الأدوية المصرية، عن نجاحها فى تحضير معجون أسنان يحتوى على كل المكونات الطبيعية الفعالة للمسواك، ويمتاز بأثر مضاد للميكروبات والفطريات ومضاد للالتهابات وقابض للثه ويقى من اللطع الجرثومية، ويقى من تسوس الأسنان.

(٣) النووى – شرح صحيح مسلم – الحديث ٤٥، ٤٦ – جـ ١، ص ٥٤٠. شاص: غسل ونظف (اللسان جـ٤ ص ٢٣٥٩).

(٤) النووى – شرح صحيح مسلم – جـ ٢ ص ٥٠٦.

(٥) النووى – المصدر السابق – جـ ٢ ص ٤٩٧.

(٦) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى – الحديث ٨٣٣.

٣- التطيب للعيدين

الأعياد مناسبات فرح وسرور تلى أداء المسلم لفريضتين عظيمتين هما الحج وصوم رمضان. ولقد جعل الله للمسلمين يومى الأضحى والفطر خيراً من أعياد الجاهلية، وفى العيدين يستحب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب، وعن الحسن السبط، قال: "أمرنا (ﷺ) فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد، وأن نضحى بأجود ما نجد"(١) رواه الحاكم.

٤- التطيب للإحرام

أمر الله عباده بالحج والعمرة إلى بيته الحرام، عند الاستطاعة، قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ... ﴾[البقرة آية: ١٩٦]، وقال: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران آية: ٩٧].

وللحج أركان أربعة: الإحرام من الميقات (وهو المكان المحدد لإحرام القادم من بلده) والطواف حول الكعبة، والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، وهى نفس أركان العمرة، عدا الوقوف بعرفة. والإحرام يعنى نية الدخول فى النسك: إفرادا (حجا فقط)، أو قرانا (حجاً مع عمرة)، أو تمتعاً (عمرة ثم تمتع ثم حج).

وللحج واجبات، وسنن، ومحظورات:

فالواجبات أعمال يجب على تاركها دم، وهى الإحرام من الميقات، والترج من المخيط، والتلبية.

أما السنن فهى أعمال لا يجب على تاركها دم، ولكن يفوته أجر كبير، ومنها الاغتسال، والتطيب. والمحظورات أعمال ممنوعة، لو فعلها المحرم - بعد إحرامه - وجب عليه فدية: دم أو صيام أيام، أو إطعام مساكين، ومن بين هذه المحظورات مس الطيب(٢).

فالتطيب قبل الإحرام سنة يفوت تاركها أجر كبير، بينما التطيب بعد الإحرام محظور يلزم فاعله فدية أو صيام أو إطعام.

---

(١) السيد سابق - فقه السنه - جـ ١ ص ٢٦٧.

(٢) أبو بكر الجزائرى - منهاج المسلم - ص ٣٢٠.

الميقات: هو المكان الذى حدده، الشارع للإحرام عنده، لأهل المدينة ذو الحليفة، ولأهل الشام، الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم.

وفى الإحرام والتطيب، روت السيدة عائشة (رضى الله عنها) ثلاثة أحاديث:
فمن حديث عثمان بن عروة " كنت أطيب النبى (ﷺ) عند إحرامه بأطيب ما أجد"[1]
ومن طريق القاسم " طيبت رسول الله (ﷺ) بيدى بذريرة " فى حجة الوداع للحل والإحرام"[2].

ومن طريق إبراهيم بن الاسود " كأنى أرى وبيص* المسك فى مفرق الرسول (ﷺ) وهو محرم[3]، ومنها يتبين هدى الرسول (ﷺ) فى التطيب للإحرام.

٥- تطيب الميت.

ومن السنة الواجبة تطيب الميت بعد غسله، تكريما للإنسان حياً أو ميتاً، وقد أثر عن الرسول (ﷺ) ما روته أم عطية الأنصارية التى كانت تغسل الموتى من نساء المسلمين، قالت "دخل علينا رسول الله (ﷺ) ونحن نغسل ابنته زينب، فقال: {**أغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر إن رأيتن ذاك بماء وسدر، واجعلن من الآخرة كافورا أو شيئا من كافور** }[4] وقال (ﷺ): {**إذا جمرّتم الميت جمروه ثلاثا وترا لأن الله تعالى وتر يحب الوتر**}، وقال (ﷺ): {**اصنعوا بموتاكم كما تصنعون بعرائسكم**}[5].

وفى ضوء هذه الأحاديث أصّل العلماء اجتهادهم فى عملية غسل الميت وتطييبه.

ويروى أن الإمام على بن أبى طالب (كرّم الله وجهه) كان عنده مسك، فأوصى أن يحنط به بعد موته، وقال: هذا فضل حنوط رسول الله (ﷺ)[6] وكان الصحابى الفقيه

---

(١) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى – الحديث ٥٩٢٨ – جـ ١٠ ص ٣٨٢.

(٢) ابن حجر العسقلانى – نفس المصدر – الحديث ٥٩٣٠ –جـ ١٠ ص ٣٨٤.

* الذريرة: قصب الطيب، وبيص: بريق

(٣) ابن حجر العسقلانى – نفس المصدر – الحديث ٢٧١ – جـ ١ ص ٤٥٤.

(٤) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى – جـ ٣ ص ١٢٥ – ١٣٠، النووى – شرح صحيح مسلم – جـ ٢ ص ٥٩٩ وما بعدها

* السدر: شجر نبق يستخدم ورقه غسولا (لسان العرب – جـ ٣ ص ١٩٧١)

(٥) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى – جـ ٣ ص ١٢٥ – ١٣٠، النووى – شرح صحيح مسلم – جـ ٢ ص ٥٩٩ وما بعدها

(٦) ابن قدامة – المغنى – جـ٢ ص ٤٦٨.

* الحنوط: كل ما يطيب به الميت ذريرة أو مسك أو عنبر او كافور أو قصب هندى أو مندل (اللسان جـ٢ ص ١٠٢٤)

عبد الله بن عمر بن الخطاب يذر المسك على الميت ويمسحه به مسحا[1]، أما محمد بن سيرين، فكان يعجبه أن يحنط الميت بالمسك، ولذلك استوهب من أم سليم من المسك التى تعجنه بعرق الرسول (ﷺ)، فوهبت له منه، فلما مات حنط بذلك المسك[2]، ولما ماتت السيدة سكينة بنت الحسين بن على (رضى الله عنهم أجمعين) طلب والى المدينة خالد بن عبد الله بن الحارث أن يُصلى عليها لكنه تأخر، فخشوا أن تتغير رائحتها، فاشتروا لها كافورا بثلاثين ديناراً[3] والحكمة من الكافور فى نهاية الغسل، تطييب رائحة الميت فى وقت تحضره الملائكة، وخاصيته فى التجفيف والتبريد، وقوة النفاذ، وتصليب بدن الميت، وطرد الهوام، وردع ما يتحلل من الفضلات، ومنع إسراع الفساد إليه، وهو من أقوى الأرابيج الطيبة فى التحنيط. كما سبق أن رأينا فى الفصل الأول.

٦- تطييب الحائض

تتطيب المرأة من حيضها بأن تغتسل مثل غسل الجنابة، ثم تأتى بقطعة من القطن أو غيره وعليها شئ من المسك أو الطيب فتتبع بها أثر الدم، لما روته السيدة عائشة (رضى الله عنها) أن امرأة من نساء الأنصار - وكن نعم النساء، لم يكن حياؤهن يمنعهن من التفقه فى الدين - سألت النبى (ﷺ) عن غسلها من المحيض، فقال: " **خذى فرصة*** **من مسك فتطهرى بها**" قالت: كيف اتطهر؟ قال: " **تطهرى بها**" قالت: كيف؟ قال: "**سبحان الله تطهرى**"، وتقول السيدة عائشة: فاجتذبتها إلىَّ، فقلت لها: تتبعى بها أثر الدم[4].

وقد رُخِّص التطيب للمرأة الحادة، المحرم عليها ذلك خلال فترة الإحداد على الزوج - فتستعمل الطيب من أجل طهورها من المحيض، وذلك لحديث أم عطية، قالت: كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا، ولا نكتحل، ولا

---

(١) ابن قدامة - المغنى - جـ٢ ص ٤٦٨.

(٢) ابن سعد - الطبقات الكبرى - جـ٨، ص ٣١٣، ٣٤٩.

* استوهبه: طلب ان يعطى هبة.

(٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى - جـ٨، ص ٣١٣، ٣٤٩.

* الفرصة: القطعة من القطن أو الصوف التى تتمسح بها المرأة (لسان العرب - جـ ٥ ص ٣٣٦٨).

(٤) ابن حجر العسقلانى - فتح البارى - الحديث ٣١٤ - جـ ١ ص ٤٩٤.

نتطيب، ولا نلبس ثوبا مصبوغاً، إلا ثوب عصب*، وقد رخص لنا عند التطهر إذا اغتسلت أحدانا من محيضها فى نبذة من كُسْت أظفار[1].

٧- تطيب النفساء

النفاس هو الدم الخارج من قُبل المرأة عند الولادة، حتى وإن كان المولود سقطا، ولا حدٌ لأقله مدة، أما أكثره فأربعون يوما، لحديث الرسول (ﷺ) فى ذلك الذى روته أم سلمة، وتشترك النفساء والحائض مع الجنب فى تحريم الصلاة، والطواف، ومس المصحف وقراءة القرآن، والمكث فى المسجد، ويزيد على ذلك الوطء والصوم.

وحكم التطهر من النفاس بعد مرور مدته، هو نفس حكم التطهر من الحيض، غسل مثل غسل الجنابة، ثم تطيب بالمسك أو بغيره[2].

٧- الاستطابة

هى الاستنجاء وإزالة الأذى، مشتقة من الطيب، وكفى بذلك لأن المستطيب إنما يُطيب جسده مما علق به من الخبث، وفى ذلك تطهر وتطيب، واستطاب الرجل فهو مستطيب[3].

وقد نهى الرسول (ﷺ) أن يستطيب الرجل بيمينه، تنزيهاً لليد اليمنى عن مباشرة الأقذار، وقد جعلت للأكل والشرب والأخذ والعطاء، والاستطابة أيضا تعنى حلق العانة، لأنه تطيب وتطهر وإزالة أذى، لحديث الرسول (ﷺ): أبغْنِي حديدة استطيب بها".

---

* الكست أو القسط: عود يتبخر به، يجاء به من الهند (لسان العرب – جـ ٥ ص ٣٦٢٧)

(١) ابن حجر العسقلانى – المصدر السابق .

(٢) السيد سابق – فقه السنة – جـ ١ص ٧٣.

(٣) الراغب الأصفهانى – مفردات القرآن – جـ ٣ ص٣٠٩، ابن منظور – لسان العرب – مادة طيب – جـ٤ ص ٢٧٣٤.

(٢) الطيب في حياة الصحابة والتابعين

تأسياً بهدى الرسول (ﷺ) أحب الصحابة (رضوان الله عليهم) العطر والطيب وكان لهم في ذلك أخبار وقصص وعادات وتقاليد، فكانوا يمسحون لحاهم بالمسك إذا قاموا من الليل للصلاة، حتى كانت طرق المدينة تعبق بالطيب أثناء وبعد مرورهم.

١- فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ت ٢١هـ) كان يفضل تجارة العطر، يروى عنه قوله "لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر، إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه"[١] وفى إطار ما عرف من شدة الفاروق على أهله ونفسه، يروى " أنه كان يدفع لزوجته طيبا من طيب المسلمين فتبيعه، فلما كانت تقطع الطيب بأسنانها فيتعلق بعضه بأصابعها فتمسحه بخمارها وقد دخل عليها عمر ذات يوم، وشم رائحة الطيب، وسأل عن هذه الرائحة، فأخبرته الخبر، فقال: طيب المسلمين تأخذينه أنت وتتطيبين به، ثم نزع الخمار من رأسها وغسله بالماء والتراب حتى ذهب ريحه"[٢] وكان يعجب بطيب الريح والنظافة إلى جانب التقوى والورع، فهو القائل " أنه ليعجبنى الشاب الناسك نظيف الثوب وطيب الريح[٣].

٢- وكان الصحابى عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ) ترجمان القرآن، وصاحب الوساد والسواد إذا خرج ليلا إلى المسجد عرف جيرانه ذلك من طيب ريحه قبل أن يروه، حيث كان يضوع شذا المسك[٤].

٣- ويذكر أنه لما حضرت سلمان الفارسي الوفاة (ت ٣٥هـ) عاده بعض أصحابه، فطلب من امرأته بقيرة أن تديف المسك الذى أتى به من بلنجر* وتضعه فى الماء ثم ترشه

---

(١) ابن الجوزى – سيرة عمر بن الخطاب ص ٢١٧ .

(٢) رسالة عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى بغداد ١٤٥ – ٢٣٢هـ – ص ١٤٨

(٣) ابن الجوزى – المصدر السابق – ص ٢٢١.

(٤) ابن سعد – الطبقات الكبرى – دار التحرير – مصر ١٩٦٨ – جـ ٣، ص ١١١، ابن الأثير الجزرى – أسد الغابة – جـ ٣، ص ٣٨٤، كان ابن مسعود مسؤولا عن مكان نوم الرسول (ﷺ)، يوقظه إذا نام، ويستره إذا اغتسل، ويلبسه نعليه، وكان أمينا للسر.

* بلنجر: فى بلاد الحرز (ياقوت – معجم البلدان – جـ ١، ص٤٨٩).

حـول فراشه، انتظارا لزواره من الملائكة الطهار، ففعلت، وخرج العواد من صحابته، ثم رجعوا فوجدوه قد قُبِضَ[1].

٤- أما عـبد الله بن العباس (رضى الله عنهما) (ت ٧١هـ)، حبر الأمة، فكان يُطلى جسـده بالمسـك فإذا مر بالطريق قال الناس: أمرَّ المسك، أم مرَّ ابن العباس؟ وكأنه لطيمة مسك يسطع شذاها عند مسيره، وفى ذلك قال الشاعر:

يفـوح مسـكا طـيب ريـح ثـيابه وكـذاك ريـح الماجـد الـوهاب[2]

وروى الإمـام الشـافعى عن الحسن بن زيد الهاشمى* عن أبيه، قوله رأيت ابن عباس محرما، وأن على رأسه مثل الرب* من الغالية[3].

ولـما بعـثه أمـير المؤمـنين علـى بـن أبـى طالـب إلى الخوارج (ت ٤٠هـ)، لبس أفضل ثـيابه، وتطـيب بأطـيب طيبه، وركب أفضل مراكبه، ثم خرج عليهم، فقال أحدهم: يا بـن عـباس: بيـنا أنـت خـير الناس، إذا أتيتنا فى زى الجبارين ومراكبهم، فتلا عليهم قـول الله سـبحانه وتعـالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[الأعراف آية: ٣٢]. ثم قال: البس وتجمل فإن الله جميل يحب الجمال[4]

٥- واعـتاد أبـو قلابـة، عـبد الله بن زيد، صاحب ابن عباس، أن يتخلق بالخلوق، قبل أن يجلس فى مجلس العلم[5].

٦- وعـبد الله بـن الـزبير، (ت ٧٣هـ) كـان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، فحنكه الرسـول (ﷺ) بثمـرة مضـغها فـى فمـه، وكان ريقه (ﷺ) أول شئ دخل جوف عبد الله،

---

(١) أبو نعيم الأصفهانى – حلية الأولياء – جـ ١، ص ٢٠٧.

(٢) الوطواط – غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة – دار صعب – بيروت – ص ٤٣.

* الحسـن بـن زيد بن الحسن بن على بن ابى طالب، كان أميرا للمدينة لأبى جعفر المنصور (جمهرة انساب العرب – ص ٣٩).

* الرب: الطلاء الخاثر، الغالية: طيب مركب من مسك وعنبر.

(٣) الأم – الامام الشافعى – طبعة الشعب – جـ ٢، ص ١٢٩.

(٤) أبو حنيفة النعمان – دعائم الإيمان – جـ ٢، ص ١٥١.

(٥) ابـن قتيـبة الديـنورى –عـيون الأخبار– الهيئة المصرية العامة للكتاب –١٩٧٣– ٤ مجلدات –مجـ١، ص ٣٠٣.

وكـان عَطِرا محبا للعطر، فيروى أنه كان يرى على رأس عبد الله بن الزبير من المسك ما لو كان لآخر غيره لكان رأس ماله كناية عن الكثرة.

٧- وكـان عـبد الله بـن عمـر بـن الخطاب (ت ٧٣هـ) حريصا كل الحرص على أن يستن بسـنة الرسـول (ﷺ) ويتأسـى بهديـه فـي كـل شئ، فكان يستجمر بعود مطرى، ويقـول: هكـذا كـان رسـول الله (ﷺ) يسـتجمر، وكـان عـبد الله يصـفرٌ لحيته بالزعفران والـورس فـيه المسـك، ويـدهن بالخلـوق يغيِّـر شيبه، وأكثر من ذلك كان يفت المسك فى الدهن يدهن به[1].

٨- والخلـيفة عمـر بـن عـبد العزيـز (ت ١٠١هـ) خامس الراشدين، كان أعظم أموى تـرفا وتملكـا، غُـذى بالمُلك ونشأ فيه، وكان لا يعرف إلا وهو تعصف ريحه، ويُشم طيبه مـن بعد[2]، وكان يُرى فى المدينة وهو أعطر الناس، وألبس الناس، واخيلهم فى مشيته، ويسـرف فى عطره حتى كان يدخل فى طيبه حمل القرنفل، وقد رؤى العنبر على لحيته كـالملح[3] ومـن شـدة عـبق الطـيب فـى جسـمه وملابسه، كان الأهالى يرشون الغسال كى يغسـل ثـيابهم إثـر ثـياب عمـر[4]، كـى تتعطر من آثار ملابسه، هكذا كان حال عمر مع الطـيب قـبل الخلافـة، أمـا بعـدها فكـان شـأنا آخر: يروى أنه لما دفن سليمان بن عبد الملـك، وقـام عمـر خلـيفة للمسـلمين، قـربت إلـيه المراكب التى لم تركب فتركها وخرج يلتمس بغلته، وعُرض ما لم يلبس من اللباس، وما لم يمس من الطيب، فقد كان الخليفة إذا مات فما لبس من الثياب أو مس من الطيب كان لولده، وغير ذلك كان للخليفة بعده — فقام عمر ببيع كل ما كان له من متاع أو مركب أو لباس أو طيب فبلغ ثلاثة وعشرين ألـف ديـنار ثـم جعلـها لبيت المسلمين[5] كما روى أنه أتى له بالطيب الذى كان للخلفاء فـى بيت المال، وكان من بينها عنبرة تزن نحو خمسمائة أو ستمائة رطل، ومسك كثير،

---

(١) الذهبى – سير أعلام النبلاء – دار المعارف جـ٣، ص ١٤٩.

(٢) ابن عبد والحكم – عمر بن عبد العزيز – ص ٢٦.

(٣) ابن الجوزى – سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز– دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٤ .

(٤) أبـو الفرج الأصفهانى – الاغانى – طبعة دار الشعب ١٩٧٩ – ٣٠ جزءاً – جـ ٣، ص ٣٣٨، أبو نعيم الأصفهانى – حلية الأولياء – جـ ٣، ص ١٤٦.

(٥) ابن عبد الحكم – المصدر – السابق – ص ٣٨، ١١٩.

فجعـل عمـر كمه على أنفه، ثم قال: يا غلام أرفع هذا، فإنما يستمع من هذا بريحه[1]، كمـا رفـض شـم مسك الفئ الذى جاء به صاحب الطيب، واعاد وضوءه بعد مسح العنبرة بيده، وأمرَّها على أنفه، وطلب ممن سيلى حنوطه –بعد وفاته– ألا يجعل فيه مسكا[2].

٩– وأكثـر عـثمان بـن عروة الزبير (ت ٩٤هـ) من التطيب بالغالية، حتى كان الناس ينتظرون قيامه من مصلاه، فيأتون إلى مكانه يسلتون الغالية من على الحصباء مما أصابها من لحيته[3].

١٠– وعـالم الحـديث ابن شهـاب الزهرى (ت ١٢٤هـ)، أحب المسك، وكان يتطيب بـه كـثيرا وقـد سـئل ابـن أخيه: هل كان الزهرى يتطيب؟ فقال: كنت أشم ريح المسك حتـى من علاقة سوط دابته[4]! فى كناية عن شغفه بالمسك، وطيب ريح كل أدواته حتى علاقة السوط.

١١– وكـان مالـك بن أنس (ت ١٧٩هـ) إمام دار الهجرة، قد نشأ على توقير للرسول (ﷺ) ولحديـثه، حتى أقبل الناس، خرجت جارية تسأل: أتريدون الحديث أم المسائل؟ فـإن قالـوا المسـائل، خـرج إلـيهم فأفـتاهم، وإن قالـوا الحـديث، دخل مغتسله وتطيب بالطـيب الجيد مسكا وغيره، ولبس ثيابا جديداً، حتى إذا جلس للحديث وضع المجمر فـلا يزال يتبخر حتى يفرغ ولما قيل له فى ذلك، قال: أحب أن أعظِّم حديث رسول الله (ﷺ)[5].

١٢– وروى أن رجـلا دخل على التابعى محمد بن المنكدر، فوجده قاعدا على حشايا مضـاعفة وجاريته تغلفه بالغالية، فقال: رحمك الله يا بن المنكدر، جئت أسألك عن شئ وجدتك فيه – يريد التزين – قال: على هذا أدركت الناس[6].

وهكـذا كـان حـال صحابة الرسول (ﷺ) و (رضى الله عنهم) وعن تابعيهم وعن تابعى تابعـيهم الـذين أحسنوا التأسى بالرسول وكان لهم مع الطيب عامة، والمسك خاصة شأن وأى شأن.

---

(١) ابن الجوزى – المصدر السابق – ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) ابن الجوزى – نفس المصدر – ص ١٣٨، ٣٢٢.

(٣) د. عبد الله السيف – الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى نجد والحجاز في العصر الأموى – ص ٢٩٦.

(٤) أبو نعيم الأصفهانى – حلية الأولياء – جـ ٣، ص ٣٧١.

(٥) القرطبى – الاقتناء.

(٦) ابن عبد ربه– العقد الفريد– تحقيق مفيد قميحة – دار الكتب العلمية – ١٩٨٣ – ٩ اجزاء جـ٢٠، ص ٢١٣

العطر والطيب مع صحابى ويهودى

نذكـر فـى هذا المقام مقارنة بين موقفين لرجلين مع العطر والطيب، ولكل منهما صلة ومناسـبة ولكـن مختلفة الأثر، فبينما هجر الأول عطره وماله ودلاله جهادا فى سبيل الله حتى لقيه شهيدا، كان عطر الثانى سببا فى هلكته وحيلة إلى قتله.

فـالأول كـان الصـحابى مصـعب بـن عمـير، أعطـر أهـل مكة، وأكثرهم شبابا وجمالا وسـبيبا، الـذى ولـد فـى حجر النعمة، وشب تحت خمائل الدلال، وأشرب ألوان المتعة والـترف، ولما فتح الله القلوب على الإيمان، خرج مصعب من النعمة الوارفة، وآثر عليها الشـظف والحرمان فى ظل الإسلام، ونور اليقين، وأصبح الفتى المتألق المتعطر المتأطر، لا يُرى إلا فى أخشن الثياب، يأكل يوما ويجوع أياما، فقد سمت روحه وطهرت، وجعلت مـنه العقـيدة إنسانا آخر، وعنه قال الرسول (ﷺ): **[لقد رأيت مصعبا هذا، وما بمكة أنعم عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حبا لله ورسوله]**[1].

أمـا الثانـى فكـان كعـب بن الأشرف، طاغوت يهود بنى النضير بالمدينة، فقد أهلكه عطـره، بعـد أن آذى الله ورسـوله، محرضا على مقاومة الدعوة، وباكيا أصحاب القليب مـن مشركى قريش فى بدر، ومشببا بنساء المسلمين، فنهض لقتله بعض الصحابة، الذين ذهـبوا إلـيه فـى حصـنه، يُظهـرون له الشكوى مما أصابهم مع محمد من جهد ونصب، وَيدَّعـون اقتراض المال برهن السلاح، واستخدموا الحيلة بمدح شعره وطيب ريحه، يقول ابـن هشـام: فلما نزل كعب لمقابلتهم ينفح منه ريح الطيب، قالوا له: ما رأينا مثل اليوم ريحـاً أطيب قال لهم: عندى أعطر العرب، فطلب أحدهم أن يشم رأسه فأذن له، فشمه وأشـم أصحابه واستمكن منه حتى قتلوه[2]. وكان عطر كعب شؤما عليه، وأستُخْدِم حيلة لقتله، وطريقا لهلكته، كما كان عطر منشم مثلا فى الشؤم.

---

(١) ابن سعد – الطبقات الكبرى – جـ ٣، ص ٨٣.

ابن الأثير الجزرى – أسد الغابة – جـ ٥، ص ١٨١.

النووى – شرح صحيح مسلم – جـ ٢، ص ٦٠٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٥٤.

النووى – شرح صحيح مسلم – جـ ٤، ص ٤٤٤.

ابن حجر العسقلانى: فتح البارى، ج٣، ص١٧.

تطيب الصحابة في رأى مستشرق

أرجع المستشرق المجرى أجنتس جولد تسبهر (ت ١٩٢١م)، نشأة التصوف الإسلامى إلى مصادر أجنبية: هندية وفارسية ومسيحية وقد تأثر فكره بما فى الديانات السابقة على الإسلام من مسائل الاعتزال والرهبنة والسياحة، كما أنه لم يتصور نشأة الزهد إلا فى حدود القصور المسيحى، ولذا انكر وجوده فى الصدر الأول للإسلام بل وقال عن تطيب الصحابة (رضوان الله عليهم) " ومما يسترعى النظر أن هذه التراجم تعرض بطريقة عادية بيانات تناقلها الرواة، وبسطوا ما اعتادته هذه الشخصيات الورعة من تعطر وعناية بشعر اللحية والرأس، وكيف كانوا يتأنقون بفاخر الثياب، وكيف كان للطيب عندهم مكانة خاصة، مع أن الأتقياء الذين هم أعداء ألداء لفنون التزين، وأبوا على ذمه واستنكاره"[1].

ورد عليه أحد الباحثين " إن جولد تسيهر فى الواقع لم يفهم جوهر الإسلام، حين رأى تنافسا بين الزهد والجهاد من ناحية، وبين الزهد ونظافة المسلم وحسن منظره على العموم من ناحية أخرى، فالتعطر والتأنق جانب من جوانب الفهم الإسلامى للإنسان الذى كرمه الله سبحانه وتعالى، وفضله على جميع المخلوقات، ولم يكن الزهد لدى المسلمين يفرض عليهم التخلى عن تكريم الإنسان، وقد كرمه الله، والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ثم إن الإسلام يعنى عناية كبيرة، بتنمية التواد والتآلف بين جماعة المسلمين، ويكره للمسلم أن يكون مظهره منفرا للناس، بل يجب أن يكون فى ملبسه وفى عامة منظره وفى رائحته مصدرا للأنس والسرور والبشاشة بين جلسائه"[2].

وقال باحث آخر " لا جفاء بين الزينة والعبادة، كما يتوهم بعض أصحاب الاحساس البليد فالإنسان يتقرب إلى ربه بحسن الزينة والوجاهة فى السمت، يتخذه فى جمال الشارة، وبهاء الطلعة فى الزى، وفاغم العبير فيما يتعطر به ويتأرج، كل هذا من غير مرح أو خيلاء، أو تصعير خد وكبرياء، كأنما تتحدث زينته بنعمة ربه[3]".

---

(١) جولد تسيهر – العقيدة والشريعة – مترجم – دار الكاتب العربى – ١٩٤٦ – ص ١٢٨.

(٢) د. عبد الغنى الراجحى – عبد الله بن مسعود – دار الشعب – ص ٩٤.

(٣) محمد عبد الواحد حجازى، أثر القرآن فى اللغة العربية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧١، ص١٤٢

من فقه الطيب

تحت هذا العنوان، وعن موضوع العطر والطيب، تثار بعض المسائل كما الشأن فى كل أمر، وتلقى بعض الأسئلة بين يدى الفقهاء، وأمام نظر العلماء، ويكون رأى أو فتوى، تجمع بين حكمة الشريعة وطرافة الرواية، من ذلك:

طيب فى مدهن فضة

وروى أن أبا حنيفة وابن أبى ليلى وجماعة من العلماء دعوا إلى وليمة، وبعد الأكل أحضر لهم طيبا فى مدهن فضة، فأبوا أن يستعملوا ذلك الطيب لحال المدهن — حيث ينهى عن الأكل والشرب فى آنية الذهب والفضة — فأخذ أبو حنيفة المدهن وسلت منه الطيب بأصبعه وجعله فى كفه، ثم تطيب به، ثم قال لإخوانه: ألم تعلموا أن أنس بن مالك أتى بخبيص" فى جام من فضة، مقلية على رغيف ثم أكله، فتعجب الحضور من فطنة أبى حنيفة وعقله"[١].

فأرة المسك والغرر

يثور تسأول: هل بيع المسك فى فأرته من الغرر؟.

والغرر هو كل بيع يحتوى على جهالة المشترى، أو يتضمن مخاطرة أقمارا، وقد نهى الرسول (ﷺ) عنه[٢]. لأن مثل هذه المعاملات تعتبر من باب أكل أموال الناس بالباطل ومما يثير الاحن والأحقاد بين المسلمين، وعلى ذلك يجب فحص السلعة إن كانت حاضرة، ووصفها وتحديد نوعها وكميتها بدقة إن كانت غائبة، ولما كان المسك يباع ويشترى فى فأرته أى نافجته ووعائه التى تصونه وتحفظ عليه رطوبته ورائحته، والمسك فى نافجته نظير الصنف الذى يوجد مأكوله فى جوفه، مثل: الجوز واللوز والفستق وجوز الهند[٣].

ومن ذلك يظهر أن بيع المسك فى فأرته، ليس فيه من الغرر أى شئ.

---

(١) ابن عبد البر – الاقتناء فى فضل الائمة الفقهاء – ص ٣٩

الخبيص: حلواء فى التمر والسمن، لسان العرب.

(٢) النووى – شرح صحيح مسلم – جـ ٤، ص ٥، ٣٥.

(٣) دار الافتاء المصرية – الفتاوى الإسلامية – جـ ٥، ص ١٦٥٢.

الكولونيا و الكحول

تثار شبهة احتواء الكولونيا وأنواع العطور على نسبة عالية من الكحول مما يؤثر على الوضوء لكن الكحول الموجود – وهو مادة مسكرة – يحرم شربها فقط، لأن الأصل فى الأعيان الطهارة، ولا يلزم كون الشئ محرما أن يكون بخسا، فالتبخيس حكم شرعى يلزمه الدليل، فالمخدرات والسموم القاتلة محرمة وطاهرة لأنه لا دليل على نجاستها، فالنجاسة يلازمها التحريم، وكل نجس محرم، ولا عكس، فيحرم لبس الحرير والذهب على الرجال، وهما طاهران شرعا، وعلى ذلك فإن الكولونيا بما تحويه من كحول طاهرة، ولا بأس من استعمالها فى التنظيف والتطيب، ولا تؤثر على الوضوء[1].

تمثيل الأعمال الصالحة بالمسك

لما كان المثل يضرب فى الطيب والمسك، حيث يشبه به كل طيب، ولا يشبه هو بشئ ومن حديث الرسول (ﷺ) "أطيب الطيب المسك"[2].

لأنه ريح الجنة، وختام شراب الأبرار، فقد مثّل (ﷺ) الأعمال الصالحة بريح المسك، فى حسن صورة الجليس الصالح، وفضل فريضة الصوم، وعظمة الشهادة فى سبيل الله، وذلك بما أوتيه (ﷺ) من جوامع الكلم، وما اشتملت عليه الأحاديث من مجاز واستعارة، وتشبيه للمعنوى بالمحسوس، حتى تقترب المعانى إلى الأذهان.

مثل الجليس الصالح

عن أنس (رضى الله عنه) قال رسول الله (ﷺ): "مثل الجليس الصالح مثل العطار، إن لم يعطك من عطره، أصابك من ريحه"[3]، ومن حديث أبى موسى، قال (ﷺ): {**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك، إما تشتريه أوتجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة**}[4] ويستفاد من الحديثين أن مجالسة الصالحين وأهل العلم تثمر الخير دائما، ويقول ابن قيم الجوزية " إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم

---

(١) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى.

(٢) ابن حجر العسقلانى – المصدر نفسه – الحديث ٢١٠١ – جـ ٤، ص ٣٧٩.

(٣) ابن حجر العسقلانى – المصدر نفسه – الحديث ١٨٩٤، ١٩٠٤ – جـ ٤، ص ١٢٦، ١٤١.

(٤) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب فى الكلم الطيب.

يمسس طيبا، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذى أصابه الهوى لا يشم شيئا من هذا"[1].

فضل الصوم

روى أبو هريرة عن الرسول (ﷺ) " قال الله تعالى: **{كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فأنه لى، وأنا أجزى به، وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إنى امرؤ صائم، والذى نفسى محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه}**[2].

يروى الإمام أحمد فى حديث الحارث الأنصارى، أن الرسول (ﷺ) قال: **{ إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا {عليه السلام} خمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها ... أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، أمركم بالصلاة، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وأن ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، وأمركم بالصدقة، وأمركم أن تذكروه....}**[3].

وفى تعليقه على الحديث، يقول ابن قيم الجوزية " مثَّل (ﷺ) حال الصائم بصاحب الصرة التى فيها المسك، لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه كعادة حامل المسك. وهكذا الصائم، صومه مستور عن مشاهدة الخلف لا تدركه حواسهم، ومن صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، خرج عمله كله صالحا نافعا، كانت هذه الأعمال بمنزلة الرائحة التى يشمها من جالس حامل المسك"[4].

---

(١) ابن قيم الجوزية – الوابل الصيب فى الكلم الطيب ص ٢٩.

(٢) ابن حجر العسقلانى – المصدر نفسه.

(٣) ابن قيم الجوزية – الوابل الطيب – ص ١٦، نقلا عن الامام أحمد – المسند – جـ ٤، ث ٢٠٢.

(٤) ابن قيم الجوزية – نفس المصدر – ص ٢٤.

فضل الشهادة

روى أبـو هريـرة عن الرسول (ﷺ){والـذى نفسى محمد بيده، لا يكلم أحد فى سبيل الله – والله أعلـم بمـن يكلـم فـى سبيله – إلا جاء يـوم القيامة وجـرحه على هيئته يثقب[*] دما، اللون لون دم، والريح ريح مسك}[1].

ولما كـان أطيب مـا عـند الـناس مـن طـيب هو رائحة المسك، فقد مثل (ﷺ) خلوف الصـائم وريـح دم الشـهيد بريح المسك عندنا، وإن نسبة استطابة كل من الخلوف، وريح دم – الشـهيد عـند الله يـوم القيامة، كنسبة سائر صفات الله سبحانه وتعالى وأمثاله، لا تماثـل اسـتطابة المخلـوقين، فمـن صـفات المخلـوق ذو الطبائع والميول أن يستطيب شيئا فيمـيل إلـيه، وأن يسـتقذر شـيئا آخر فينفر منه، وحاشا لله تعالى وتقدس عن كل تشبيه وتمثيل[2].

ويلقـى ابـن القـيم الضـوء علـى المقصود بلفظتى (عند الله) فى حديث فضل الصوم، و (يـوم القـيامة) فـى حـديث فضـل الشـهادة، بـأن الصـوم لا تعدل له ولا مثل فى تهيئة الـنفوس للـتقوى، وقد استهل (ﷺ) الحديث بقوله: {قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فأنه لى وأنا أجزى به"، ومن هنا كانت النسبة إلى الله، اطيب عند الله، لاثبات الفضل، وذكر يوم القيامة لأنه يوم الجزاء والحساب، حيث يظهر رجحان خلوف فم الصائم وريح دم الشهيد[*] فى الميزان على ريح المسك عند الله تعالى وملائكته، حتى وإن كانت تلك الرائحة كريهة عند العباد، تنافر طباعهم، ورب مكروه عند الناس محبوب عند الله والعكس، والله سبحانه يستطيب ذلك الخلوف وريح دم الشهيد لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر طيب هذه – الأعمال للعباد وصار علانية وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير أو الشر}[3].

---

* يكلم: يجرح، يثغب: من الثغب وهو الأخدود يحتقر المسائل من عل، ويعنى يسيل (لسان العرب – جـ١، ص ٤٨٦).

(١) ابن حجر العسقلانى – صحيح البخارى – الحديث رقم ٢٣٧ – جـ ٢، ص ١٣٨، جـ ١، ص ٤١١.

(٢) ابن قيم الجوزية – نفس المصدر – ص ٢٧.

* سـمى الشـهيد كـذلك لأنه شهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة، وأن الله سبحانه وملائكته ورسله يشهدون له بالجنة، وكذلك دمه عليه شاهد بكوه شهيدا (لسان العرب جـ ٣ ص ٢٣٥).

(٣) ابن قيم الجوزية – الوابل الصيب – ص ٢٧، ٢٩.

وفـى مقارنـة خلـوف فـم الصـائم، وريـح دم الشهيد، يذكر ابن حجر العسقلانى "أن الخلـوف أعظـم مـن دم الشـهادة، لأن الحـديث شـبه ريـح دم الشـهيد بـريح المسك أما الخلـوف فوصفه بأنه أطيب من ريح المسك، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشـهادة، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما، فأصل الخلوف طاهر، وأصل الدم بخلافه، وكل ما أصله طاهر أطيب ريحا"[1].

وقـد اسـتدل الفقهـاء بحـديث طـيب ريـح دم الشهيد، على أن تبدل الصفة يؤثر فى الموصوف فكما أن تغير صفة الدم بالرائحة الطيبة، أخرجه من الذم إلى المدح، كذلك تغير صـفة المـاء بالنجاسـة يخرجه عن صفة الطهارة، ومن ذلك يتبين طهارة المسك، ردا على مـن يقـول بنجاسته لكونه دما قد انعقد، ولكن لما تغير عن الحال المكروهة من الذم،وهى الـزهومة وقـبح الـرائحة — إلى الحـال الممدوحـة وهـى طـيب الـرائحة، انـتقل مـن حال النجاسة إلى حال الطهارة، مثل الخمر إذا تخللت أى (تحولت إلى خل).

---

(١) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى – جـ ٤، ص ١٢٨.

٣- تطييب الكعبة وتجمير المساجد

الكعبة سرة الأرض، تقع فى قلب مكة، وحول مكة الحرم، وحول الحرم الدنيا[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران آية: ٩٦].

وينسب بناء الكعبة للملائكة قبل أن يخلق الله الأرض، كما ينسب البناء لآدم {عليه السلام} أو ابنه شيث، ثم أمر الخليل إبراهيم برفع قواعد البيت وتطهيره، قال تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[البقرة آية: ١٢٥]، وتطهير البيت يعنى إزالة الأوثان منه، وإبعاده عن الشرك، وجعله خالصا لعبادة الله وحده، طوافا وقياما وركوعا وسجودا، كما يعنى تنظيفه وتطييبه وتجميره، وذلك لحديثى السيدة عائشة (رضى الله عنها): "طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره"[٢]، " لأن أُطَيب الكعبة أحب إلىَّ من أن أهدى لها ذهبا وفضة"[٣] وقد ذكر القاسمى: أنه كان فى بطن الكعبة قرنا كبش معلقان تلقاء من دخلها، يخلقان ويطيبان إذا طيب البيت، وقد علق عليها معاليق من حلى كانت تهدى للكعبة"[٤].

وكانت الكعبة تجمر أى تبخر قبل الإسلام، روى الأزرقى عن الأزهرى: "أنه لما بلغ الرسول (ﷺ) الحلُم، أجمرت إمرأة من قريش الكعبة، فطارت شرارة من مجمرتها فى ثياب الكعبة فاحترقت، فوها البيت وآل للسقوط بسبب الحريق الذى أصابه، وهدمته قريش وأعادت بناءه، حتى وصلت إلى موضع الركن، يقصد الحجر — اختلفت واختصمت فيما بينها من يرفعه، ورفعه الرسول (ﷺ)"[٥].

---

(١) ياقوت الحموى – معجم البلدان – مادة كعبة – جـ ٤، ص ٤٦٣

كشفت البحوث العلمية الفلكية مؤخرا، ان الكعبة هى مركز الأرض، وقد بنيت فى قلب مكة، (عبد القدوس الأنصارى – التاريخ المفصل للكعبة المشرفة.

(٢) الزركشى – أعلام الساجد بأعلام المساجد – تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٩٨٢ ص ١٨٣، السيد سابق – فقه السنة – جـ ١، ص ٦٤٤.

(٣) الأزرقى –أخبار مكة– تحقيق رشدى الصالح –دار الأندلس– بيروت–١٩٨٢ – جزءين – جـ ١ ص ٢٥٧

(٤) القاسمى –شفاء الغرام فى أخبار المسجد الحرام، د. جواد على– المفصل فى تاريخ العرب– جـ٦، ص٤٣٢

(٥) الأزرقى – المصدر السابق – جـ١ ص ١٥٨.

وظـل تطيـيب الكعـبة مـع كسـوتها وكـذا تجمـير المسجد الحرام سنة وعهدا فى كل العصـور، ويذكـر أن معاويـة بـن أبـى سـفيان أول مـن طيب الكعبة بالخلوق، والمجمر، وإحراق الزيت بقناديل المسجد من بيت مال المسلمين[١].

فقـد أمـر شـيبة بـن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوى، ويخلقها بالطيب، فطيب جـدرانها بالخلـوق ثم كساها الديباج* فى يوم عاشوراء، والقباطى* فى آخر رمضان وقسم الثياب التى كانت عليها على أهل مكة، ثم أجرى معاوية وظيفة من الطيب لكل صلاة، وكان يبعث بالطيب والمجمر والخلوق فى الموسم (الحج) وفى رجب[٢].

ولمـا أتم عـبد الله بـن الـزبير إعادة بناء الكعبة ٦٥هـ، كساها الديباج وطيبها بأحسن الطـيب وطـلا حيطانها بالمسك، وخلق جوفها بالخولق، وكان يجمرها كل يوم برطل من مجمر (العود)، ويجمرها كل جمعة برطلين، وما زال عبد الله يكسوها كل سنة، ويطيبها كل يوم، حتى استشهد عام ٧٣هـ[٣].

وحـج أمـير المؤمـنين المهـدى (ت ١٦٠هـ)، فجـرد الكعبة مما كان عليها من أكسية قديمـة كانـت توضع بعضها فوق بعض، خوفا من أن تهدم الكعبة لكثرة الكسى وثقلها، ثم كساها كسوة جديدة وطلا حيطانها بالغالية والمسك والعنبر[٤].

وذكـر أن أم الخلـيفة المقـتدر بـالله (ت ٣٢٠هـ) كانـت تصنع ندا من المسك التبتى، والعنـبر السحرى — وهما أطيب أصناف الطيب على الإطلاق — ويخصص لتبخير الكعبة المشرفة، وكذا صخرة بيت المقدس بالمسجد الأقصى كل يوم جمعة[٥].

---

(١) ياقوت الحموى – معجم البلدان – جـ ٤، ص ٤٦٧.

* الديباج: ضرب من الثياب متخذ من الابريسم (الحرير). (لسان العرب – جـ٢، ص ١٣١٧).

* القباطـى: جمـع قبطـية وهـى مـن ثـياب مصر، رقيقة بيضاء، وكأنه منسوب إلى القبط وأهل مصر. (اللسان جـ٥، ص ٣٥١٤).

(٢) الأزرقى – اخبار مكة – جـ ٤، ص ٤٦٧، عبد الكريم القطبى – إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ص ٦٣.

(٣) الأزرقى – المصدر السابق – جـ١، ص ٢٥٧.

(٤) الأزرقى – المصدر السابق – جـ ١، ص ٢٥٨.

(٥) النويرى – نهايى الأرب فى فنون الأدب – وزارة الثقافة والارشاد القومى – سفر ١٢، ص ٦٢.

ولما ضعف أمر العباسيين، صارت الكسوة ترسل تارة من اليمن، وتارة من مصر، إلى أن استقرت مصر، ثم اختصت الدولة العثمانية — التى استولت على مصر والحجاز — بكسوة البيت، وكسوة الحجرة النبوية المشرفة، علاوة على الشمع الذى يسرج داخل الكعبة وخارجها، وفى مقامات المسجد الحرام ومناشره، وكذا طيب الكعبة وبخورها: تعطر الورد، وماء الورد والعنبر والند[1].

وفى الوقت الحالى تتولى حكومة المملكة العربية السعودية تمويل أعمال التوسعات المتعددة للحرمين الشريفين، حتى يمكن استيعاب العدد المتزايد — بفضل الله — من ضيوف الرحمن حجاج ومعتمرين، وقد انشئ فى مكة المكرمة مصنع يختص بكسوة الكعبة، مزود بكافة الامكانات المادية والبشرية لإعداد الكسوة وتطريزها وتحليتها بآيات القرآن الكريم، وقد عهد إلى شركات كبرى بمهام التنظيف والتطهير لكل ساحات الحرم والمطاب والمسعى بأدواره الثلاثة، وردهات المسجد وأعمدته ومنائره، وباستخدام أرقى وسائل تكنولوجيا العلوم فى الإنارة والتكييف والمصاعد الكهربائية التى تحمل المصلين إلى الادوار العليا فى المسجد، بخلاف المباخر كبيرة الحجم التى تحمل على الرءوس فى ساحات الطواف، وتطييب ردهات المسجد الحرام.

ويذكر الزركشى "أنه يحرم أخذ شئ من طيب الكعبة المخصص لتطييبها، أو الطيب الذى طيبت به جدرانها أو بابها أو الحجر الأسود، ومن أخذ منه شيئا، لزمه الرد، وإذا اراد أحد التبرك أو الاستشفاء، جاء بطيب من عنده، فمسح الكعبة ثم أخذه، قال عطاء: كان أحدنا إذا أراد أن يستشفى جاء بطيب من عنده فمسح الحجر[2].

غسل الكعبة

غسل الكعبة مناسبة عظيمة، بدأت فى عهد الرسول (ﷺ) يوم فتح مكة، واستمر الخلفاء الراشدون من بعده كسنة لكنها لم تحدد بيوم، وحاليا تغسل الكعبة مرتين كل عام، فى أوائل شهر شعبان، وأوائل شهر ذى الحجة، وفى أيام المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود كان الغسيل فى اليوم السادس أو السابع من ذى الحجة،

---

(١) الأزرقى – المصدر السابق – جـ ١، ص ٢٦٢.

(٢) الزركشى – إعلام المساجد بأعلام المساجد – ص ١٤٣.

ولكن تلافيا للزحام الشديد الذى يشهده المسجد الحرام رؤى تقديم هذا اليوم[1].

وكانت الكعبة تغسل بماء زمزم، فيبلل الشاش بماء الورد وماء زمزم ويمسح به جدار الكعبة، وليس هناك أدعية خاصة، إلا أن يقال ما قاله الرسول (ﷺ) اللهم أدخلنا مدخل صدق، واخرجنا مخرج صدق، واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " ويحضر هذا الاحتفال المهيب، خادم الحرمين الشريفين الملك، أو أمير منطقة مكة نيابة عنه، وكبار العلماء، وسدنة المسجد الحرام، وملوك رؤساء الدول[2]، ويا سعد من يكرمه الله تعالى من ضيوف الرحمن حجاج أو معتمرين، ويدخل الكعبة المشرفة.

تجمير المساجد

المساجد بيوت الله تعالى على الأرض، وهى مراكز الإيمان، ومنارات العلم، ووجب على المؤمنين إقامتها وعماراتها وصيانتها وتطهيرها وتطييبها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة آية: ١٨]، وفى حديث السيدة عائشة (رضى الله عنها) ما رواه أحمد وأبو داود والترمزى وابن ماجة " أن رسول الله (ﷺ) أمر أن تُتخذ المساجد وأن تُطهر وتطيب وكان نعيم المجمر يتولى جمار مسجد الرسول (ﷺ) بالعود والبخور ومختلف ألوان الطيب. وذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أمر أن يجمر مسجد رسول الله (ﷺ) كل يوم جمعة حتى ينتصف النهار بالطيب والزعفران[3]، ويستحب تنظيف المساجد وتطهيرها وتجميرها أى تبخيرها بالعود، وتطيبها وتخليقها أى دهنها بالخلوق والزعفران، وقد روى مؤرخ المدينة

---

(١) جريدة (المدينة) السعودية – العدد ٩٤٤٠ – الصادر فى غرة ذى الحجة ١٤١٢هـ – ص ١٢ بلغت تكلفة توسعة الحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ٣٠ مليار ريال سعودى، وزادت المساحة من ٣١,٥ ألف م إلى ١٤٩ ألف م أى حوالى تسعة أمثال، فضلا عن ٢٣٥ ألف م من المساحات الخارجية والسطح لتصبح المساحة الاجمالية ٤٠٠ ألف م اى ٢٥ مثل سعة المسجد القديم. ناهيك عما يرتبط بذلك من وسائل الخدمات التكنولوجية وتكلفة توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة حوالى ١٢٠ مليار ريال سعودى، وزادت المساحة من ١٩٣ ألف م إلى ٣٥٦ ألف م بنسبة ٨٤,٥ %. (جريدة الأهرام فى عددها الصادر يوم الأربعاء ٣ من ذى الحجة ١٤١٥) ٣ مايو ١٩٩٥.

(٢) جريدة المدينة – السعودية – العدد ٩٤٤٤ز – صادر يوم أول ذى الحجة ١٤١٢هـ – ص١٢.

(٣) الزركشى – إعلام المساجد بأعلام المساجد – ص ٣٣٥، السيد سابق – فقه السنة – جـ ١، ص ٢١١.

ومحدثها عمر بن شبة(ت ٢٦٢هـ) عندما سئل عن بدء الزعفران فى مسجد الرسول(ﷺ)، قال: رأى رسول الله (ﷺ) تُخامة "فى المسجد فاستقبح ذلك، فجاء صاحبها فحكها، وطلا مكانها بالزعفران، فاستحسن الرسول (ﷺ) ذلك[١] وتتحدد الروايات فى مكان هذه التخامة، فى قبلة المسجد أو فى المحراب أو على الجدار، وما جعل مكانها بعد التنظيف والغسيل، من أصناف الطيب: خلوقا أم زعفرانا أو ورسا، ولكن المهم بيانه أنه (ﷺ) استقبح ما يشين نظافة المسجد وطهارته، ثم استحسن تطييبه، بعد إزالة الأذى والتنظيف[٢].

ويروى أنه جئ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بسفط فيه عود، كهدية، فلم يسع الناس جميعا توزيعه، فأمر أن يجمر به المسجد كى ينتفع به المسلمون أثناء صلاتهم، وبقيت سنة فى الخلفاء من بعده فكان يؤتى بسفط فيه عود — يجمر به المسجد ليلة الجمعة، ويوم الجمعة عند المنبر والامام يخطب، وكان عبد الله بن المجمر* مولى عمر — يجمر المسجد إذا صعد عمر على المنبر[٣].

وبعث عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) بالطيب من دمشق حاضرة الأمويين إلى مكة، كما بعث بالمجمر إلى مسجد الرسول (ﷺ) بالمدينة[٤].

ويذكر أن المسجد الجامع فى قرطبة الذى بناه عبد الرحمن الأول ١٧٠هـ، واعتبر من أجمل مساجد الإسلام، كان عدد القومة عليه فى زمن المنصور بن أبى عامر (ت ٣٩٢هـ) ثلاثمائة، يوقدون البخور من العنبر والعود، ويعدون الزيت العطكر لإضاءة عشرة آلاف فتيل للقناديل، وكان مقررا للمسجد كل ليلة رطل عود، وربع رطل عنبر يتبخر به، وفى ليلة ختم القرآن فى رمضان كان يوقد أربع أواق فى العنبر الأشهب" وثمان أواق من العود الرطب[٥].

---

(١) عمر بن شبة – تاريخ المدينة المنورة – تحقيق فهيم أحمد شلتوت – ٤ اجزاء – جـ ١، ص ١٨.

نخامة: شئ يدف به الصدر او الأنف (لسان العر ب– جـ ٦، ص ٤٣٧٩).

(٢)-السمهودى – وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى – تحقيق محمد محيى الدين – دار إحياء التراث بيروت – ١٩٨١ – ٤ اجزاء – جـ ٢ ، ص ٦٥٩.

* عبد الله هو والد نعيم بن عبد الله المجمر شيخ مالك بن انس (تخريج الدلالات السمعية ص ١٢٥).

(٣) الأزرقى – اخبار مكة – جـ١، ص ٢٥٥.

(٤) السمهودى – وفاء بأخبار دار المصطفى – جـ ٢، ص ٦٦٢.

(٥) المقرى – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – تحقيق يوسف البقاعى – دار الفكر لبنان – ١٩٨٦ مج٢ ص ٨٤، ٩٠.

تخليق المسجد النبوى والقبر الشريف

إلى جانب تجمير المسجد بالمجمر، تخلّق الجدران، والأعمدة، أى تدهن بالخلوق واخلاط الطيب، ويذكر السمهودى أن الخيزران (ت ٧٨٩م).

(زوج الخليفة المهدى وأم الهادى والرشيد) أمرت أن يخلق مسجد الرسول (ﷺ) وولت لذلك الأمر جاريتها مؤنسة، فقامت بتخليق المسجد والقبر الشريف كله، وقد كان يخلق منه ثلثاه أو أقل من قبل[1].

وقد جرت على المسجد النبوى عدة توسعات تقدر حتى الآن بتسعة أمثال ما كان يتسع فى آخر عمارة، وقد أضيفت إليه مآذن جديدة، وركبت قباب ومظلات متحركة، تظلل الساحات نهارا، وزود بأحدث أنظمة الإنارة والتكييف العالمية، وتضطلع شركات كبرى بمهام الصيانة والنظافة والتطهير، وقد انشئ دور علوى جديد فوق المسجد.

ومن رسالة تصف ما كان عليه أمر غسل الحجرة المعطرة، التى تضم الجسد الشريف للرسول (ﷺ) " وأما إدخال الصندل إلى الحجرة المعطرة، ففى ليلة تسعة عشر من ذى — القعدة كل عام، يدق الصندل ويعجن بماء الورد والعنبر وعطر الورد، ويوضع فى أوانى من ذهب وفضة، ويخمر كالعجين فى دار شيخ الحرم ونائبه، ويستخرج ما وضع فى العام الماضى، ويتم التعطير فى كل جمعة مرة، بقدر معين من عطر الورد وماء الورد، وذلك بعد صلاة المغرب ويكون التبخير بالعود والعنبر كل ليلة"[2].

وعموما فإن تطييب الكعبة، وتجمير المساجد، وتخليق الجدران والأعمدة بالمسجد النبوى الشريف، بأستخدام أفخر أصناف الطيب والبخور، كل ذلك من قبيل التطهير والتطييب والنظافة العامة التى حث عليها الدين الإسلامى، وليس فيها أى شئ من الشعائر أو الطقوس، أو لها أى صلة بأساس العقيدة.

---

(١) السمهودى – وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى – جـ ٢، ص ٦٦٢.

(٢) حمد الجاسر. رسائل فى تاريخ المدينة – ص ٧٤.

(جـ) الطيب فى الحياة الاجتماعية عند المسلمين

يتناول الموضوع بحث الزينة اليومية لكل من المرأة والرجل ودور الطيب فيها، وحفلات الزواج والأعراس، ومواكب الملوك والأمراء ومجالس جلة القوم من بنى العلياء، وعادة التهادى بالطيب وأخبار ما ذُخر منه وورِّث بعد الوفاة.

١- الطيب فى زينة المرأة والرجل

وبخلاف سنن الفطرة فى التطيب والميل إلى الرائحة الطيبة، فإن من دواعى التطيب: الزينة والتجمل إلى جانب المروءة والظرف، ولقد رأينا على مدى تطور الحضارات السابقة على الإسلام، دور الطيب المهم فى الزينة اليومية لكل من المرأة والرجل دون تفرقة، وما زالت بقايا عطر وأدوات زينة القدماء المصريين موجودة حتى الآن فى المتحف القومى المصرى تشهد على ذلك منذ آلاف السنين.

وتعرَّف الزينة بأنها: اسم جامع لكل شئ يتزين به، وهى تحسين الشئ وتجميله فى عين الإنسان[١]. وتكون على نوعين: زينة خلقية، وهى وجه المرأة خاصة، لأنه أصل الجمال ومصدر الفتنة وبه تعرف المليحة من القبيحة، وزينة مكتسبة، وهى ما تحاوله المرأة من تحسين خلقتها فتتزين وتتجمل بالثياب والكسوة والحلى والجواهر، والكحل والخضاب، والعطر والطيب[٢].

أما التجمل فهو من الجمال، وهو الحسن فى الخَلْق والخُلُق، ويقع على المعانى والصور، وقيل: الجمال صفة تلحظ فى الاشياء، ويبعث فى النفس رضا وسرورا، ومثله: القامة والوسامة والملاحة والنضارة والبهاء[٣]، وأصل الجمال فى اللغة العِظَم، ومنه الجملة وهى أعظم من التفاريق، والجمل هو الحبل الغليظ، وسمى الحيوان المعروف جملا لعِظَم خلقته، وقيل للشحم المذاب جميل لعظم نفعه[٤]، وقد قيل: من فاته الجمال فلا يجب أن يفوته التجمل.

والحسن ضد القبيح، وهو نعت لما حسن، وحسَّن الشئ زيَّنه[٥]، وقيل الحسن أمر مركب من: وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية فى البشرة.

---

(١) ابن منظور – لسان العرب –، مادة زين – جـ٢، ص ١٩٠٣.

(٢) محمد على الصابونى – (روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام) – جـ٢، ص ١٥٥.

(٣) ابن منظور – المصدر السابق – مادة جمل – جـ١، ص ٦٨٥.

(٤) أبو هلال العسكرى – الفروق اللغوية – دار الكتب العلمية – ص ٢١٧.

(٥) ابن منظور – المصدر السابق – مادة حسن – جـ٢، ص ٨٧٧.

وفـى صـفة الحسـن، قيل: إن الحسن أحمر، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن بسبب التضمخ بالطيب، كما تضرب بيضة الأدجى واللؤلؤة المكنونة[1].

وبالنسـبة للمـروءة فهـى كمـال الـرجولة الإنسـانية، وهـى مـن الأسمـاء الجامعة لكل المحاسـن، وهـى آداب نفيسـة تحمـل الإنسـان مـراعاتها علـى الوقـوف عـند محاسـن الأخـلاق، وجميل العادات[2]. والتزين والتطيب من المروءة، لما رواه أبو نعيم عن مكحول (التابعـى الشامى) " من طابت ريحه زاد فى عقله، ومن نظف ثوبه قل همه"[3] وقد زاد أبـو اسحق الكتبى المعروف بالوطواط، (ت ٧١٨هـ): ومن جمع بينهما — أى بين طيب الـرائحة ونظافـة الثوب — ظهرت مروءته"[4] كما يذكر قول جعفر بن سلمان بن على بن عبد الله بن العباس " فى الطيب أربع خصال: لذة ومروءة ومنفعة وسنة"[5].

ولـما كـان مـن معانـى الظـرف، حسـن العبارة وحسن الهيئة، وأنه مشتق من الظرف بمعنـى الـوعاء، كأنما جعل الظريف وعاء للأدب ومكارم الاخلاق[6]، فقد بين أبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء، (ت ٣٢٥هـ) أنه " من تكامل الظريف طهور بزته" وظهور طيب رائحته، ونقاء درنه، ونظافة بدنه، لا يتسخ له ثوب، ولا يدرن له جيب...

ولا يطـول لـه ظُفـر، ولا يكثر له شعر، ولا يفوح له لإبطه دفر، ولا لبدنه غمر"، كما فصـل الوشـاء ما استحسنه أهل الظرف فى التعطر والتطيب، قال: "من زيهم فى التعطر والتطـيب، أن يكـون بالمسـك المسـحول بمـاء الـورد، واستعمال العود المعنبر بماء القرنفل المخمـر، والند السلطانى، والعنبر البحرانى والعبير والزرائر المفتوقة بالعبائر، وسوى ذلك مـن الطـيب لا يقـربونه، فـلا يستعملون الكافور لعلة برده، إلا فى حرارة ظاهرة، أو فى علـة غائـبة، أو موضـوعا علـى الجمـر، مخلـوطا بعبير المسك، وزعفران الشعر وهو بهذه

---

(١) ابـن أبى حجلة التلمسانى – ديوان الصبابة – ص ٥٥، الكن: وقاء كل شئ وستره (لسان العرب جـ٦ – ص ٣٩٤٢).

(٢) ابن منظور – لسان العرب – مادة مرأ – جـ ٦، ص ٤١٦٦.

(٣) أبو نعيم الإصفهانى – حلية الأولياء – جـ٥، ص ١٨٤.

(٤) الوطواط – غرر الخصائص – ص ٤٣.

(٥) الغزولى – مطالع البدور ومنازل السرور – الطبعة الأولى – ١٢٩٩هـ – مطبعة إدارة الوطن فى جزئين – جـ١، ص ٦٢.

(٦) ابن منظور – لسان العرب – مادة ظرف – جـ٤، ص ٢٧٤٧.

الصفة أطيب البخور، واجتنبوا ماء المخلوق، لأنه من طيب النساء، والغالية إذ هى من طيب الصبيان والإماء، ولا يستعملون شيئا من الطيب الزفر، مما يبدو له لون، ويبقى له أثر"[1].

تطيب المرأة والرجل

عرفنا العطر والطيب، متعة للروح ولذة للحس، يفيض النشوة والحيوية والقوة فى البدن، والهمة والنشاط فى الخاطر، ويبلغ تأثيره الذروة بظهور الشبق فى الرجال والنساء، والرغبة فى الجنس الآخر، والإغتلام وطلب الباءه، ونظرا لخطورة هذه الآثار للطيب فى الإنسان، فقد تدخل الإسلام، لضبط الغريزة الجنسية ولإقامتها على الاعتدال، فلا كبت مرذول، ولا انطلاق مجنون، فنهى الرسول (ﷺ) عن خروج المرأة متعطرة إلى المسجد، حتى لا تفتن الرجال بطيب رائحتها، وتثير الغرائز الكامنة، ويدعى الشيطان بوساوسه، روى أبو هريرة عن الرسول (ﷺ) قوله: **{أيما امرأة اصابت بخورا، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة}**[2] كما شدد على من تخرج إلى المسجد من النساء، أن تغتسل من الطيب مثل ما تغتسل من الجنابة، روى النسائى عن أبى هريرة قوله (ﷺ): **{إذا خرجت المرأة إلى المسجد فلتغتسل من الطيب كما تغتسل من الجنابة}**[3]، وفى ملاءمة الطيب للمرأة، فرق بين طيب المرأة وما يصلح للرجل، روى الطبرانى عن أنس، قال رسول الله (ﷺ): **{طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه}**[4].

أما تطيب المرأة وتعطرها وتزينها لزوجها، فذلك أمر متفق عليه لأنه يقوى أسباب الألفة والمحبة بين الزوجين، وعدم النفور والكراهية، ومرد ذلك أن العين ومثلها الأنف رائد للقلب فى حصول المحبة، فإذا استملحت العين منظرا، أو استطيبت الأنف رائحة، اوصلتها للمخ الذى تدور فيه العمليات والإشارات والرسائل إلى الأعضاء، ثم تحدث المحبة.

---

(١) الوشاء – الظرف والظرفاء، ص ٢٨٤، ٢٦٤

البزة: الهيئة أو الشارة أو اللبسة، الغمر: السمن، المسحول: المسحوق

(٢) النووى – شرح صحيح مسلم – جـ ٢ ص ٨٥، جـ ٤ ص ١٦١.

(٣) المناوى – شرح الجامع الصغير – جـ ص ٣٨.

(٤) المناوى – المرجع السابق – جـ٢ ص ٩٢.

ومن ناحية زينة الرجل وتطيبه، فضابطه أن الأصل في الأشياء — ومنها أنواع التجملات — الإباحة، قال الرسول (ﷺ) من حديث ابن عباس **{كل ما شئت والبس ما شئت، ما اخطأتك خصلتان: سَرفَ ومخيلة}**[1].

ويستحب أن يتزين الرجل ويتطيب لزوجته، طلبا للألفة، والمحبة، وسبق أن عرضنا ما كان للصحابى عبد الله بن العباس مع المسك والطيب من شأن أى شأن، وقد قال فى موضوع التزين والتطيب: إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى، وما أحب أن استنطف كل حقى الذى لى عندها، فتستوجب حقها الذى لها علىَّ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾[البقرة آية: ٢٢٨]، وقال القرطبى فى تفسيره للآية، فى قول ابن العباس: أما زينة الرجال فعلى توافق أحوالهم، فأنهم يعملون ذلك على اللبْق* والوفاق، فربما كانت زينة فى وقت لا يليق فى وقت آخر، وزينة تليق بالشباب، وزينة تليق بالشيوخ... وكذلك فى شأن الكسوة ففى هذا كله ابتغاء الحقوق فإنما يعمل على اللبق والوفاق ليكون عند امرأته فى زينة تسرُّها، ويعفها عن غيره من الرجال... وأما الطيب والسواك والخلال والرمى بالدرن* وفضول الشعر، والتطهر وقلم الأظافر، فهو بين موافق للجميع، والخضاب للشيوخ، والخاتم للجميع الشباب والشيوخ زينة، وهو حلى الرجال"[2].

وعلى العموم فإن طيب ريح الزوج يؤنس الزوجة، ولما كان النساء شقائق الرجال، فكما يكره منها من الريح، فكذلك تكره منه، وربما صبر هو على ما يكره، بينما هى لا تصبر.

---

(١) ابن حجر العسقلانى – فتح البارى – كتاب اللباس.

*· اللبق: اللائق.

* الدرن: الوسخ.

(٢) القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – جـ٣ ص١٢٤.

التطيب والحمامات

الحمام لغة والحميم والحميمة، جميعا بمعنى الماء الحار، والاستحمام هو الاغتسال بالماء الحار وقيل بأى ماء، والحميم كذلك يعنى العرق، فاستحم الرجل أى عرق، وقولهم لداخل الحمام، طاب حميمك، قد يعنى به العرق، أى طاب عرقك، وإذا دُعى للمرء بطيب العرق، فقد دُعى له بالصحة، لأن الصحيح يطيب عرقه[1]. وقد بينا ذلك فى الفصل الأول عند الحديث عن الروائح الشخصية.

وعن أولوية الحمام يقال: "إن أول من وصفه هم الجن وكان لسيدنا سليمان عندما تزوج بلقيس ملكة سبأ، وقد وجد فى ساقيها خموشة (خشونى) فاتخذوا لذلك النورة"[2] ثم عرفه المصريون القدماء ومن بعدهم الرومان واليونان، وقد اجروا عليه تحسينات، وأوصى أشهر اطبائهم بقراط: (٤٦٠ق.م) بمنافع الحمام، ولم تزل الاعاجم والروم والقبط تستعمل الحمام. ولم يعرفه عرب الحجاز إلا بعد فتح فارس وانتشار الإسلام، وقد دعت حرارة الطقس المرتفعة إلى ذلك الشكل من النظافة والتطهر، واتبع ذلك استعمال العطور والأدهنة، ومن أثر ذلك إضفاء المرونة إلى جانب لدونة الجلد وإدخال السرور على محبى التزين والتجمل[3].

وقد بيّن المناوى اختلاف الفقهاء فى حكم دخول الحمام، على مذاهب، وفيه آثار متعارضة: فقول بكراهته لرجال، يبنى على خوف كشف العورة فيه، وإباحته خلاف ذلك، وكراهته للنساء مبنى على عدم الحاجة إلا لمرض أو نفاسى أو غير ذلك، ولما كان الحمام يطهر البدن، ويُذهب الدرن ويُذكر بالنار، إلا أنه يبدى العورة، ويُذهب الحياء، فلا بأس من طلب الفائدة مع التحرز من الآفة[4].

---

(١) ابن منظور – لسان العرب – جـ ٢، ص ١٠٠٩.

(٢) عبد الرؤف المناوى – النزهة الزهية فى أحكام الحمام الشرعية والطبية – تحقيق عبد الحميد صالح حمدان – الدار المصرية اللبنانية – ١٩٨٧ – ص ١٨

النورة: حجر يحرق ويسوى منه الكلى، ويحلق به شعر العانة، ومنه انتار وانتور وتنور الرجل (لسان العرب – جـ ٧، ص ٧٣ جـ ٤).

(٣) ول ديورانت – قصة الحضارة – مج.

(٤) المناوى – المصدر السابق – ج،٢.

والحمام من أهم مظاهر الحياة فى المدينة الإسلامية، وكان دوره يأتى فى الأهمية المعمارية مباشرة بعد المسجد، وكثيرا ما جاورت هذه الحمامات المساجد، لأن النظافة الشخصية والحفاظ على الصحة العامة أساس تطهير الجسم، وقد حث القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على ذلك، وسبق أن عرفنا فى الأغسال المستحبة مرة فى الأسبوع، مع وجوبها فى مناسبات الجنابة والجماع والحجامة، ويوم الجمعة والعيدين وكذا غسل الميت، ومن ناحية أخرى حث الرسول (ﷺ) على تعلم السباحة رغم عدم توافر الأنهار[1] أو خزانات المياه فى الحجاز، والاعتماد فقط على مياه السيول.

وبلغ من اهتمام العباسيين بالحمامات، أن بالغ اليعقوبى فى ذكر عددَ حمامات بغداد إلى حوالى عشرة آلاف حمام، وقد عبر عن ذلك ابن جبير صاحب الرحلة المشهورة، أنها لا تُحصى عدة، وقدر الموجود منها من الناحية الشرقية والغربية من البلدة بنحو ألفى حمام[2]. وكان من أشهر حمامات بغداد حينذاك حمام بوران، أما البصرة فقد كان من أشهر حماماتها حمام منجاب الذى لم ير مثله وكان يغل غلة كثيرة، وتؤمه وجوه الناس، وكذا حمام طيبة الذى كُسر وهُجر حتى قيل فيه — بعد أن جعلت صاحبته للشاعر ألف درهم — فقال:

حمام طيبة لا حمام منجاب حمام طيبة سخن واسع الباب

فأقبل الناس على حمام طيبة بعدها، وهجروا حمام منجاب[3]

وكان أهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بالنظافة، حتى يكون منهم من لا يجد قوت يومه، فيطويه صائما، ويبتاع صابونا لغسل ثيابه، ولا يظهر ساعة على حالة تنبو العين منها[4].

وذكر أن عدد حمامات قرطبة فى عهد المنصور ابن أبى عامر بلغ ٩١١ حماماً[5].

وينسب إلى المعتمد بن عياد قوله فى الربط بين الطيب والحمام، أنه يستدل على الملوكية بالطيب فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين: كالحمام ومعارك الحرب وموسم الحج[6].

---

(١) د. حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام السياسى والاجتماعى والثقافى – دار النهضة المصرية – ١٩٧٠ – جـ٤، ص ٦٠٣.

(٢) د. حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام – جـ٤، ص ٦٠٠.

(٣) الثعالبى – ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف ص٣١٨

(٤) المقرى – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ١، ص ٢١١.

(٥) المقرى – المصدر نفسه – جـ ٤، ص ٨٠.

(٦) المقرى – المصدر نفسه – جـ٤، ص ٣٩٨.

وفى مصر الفاطمية تعددت الحمامات بكثرة، وقد خصص بعضها لكل طائفة، فحمامات للمسلمين، وأخرى للنصارى، وثالثة لليهود، وكانت العطور توزع على الحمامات كمقررات كل يوم جمعة[1].

٢- الطيب وحفلات الزواج

وضع الإسلام علاقة الرجل بالمرأة فى مكانها الصحيح، تكريما وصيانة وحفظا، باعتبار أن الأسرة هى اللبنة الأساسية فى المجتمع، وبما للزواج من مكانة رفيعة فى سنن الجماعة البشرية، وجعله ميثاقا غليظا، أسمى فى معانى الترابط والاندماج من علاقات الصداقة والأبوة والنبوة، وأنه عقد خاص ليس ككل العقود التى تثمر انتفاعا أو ملكية أو تسخيرا[2].

ولما كان الطيب من العناصر الأساسية فى زينة المرأة اليومية، فإنه كان أكثر أهمية للعروس المقبلة على الزواج، واحتل الطيب مكانة رفيعة بين عناصر الجهاز، تمثل فى أوعية وقنينات لحفظ الطيب، صلايا وهاونات من الذهب لسحق ورق الطيب بخلاف تنوع الأصناف نفسها: نوافج المسك، وبيض العنبر، والعود والصندل والزعفران.

ومازال الآباء والأمهات يُوصون بناتهم المقبلات على الزواج، بالحرص على النظافة والطهارة والتطيب من جهة، وحسن التبعل والطاعة من ناحية أخرى:

ومن ذلك ما ورد فى وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم أياس بنت عوف بن محلم الشيبانى، عندما خطبها عمرو بن حجر بن كندة، حيث بينت لها أسس الحياة الزوجية السعيدة فى خصال عشرة: تتضمن الخصلتان الثالثة والرابعة التزين والتطيب حين توصيها بأن تتعهد موقع عينه، وتتفقد موضع أنفه، فلا تقع عينه على قبيح، ولا يشم منها إلا أطيب ريح. ثم ختمت وصيتها بأن الكحل أحسن الحسن. والماء أطيب الطيب المفقود[3].

ومثل ذلك أكده الفرافصة بن الأحوص بنى عدى بن جناب) والد نائلة زوج عثمان بن عفان (رضى الله عنه) عندما زفها إليه، قال: "إنك تقدمين على نساء قريش وهن

---

(١) المقريزى – الخطط والآثار جـ ٢، ص ٤٣١.

(٢) محمود شلتوت – الإسلام عقيدة وشريعة ص ١٤٦.

(٣) المفضل بن سلمة – الفاخر – الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٨٦.

الميدانى – مجمع الأمثال – جـ٣، ص ٢٤٠

ابن عبد ربه – العقد الفريد – جـ٧، ص ٨٩.

أقدر منك على الطيب، فاحفظى عنى خصلتين: تكحلى، وتطيبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شن "أصابه مطر"[1].

أما عبد الله بن جعفر بن أبى طالب شهيد مؤته (ت ٨هـ) وكان من أجواد العرب، فأوصى ابنته بالزينة والطيب، فقال: عليك بالزينة والطيب، وأعلمى أن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء[2].

وكان من عادات العرب فى ليلة الزواج، أن تُخَلَّق العروس بالعبير والطيب بحسب سعة أهلها، وتحمل معها أدوات طيبها زينتها مواد طيبها، فى قشوة أو قفة من خوص يجعل فيها موضعا للقوارير، بحواجز بينها للعطر والقطن وغيره[3].

وعرف قبل الإسلام — عدد من النسوة الماشطات، اللواتى احترفن مهنة تزيين النساء وتجميلهن وتمشيطهن، وتجهيزهن للزواج — فى الجزيرة العربية، منهن آمنة بنت عفان (أخت عثمان)، وأم رعلة القشيرية، وأم غيلان (مولاة دوس)[4]، وفى عهد النبى (ﷺ) كانت أم زفر الماشطة تأتى السيدة خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها) فى مكة فيكرمها النبى[5]، وكانت أم ذرة تغلف رأس السيدة عائشة (رضى الله عنها) فى إحرامها[6]. كما كانت الحولاء العطارة تأتيها تبيعها العطر والطيب[7] ويروى أن شميلة — التى كانت تحت ابن العباس — من أول من لبس المصبغات، وعملت السفوف، وعبَّأت الطيب[8].

---

(١) أبو الفرج الأصبهانى – الأغانى – دار الشعب جـ ١٧، ص ٦١٥١

ابن حزم – جمهرة أنساب العرب – ص ٤٥٦

والشن: الخلق فى كل آنية من جلد(لسان العرب – جـ٤، ص ٢٣٤٤).

(٢) الجاحظ – البيان والتبيين – جـ٢، ص ٩١.

(٣) واد على – تاريخ العرب قبل الإسلام – جـ٤ ص ٦٨٤ العبير: قيل هو الزعفران أو خلاط من الطيب.

(٤) هشام – السيرة النبوية. جـ١، ص٤١٤، ابن حجر العسقلانى – فتح البارى – جـ٤، ص٢٢٥، ص ٤٣٤

(٥) الأثير الجزرى – أسد الغابة – جـ٧ ص ٣٣٣.

(٦) سعد – الطبقات الكبرى جـ٨ ص ٣٥٧.

(٧) الأثير الجزرى – أسد الغابة – جـ٧ ص ٧٥.

(٨) هلال العسكرى – الأوائل – ص ٤٠٤.

ويُحكى أنه عند زواج الرسول (ﷺ) من أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان، والتى هاجر بها زوجها عبد الله بن جحش إلى الحبشة فى الهجرة الثانية حتى تنصر وارتد عن الإسلام، لكنها ثبتت على دينها وهجرتها فأرسل إليها النجاشى (ملك الحبشة) جاريته التى تقوم على ثيابه ودهنه (طيبه) فقال لها: إن الملك يقول لك، إن الرسول (ﷺ) كتب إليه أن يزوجكه.... ثم أمر الملك نساءه أن يبعثن إلى أم حبيبة بكل ما لديهن من العطر، ولما كان من الغد جاءت الجارية بعود وورس وزباد كثير،... فقَدِمَت أم حبيبة بذلك كله على النبى (ﷺ) وكان يراه عليها وعندها ولا ينكره[1].

ويروى أنه لما أعرس رسول الله (ﷺ) بصفية بنت حُيبى بن اخطب فى خيبر، قامت أم سُليم بنت ملحان الأنصارية (أم أنس بن مالك وزوج طلحة بن عبد الله) والملقبة بالوميصاء، ومعها أم سنان الاسلمية يمشطنها ويعطرنها، وكانت صفية جارية تأخذ بالزينة من أوضأ ما يكون من النساء، فما وجدت رائحة أطيب من ليليتئذ[2]

وذكر أن عليا بن أبى طالب (كرم الله وجهه) لما تزوج فاطمة الزهراء (رضى الله عنها)، باع بعيرا له بثمانية وأربعمائة درهماً، فقال النبى (ﷺ): "اجعلوا ثلثين فى الطيب، وثلثا فى الثياب"[3].

وقد عُثِرَ على إحدى البرديات العربية التى تضمنتها مجموعة الأرشيروق راينر، والمودعة فى خزائن ألبرتينا بالمكتبة القومية بفيينا، تحمل خطابا يرجع تاريخه إلى القرن الرابع الهجرى، وقد عنون بعد البسملة: حوائج العرس جاء فيه من أصناف الطيب والعطر: عود (نصف قيراط)، ما ورد (قيراطين) أفواه حارة "نوع من العطر جيد" (قيراط)، حناء (قيراط)، شمع (قيراطين) أبزاز " بذور" (قيراط) عبارة عن فلفل ودار صينى كمون، شيرج زيت سمس (قيراط) زعفران شعر (قيراط)[4].

وكل هذه النصوص والأخبار تؤكد اهتمام المرأة المسلمة بالطيب عند الإعداد لجهاز العرس — والزواج.

---

(١) ابن سعد – الطبقات الكبرى – جـ٨ ص٦٨.

(٢) ابن سعد – الطبقات الكبرى جـ٨ ص٧٠.

(٣) ابن سعد – المصدر السابق – جـ٨ ص ٦٧.

(٤) د. حسن رجب – البردى – سلسلة إقرأ – ص ٥٠.

ونستعرض عددا من الأعراس التى تحدث المؤرخون عن شهرتها، ونتعرف على دور العطر والطيب فيها، وقد امتازت هذه الأعراس، وفى مختلف العصور عباسية أو طولونية أو مملوكية بعناية الخلفاء والحكام، بإقامة أعظم الاحتفالات، وقد تجلى فيها الإسراف والبذخ فى المهور الخيالية، والهدايا عظيمة الأقدار، والتحف الجسيمة الأخطار، التى يقدمها الزوج الخليفة أو الأمير إلى عروسه، ومن بينها أصناف الطيب.

١- عرس الرشيد

كان هذا العرس أعظم أعراس العباسيين، الزوج هارون الرشيد والزوجة أَمَةَ العزيز ابنة جعفر المنصور (المعروفة بزبيدة – كما أسماها جدها – لبضاضتها ونضارتها)، وحكى أنه "استعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلىء وأصناف الجواهر والحلى والتيجان والأكاليل، وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة....

وحشر الناس من الآفاق، وفرَّق فيهم من الأموال شيئاً عظيماً، فكانت الدنانير تجعل فى جامات من الفضة، والدراهم فى جامات من الذهب، ونوافج المسك، وجماجم العنبر، والغالية فى بواطى الزجاج، وفرق ذلك على الناس[1].

وأوقد فى تلك الليلة بين يدى العروسين، شمع العنبر فى أتوار الذهب، وأُحضر نساء بنى هاشم جميعا، وكان يدفع إلى كل واحدة منهن كيساً فيه دنانير، وكيساً فيه دراهم وصينية كبيرة من فضة فيها طيب، وقد بلغت النفقة فى هذا العرس من بيت المال – سوى ما أنفقه هارون من مال – خمسين ألف ألف دينار"[2].

٢- عرس المأمون

فاق المأمون أباه الرشيد فى إسرافه، يوم أعرس على بوران بنت الحسن ابن سهل (وزير الرشيد) (ت ٢١٠هـ)، وكانت نفقة المأمون ثمانية ألف ألف درهم، ووصل أبو العروس بألف ألف دينار، ووهب أخاها ألف ألف درهم ثم اقطعه فم الصلح* وكانت

---

(١) الشابستى – الديارات – ص١٥٦.

بواطى جمع باطية وهى الأنية وهو لفظ معرب يعنى الناجور – (لسان العرب جـ ١، ص ٣٠٢)

الجام: إناء من فضة (لسان العرب جـ٢ ص ٧٣١)، التور: إناء وجمعها أتوار (لسان العرب جـ١ ص ٤٥٥)

الجماجم: اقداح من الخشب (لسان العرب جـ١ ص٦٨٩).

(٢) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ٩٢.

* فم الصلح: منطقة ببغداد.

قيمته ثمانين ألف دينار، أما الحسن بن سهل فقد أنفق في وليمة العرس أربعين ألف ألف درهم، وفعل مالم يفعله ملك قط في جاهلية أو إسلام، ويوصف حفل العرس بأنه "نُثِرَ على الهاشميين والقادة والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع مكتوبة بأسماء وضياع، وأسماء جوار، وصفات دواب، وغير ذلك، فكانت البندقة المسكة إذا وقعت في يد الرجل، فتحها فقرأ ما فيها، فيجد على قدر إقباله وسعوده فيها، فيمضي إلى الوكيل الذى نصب لذلك، فيقول له ضيفه كذا أو له جارية يقال لها فلانة، أو له دابة صفتها كذا، ثم نثر على سائر الناس من العامة الدنانير والدراهم ونوامج المسك وبيض العنبر"[1].

وقد أُوقِد في ليلة العرس شمعة عنبر، وزنها أربعون منًّا* في تور من ذهب، فكثر دخانها العبق والطيب[2].

ويذكر أن بعض ملوك الهند كان قد أهدى الحسن بن سهل بمناسبة زفاف ابنته بوران على الخليفة المأمون هدايا من بينها سفط عود لم يُر مثله، وظل بعضه في خزائن الخلافة حتى عهد خلافة المتوكل، الذى احتجم يوما، فناله ضعف، وأشار عليه الأطباء أن يتبخر بعود جيد، فأخرجت قطعة من السفط وتبخر بها[3].

٣- عرس قطر الندى

ومن الأعراس التي ظهر فيها السرف والترف، عرس أسماء بنت خماروية بن أحمد بن طولون المشهورة بـ (قطر الندى) والتي زفت في عام ٢٧٩هـ إلى الخليفة المعتضد، بعد حروب مستمرة وعداء طويل بين مصر وبغداد، وكان خماروية قد أرسل للخليفة هدية ومعها كتاب خاص يعرض فيه مصاهرته بزواج ابنته بولي عهده، وقبل الخليفة الهدية ورحب بالمصاهرة ولكن لنفسه! وأعاد الوفد إلى مصر حاملا ثمين الهدايا من بغداد ومنها أصناف الطيب[4]، ونذر خماروية أن يعوض ابنته عن شيخوخة العريس بجمال العرس

(١) المسعودى – مروج الذهب – جـ٤ ص ٣٠

الشابستي – الديارات – ص ١٥٨.

* المن: ميزان قدره رطلان.

(٢) ابن طيفور – بغداد – ص ١١٤.

(٣) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ٣٢.

(٤) د. محمود الحفنى – ثلاثة أعراس أودت بالخزانة إلى الإفلاس – المكتبة الثقافية – ص ٤٢.

وأبهته، فبذل أموالاً كثيرة من بيت مال مصر وكان صداق قطر الندى ألف ألف درهم، وغير ذلك من المتاع والطيب لطائف الصين والهند والعراق، ويذكر أن "الجهاز لم ير مثله أو سمع به إلى وقته، فقد كان بين عناصره، دكة من أربع قطع من الذهب، عليها قبة من ذهب مشبك، في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من الجوهر لا تعرف لها قيمة، ومائة هون من الذهب لدق الطيب"[1]. فإذا كان ذلك عدد ونوع الهاونات التي ستدق الطيب، فكم كانت كمية الطيب الذى سَيُدق؟ لابد أنها كانت تفوق الحصر.

٤- عرس آنوك

أقام محمد بن قلاوون، (ت ٧٤١هـ) — الذى حكم مصر ٤٤ عاماً على مدى ثلاث ولايات تعد أزهى عصور المماليك، عرساً فخماً لولده آنوك فى عام ٧٣٢هـ وقد تقاضى بكتمر الساقى (والد العروس) صداقاً قدره اثنى عشر ألف دينار ذهب، ومائتين وخمسين تفصيلة حرير، ومائة وعاء مملوء بالمسك، ومائة مثقال عنبر، ومائة شمعة موكبية، وحمل الجهاز على ثمانمائة جمل! وبلغ وزن الذهب فى المصاغ والملابس المزركشة ثمانين قنطارا[2].

(١) المسعودى – مروج الذهب – جـ٤ ص ٢٢٣، ٢٣٤.

المقريزى – الخطط – جـ ١، ص ٥٩٩.

(٢) المقريزى – الخطط – جـ ٢، جـ ٣ ص ٩٦، د. . محمود عبد العزيز مرزوق – الناصر محمد بن قلاوون – أعلام العرب – ص ٢٤٣.

٣- الطيب فى المجالس والمواكب

(١) الطيب فى المجالس

تزخر كتب التراث بأخبار مجالس الخلفاء والملوك والأمراء، تلك التى كانت تقوم للوليمة والشراب والغناء، وذلك على مدار العصور المختلفة: أيام الجاهليين والأمويين والعباسيين والفاطميين وفى الأندلس وقد ذكر ما كان فيها من إسراف فى الملذات يفوق الحد، وإفراط فى الترف يجل عن الوصف.

وقد تتواكب هذه المجالس والحفلات مع مناسبات عامة أو خاصة مثل الأعياد أو الأعراس أو الميلاد أو الإعذار وغير ذلك، ومن ناحية أخرى قد يقوم عِلية القوم وسراتهم بدعوة الخليفة أو الأمير، لوليمة ترتب على شرفه، حيث يُنفق المال الوفير حتى تظهر المناسبة بصورة وهيئة ترضى المحتفى به المدعو.

وفى هذه المناسبات كان الغناء والرقص أشهر ألوان اللهو، مع الشراب الذى قامت عليه حياة الترف والنعومة، وأحاطت بالمدعوين المباخر الثمينة، وانطلق منها أفخر أصناف الطيب والعود، ونُصِبت تماثيل الكافور، والشمامات حتى تضفى على المكان أرجا على أرجائه، وبهاء على أبهائه، وفيها تتجمل المغنيات والراقصات من القيان والجوارى، فيتزين ويتحلين ويتعطرن ويتأطرن، حتى تتمايل من الحضور الرؤوس، وتطيب منهم الأرواح والنفوس. ونذكر من أخبار الجوارى والقيان التى كانت تعج بها قصور الخلافة، ومجالس الملوك والأمراء، وما كن عليه من حسن وملاحة وأخذ بأسباب الفتنة والجمال واستعمال العطر والطيب.

فمثلا عبيدة الطنبورية لم يكن ينقصها جمال الأنوثة وجاذبيتها إلى جانب ثقافتها الأدبية وقد قيل عنها: إنها كانت من أجمل النساء وجها وأحسنهن صوتا وأخفهن دما، كما عرفت بكثرة التطيب، كما قيل عنها: لم تعرف الدنيا امرأة أعطر منها، وكذلك الحلبية ملح العطارة المغنية التى كان يألفها البحترى، وكانت من أهالى حلب وعرفت بصفة (العطارة) لكثرة استعمالها للعطر والطيب[1].

---

(١) ديوان البحترى – جـ١ ص ٥١٢.

الإصفهانى – الأغانى – جـ١٦ ص ٥٧٧٥.

فايد العمروسى – الجوارى المغنيات – ص ٢١٥.

مجالس الجاهليين

يروى حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ) عن مجلس جبلة بن الأيهم الغسانى، وكان سيدا عظيما فى الجاهلية، قال: لقد رأيت عشر قيان مغنيات، غير ما كان يفد إلى مجلسه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها، حتى إذا جلس فُرُش تحته الأس والياسمين وأصناف الرياحين، وضُرِبَ له المسك والعنبر فى صحاف الفضة والذهب، وأتى بالمسك الصحيح فى صحاف الفضة، وأوقد له العود المندى[1]. وبعدما يشرب جبلة خمسا عددا فى كأس من ذهب، تقبل جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة، مؤدَّب*، وفى يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر وقد خُلطا، وأنعم سحقها، وفى اليسرى جام فيه ماء ورد، فالقت الطائر فى ماء الورد فتمعك بين جناحيه وظهره وبطنه، ثم اخرجته فألقته فى جام المسك والعنبر فتمعك فيه حتى لم يدع شيئا، ثم نفَّرته فطار فسقط على تاج جبلة ثم رفرف ونفض ريشه، فما بقى من شئ إلا سقط على رأس جبلة[2].

وهكذا عطَّر الطائر المدرب مجلس جبلة، بالتمعك فى ماء الورد والعنبر والمسك المسحوق ثم وزع النثار على تاج جبلة ومجلسه، كأحسن ما تكون عليه الرشاشات المعطرة، المعروفة فى أيامنا.

مجالس الأمويين.

اتسمت مجالس خلفاء بنى أمية بالبذخ والسرف اللذين أخذوهما عن المجالس الكسروية فى فارس، وقد تشبهوا بالملوك وأبهتهم، واشتهر منهم باللهو والمجون والخلاعة: اليزيدين: يزيد بن معاوية (ت ٦٣هـ)، ويزيد بن عبد الملك (ت ١٠٥هـ) ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ)، ويشير بعض المؤرخين إلى أن الحياة الناعمة المترفة قد عجلت بزوال الدولة الأموية[3].

❖ يذكر أن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان أول من جمع بين الشراب والغناء فى مجلسه، وكان ينُبذ له من عمل الطائف وزبيبها، ويفتق له بالمسك وكان مدمنا للشراب،

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى – الأغانى – جـ ١٨ص ٦٤٥٣.

* مؤدب: مدرب، تمعك: تمرغ.

(٢) أبو الفرج الأصفهانى – المصدر السابق جـ ١٥ ص ٥٤٧٠.

(٣) د . حسن إبراهيم – تاريخ الإسلام جـ ٢ ص ٣١٠.

لا يمسى إلا سكرانا، ولا يصبح إلا مخمورا. ويلعب بالكلاب والقرود، وكان ينادمه قرد كنّاه أبا قيس، فلما مات كفنه ودفنه، وأمر أهل الشام أن يعزوه فيه![1].

❖ كما اشتهر يزيد بن عبد الملك بإدمان الشراب مع جاريتيه حُبابة وسلامة حتى إنه كان يقيم الشهرين والثلاثة ولا يراه أحد، وكان يجلس على طنفسة* خز وبين يديه جام فيه مسك[2].

❖ أما الوليد بن يزيد، فقد اشتاق يوما إلى معبد المغنى، فوجه فى إحضاره من المدينة إلى دمشق، فلما بلغ الوليد قدوم معبد، أمر ببركة مُلِئتَ ماء ورد مخلوطا بمسك وزعفران، ثم جلس هو وجواريه على حافتها، وأجلس معبدا على الحافة الأخرى، وضرب بينهما ستار، وما إن غنى معبدا حتى رفع الوليد الستار وألقى بنفسه فى البركة، وتكرر ذلك ثلاث مرات، من نشوة الطرب[3].

مجالس العباسيين

أسرف خلفاء بنى العباس، وكذلك وزراؤهم وبخاصة البرامكة فى انتهاب اللذات، وفتح أبواب اللهو، بجلب المغنيين والقيان وترتيب مجالس الشراب والطرب، وعرفنا فى الفصل السابق أخبار أعراسهم فى عرسى كل من الرشيد وابنه المأمون، وعلى حد قول النويرى:

كانت مجالسهم فيها سرف كثير، بلغ الغناء من نفوسهم مبلغا، وامتزج بدمائهم حتى كان بعضهم يتعشقه، ولا يطيق العيش بدونه، فكان بعضهم يسمع فيذهل عقله، أو يعتريه لوثة، أو يغمى عليه، أو يفقد وعيه، أو يشق ثوبه أو ينطح الحائط برأسه، أو يُكَب على وجهه"[4].

١- ويوصف مجلس الأمين بأنه لم تر العرب ولا العجم مثله فقد "صورت فيه كل التصاوير وذُهِّب سقفه وحيطانه وأبوابه، وعُلِقت عليها ستور معصفرة مذهبة، وفُرِش

---

(١) * القيروانى – المختار من قطب السرور – اختيار على نور الدين المسعودى – تحقيق عبد الحفيظ منصور – تونس – ص ١٢٥.

* طنفسة: النمرقة فوق الرحل، وقيل البساط (لسان العرب جـ٤ ص ٢٧١٠).

(٢) القيروانى – المصدر السابق – ص ١٨٠.

(٣) فايد العمروسى – الجوارى المغنيات – دار المعارف – ط ٣ – ص ٢٥.

(٤) النويرى – نهاية الأرب فى فنون الأدب – جـ٤ ص ٣٥٢.

بمثل ذلك من الفرش، إيوان مشرف فاتح ماسح، يسافر فيه البصر، جعل كالبيضة بياضا، ثم ذُهِّب بالابريز المخالف بينه باللازورد، ذى أبواب عظام ومصاريع غلاظ تتلألأ فيه مسامير الذهب، قد قُمِعت رؤوسها بالجوهر النفيس، وفرش كأنها صبغ الدم، منتقش بتصاوير الذهب، وتماثيل العقيان، ونُضِّد فيه العنبر الأشهب والكافور المصعد وعجين المسك وصنوف الفاكهة والشمامات والتزايين"[1].

٢- وتحدث المؤرخون عن دعوة محمد بن يحيى بن خالد البرمكى للخليفة هارون الرشيد إلى منزله، وقد أنفق عليها ستة عشر ألف ألف دينار! ! وأشارت دنانير - جارية البرامكة - على محمد أن يثير المسك على كل شئ حتى ريحان البستان، فلا تقع يد الرشيد إلا على شئ مطيب، ولا يشم إلا طيبا، بسبب الباصور"التى كان يعانى منه الرشيد، فسحق أربعة آلاف مثقال مسك، ثم طيبت به كل المواضع[2].

٣- أما دعوة الخليفة المتوكل، (ت ٢٤٧هـ) بمناسبة إعذار ابنه المعتز من أشهر دعوات الدولة العباسية، وقد شهدها قصر بيركوار الذى خُصِصَ أبى عبد الله المعتز، وكان أحسن أبنية المتوكل وأجملها، وقد بلغت النفقة على هذا القصر عشرين ألف ألف درهم، وقد بُسِط للخليفة سريراً فى صدر الإيوان، ومد بين يديه أربعة آلاف مِرفَع من الذهب المرصع بالجواهر، فيها تماثيل العنبر والند والكافور والمسك على أمثلة الصور[3] وأحضر القواد الجلساء وأصحاب المراتب، وبعد الطعام والشراب وسَّع عليهم بالدراهم والدنانير.

٤- وكانت دعوة بختيشوع الطبيب السريانى (ت ٢١٥هـ) للخليفة المتوكل، والذى بلغ من عظم المنزلة والحال، والثروة وكثرة المال، ما لم يبلغه طبيب فى عصره حتى كان يبارى الخليفة نفسه فى الزى واللباس والطيب والفرش، ويروى عن دعوته للخليفة

---

(١) عبد الله بن المعتز - طبقات الشعراء - تحقيق عبد الستار فراج - دار المعارف - ص ٢٠٩.

(٢) الرشيد بن الزبير - الزخائر والتحف - ص ٩٧.

الباصور: جمعه بواصير وهوداء بالمقعدة (اللسان جـ ١ ص ٢٨٠).

(٣) الشابستى - الديارات - ص ١٥١، ١٥٦

الإعذار: الختان

المرفع: المقعد.

المتوكل: بعد أن استشرف المتوكل على الطعام فاستعظمه، وأراد النوم أُدخل مربعاً "كبيراً سقفه بكواء" فيها جامات للإضاءة والبيت مخيش مطهر بالدبقى المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور، فلم اضطجع الخليفة أقبل يشم روائح فى نهاية الطيب، ولا يدرى لها مصدرا، فأمر وزيره الفتح بن خاقان بتتبع حال هذه الروائح، فوجد حول البيت أبوابا صقارا لطافا كالطافات محشوة بصندوق الرياحين والفواكة واللخالخ والمشام التى فيها اللقاح والبطيخ المستخرج ما فيه والمحشو بالنمام، والحماحم اليمانى المعمول بماء الورد والخلوق والكافور، والزعفران، وقد وكل غلمان بتلك الطاقات مع كل غلام مجمرة فيها ند يسجره ويبخر به"[1].

٥- ودعا مفلّح الأسود الخليفة المقتدر بالله، إلى بستانه فى جمادى الأخرى ٣١٢هـ فسكّر أنهار البستان، ورصّص بعضها، ثم طرح فيها خمسين ألف رطل ثلج، واجرى فيها الماء والشراب، وجعل على حافات النهر جون الطعام.

٦- وعلق فى أشجار البستان الحملان والدجاج والفراريج الكسكرية والدراج والحجل وسائر الطيور، ونصبت السمط والموائد، وعبثت المجالس بالفواكة والزهر وأنواع الطيب من العود والمسك والكافور والند والعنبر والزعفران، وقد وسّع على الحاشية وسائر الناس، وكان يوما مشهودا حسنا وجلاله، وتأخر أحد القادة عن الحضور فزل له المقتدر زلة عظيمة منها: صينية ذهب مملوءة ندا، وباطية بللور مملوءة غالية، وجماجم كثيرة عنبرا، ومسكا كثيرا، وثلاثة آلاف دينار وخمسة آلاف درهم[2].

---

(١) ابن أصيبعة – عيون الانباء وطبقات الأطباء – مطبوعات مكتبة دار الحياة – ص ٢٠٥

استشرف: عاين (لسان العرب جـ٤ ص ٢٢٤٣)

كواء: خرق فى الحائط او ثقب فى البيت ونحوه (لسان العرب جـ٦ ص ٣٩٦٤)

الدبقى: الديبقى من دق ثياب مصر (لسان العرب جـ٢ ص ١٣٢٤)

اللقاح: نبات يقطينى أصفر طيب الرائحة (اللسان جـ ٦ ص ٤٠٥٣)

النمام: الريحان يسجره: يحرقه (لسان العرب جـ٣ ص ١٩٤٢).

الحماحم: الحبق البتانى العريض الورق (ريحانة معروفة) اللسان جـ٢ ص ١٠١٢)

مفلح الأسود: احد قادة المعتمد على الله.

(٢) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ١٠٨.

مجالس الفاطميين

فاقت مجالس الفاطميين الحد فى الترف والبزخ:

١- فمجلس الوزير الأفضل بن بدر الجمالى يصفه ابن ميسر فيقول: "كان له مجلس للشراب فيه صور ثمان جوار متقابلات أربع منهن بيض من كافور، وأربع منهن سود من عنبر، قيام فى المجلس وعليهن أفخر الثياب وأثمن الحلى، وبأيديهن أحسن الجواهر، فإذا دخل الوزير من باب المجلس ووطئ العتبة نكسن رؤوسهن خدمة له، فإذا جلس فى صدر المجلس استوين قائمات"[١]. ويظهر أن هذه الصور أو التماثيل كانت تعتمد على حيلة هندسية – تعمل على تحريكها – بالتواكب مع دخوله إلى مجلسه، ثم جلوسه واستقراره[٢].

مجالس ملوك الهند

تحدث الرحالة ابن بطوطة، (ت ٧٧٩هـ) عن مجلس السلطان محمد شاه بن السلطان غياث تغلق شاه ملك السند والهند، قال: "يفرش قصر السلطان بدلهى، ويسمى (دارسرا) يوم العيد، ويزين بأبدع أنواع الزينة، وتضرب الباركة على المشور كله (وهو مكان كبير ومتسع يقعد فيه الناس)، وهو شبه خيمة تقوم على أعمدة ضخام، تحف بها القباب من كل ناحية، ويصنع شبه أشجار من حرير ملون فيها شبه الأزهار، وتجعل الاشجار صفوفا بالمشور، وبين كل شجرتين يوضع كرسى ذهب، وينصب السرير الأعظم فى صدر المشور، وهو من الذهب الخالص، ويرصع بالجواهر، طوله ٢٣ شبراً، وعرضه نصف ذلك، وهو منفصل، وتجمع قطعه فتتصل، ثم تجعل فوقه الرتبة، ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان.

"وتنصب كذلك (البخرة العظمى) وهى شبه برج من خالص الذهب، تركب من قطع، تنوء الواحدة بالعصبة من الرجال حملا، وفى داخلها ثلاثة بيوت، يدخل فيها المبخرون، فيوقدون العود القمارى، والقاقلى، والعنبر الاشهب، والجاوى حتى يعم دخانها المشور كله، ويكون بأيدى الفتيات براميل من الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر، يصبونه على الحاضرين صبا"[٣].

---

(١) ابن ميسر –٠ المنتقى من أخبار مصر – ص ٨٢.

(٢) د. حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى – جـ ٤ ص ٦٣٥.

(٣) ابن بطوطة – الرحلة – ص ٢٩٨.

(٢) الطيب فى المواكب

أول من أدخل موكب يوم الجمعة هو الخليفة الهادى، الذى توفى لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ (ويذكر أنه فى هذه الليلة مات فيها خليفة، وجلس خليفة، وولد خليفة. هم الهادى والرشيد والمأمون) وفى هذا الموكب يسير الحراس على اختلاف طبقاتهم فى مقدمة موكب الخليفة حاملين الأعلام، يليهم أمراء البيت العباسى على الخيول المطهمة، ثم الخليفة ممتطيا جوادا شديد البياض، وبين يديه كبار رجال الدولة، وكان الخليفة يلبس القباء الأسود، محلى بأثمن الجواهر، ومعطر بأطيب أصناف العطر، ويتشح بعباءة سوداء، ويلبس قلنسوة طويلة، مزينة بجوهرة فريدة، وبيده قضيب الرسول (ﷺ)، ويتدلى من صدره سلسلة ذهبية مرصعة بالجواهر النفيسة[١].

وكان من أعظم مواكب الخلفاء العباسيين موكب الحج، حيث كان يجتمع ببغداد الحجاج من مختلف الامصار الشرقية وخاصة أهل العراق وفارس وخراسان وقد أعدوا العدة من الإبل والكسى والطعام، ويسير فى مقدمة هذا الموكب هوادج يعلوها قباب مزينة بالديباج المطرز بالذهب، يقيم فى أحدها أمير الحاج[٢].

ويذكر المؤرخون أن الاخشيديين فى مصر قد شاركوا حكومة بغداد فى دفع نفقات فداء الأسرى المسلمين سنوات ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٤٣ هـ، وقد أشار المقريزى إلى الفداء الثالث الذى خرج فيه أبو بكر محمد بن على الماذرائى فى ٣٤٣هـ الذى نقله خارج مصر إلى ثغر الإسكندرية ومعه من الذهب والورق والثياب والطيب والأطعمة ما يجل عن وصفه، وكان معه الأشراف والعلماء والوجوه، وكان ينادى على المسلم فيسأله عن بلده ويكسوه ويطعمه ويطيبه ويدفع إليه نفقة ثم يودعه، وهكذا حتى فرغ الفداء، فكان فداء مذكورا لم يقع مثله[٣].

---

(١) د. حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام – جـ٢ ٤٩، ٤٣٩.

(٢) د. حسن إبراهيم حسن – المصدر السابق – جـ ٢ ص ٤٣٩.

(٣) المقريزى –المتقى الكبير– اختيار وتعليق محمد اليعلاوى– دار المغرب العربى – جـ١ ١٩٨٧– ص٢٠٤

مواكب الفاطميين

اعتاد الفاطميون الاحتفال بالأعياد الدينية، وإقامة المواكب العظام وهى:

رأس السنة الهجرية، وأول رمضان، الجمع الثلاث الأخيرة منه، وعيدا الفطر والأضحى، وجبر الخليج (وفاء النيل) وامتازت هذه المواكب بإطلاق البخور، وتطييب الخليفة والأمراء.

وكانت عدة المبخرين فى كل موكب، ستة أيضا، ثلاثة عن اليمين ومثلهم عن الشمال، كل منهم مشدود الوسط، وفى كمه فحم برسم تعجيل المداخن الفضية، ويتولى أحد مقدمى بيت المال بحمل الدرج الفضة الذى يحتوى البخور، ويسير بين المبخرين طول الطرق يضع بيده البخور فى المدخنة، حتى إنه كان يتسابق على مهنة المبخر، فإذا مات أحد هؤلاء المبخرين لا يخدم عوضا عنه إلا من تبرع بمدخنة فضة، والبت ما كان له من رسوم كثيرة فى المواسم، وقربهم فى الموكب من الخليفة[1].

وكان من مظاهر احتفال الفاطميين بالاعياد، توزيع الحلوى على جميع موظفى الدولة، وإقامة الأسمطة الفاخرة والموائد العامرة التى تحوى كل طريف فى قصور الخلافة الفاطمية، وقد أنشئ فى عهد الخليفة العزيز بالله (ت ٣٨٦هـ) مطبخ ضخم لصنع الحلوى، أطلق عليه (دار الفطرة)، وكان العمل يبدأ فيه من منتصف شهر رجب كل عام، ويخزن داخله كميات كبيرة من السكر والعسل واللوز والجوز والفستق والبندق، والدقيق والتمر والزبيب، والمواد العطرية والزعفران وكل أنواع الطيب[2] فقد كان الطيب يدخل فى صناعة الحلوى التى توزع على كل موظفى الدولة فى المناسبات الدينية

وفى موسم الحج، تخرج قوافل الخلفاء والأمراء لهذه الرحلة المقدسة، ويرصد ذلك أموالا طائلة، ويُخَصص قدر من أجل العطر والطيب، وقد ذكر المقريزى أن نفقات قافلة الحج بلغت فى عهد وزارة بدر الجمالى (ت ٤٨٨هـ)، مائة وعشرين ألف دينار من بينها عشرون ألف دينار ثمن طيب وحلواء وشمع[3]. والباقى نفقة مرافقى الكسوة، ونفقات حماية القافلة، وأجر الجمال وحفر الآبار فى الطريق.

---

(١) المقريزى – الخطط – جـ ٢ ص ١٤٩.

(٢) المقريزى – المصدر السابق – جـ ص ٤٢٥.

(٣) المقريزى – المصدر السابق – جـ ٢ ص ٢٧٨.

٤- هدايا الطيب وذخائره

التهادى بالطيب

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء آية: ٨٦]
ومن معانى التحية عند بعض المفسرين الهدية، والعرب تعبر بالتحية عن الهدية على سبيل المجاز، لأن الهدية تجلب التحية كما يجلبها السلام، والسلام أول أسباب التحية[١]، ومن حديث السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنه (ﷺ) كان يقبل الهدية ويثيت عليها[٢]، وكان يأمر أصحابه بالتهادى صلة بين الناس، ففى رواية أبى هريرة، أنه (ﷺ) قال: {تهادوا تحابوا}[٣].

والهدية تدل على عقل مهديها، كما يدل الكتاب على عقل كاتبه، والرسول على عقل مرسله ويقول أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): الهدية تجلب المودة، وتزرع المحبة، وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة، ويدعو إلى القطيعة، وتصير البعيد قريبا، والعدو صديقا، والبغيض وليا، والثقيل خفيفا، والعبد حرا، والحر عبدا[٤].

ومن أفضل ما يتهادى به الناس على اختلاف أقدارهم، الطيب وأصنافه من نوافج المسك (أطيب الطيب)، وبيض العنبر (أنفس رغيب)، وأعواد الند والبخور، والصندل والكافور، حتى قوارير العطر الصغيرة. مع تفاوت قدر المهدى على سعة أو ضيق، فإن الكل يتساوى فى رقة الشعور وأناقة الحس، وقد عرفنا فى الفصل السابق كيف كان رسول الله (ﷺ) يحب الطيب ولا يرده إذا اهدى له، وقد أثر عنه ما رواه الدارقطنى فى الإفراد والطبرانى فى الأوسط من حديث زينب بنت جحش أنه (ﷺ) قال: { اقبلوا الكرامة وأفضل الكرامة الطيب، أخف محملا، وأطيب رائحة }[٥].

ويذكر أنه (ﷺ) كان قد أهدى النجاشي ملك الحبشة، أواقى من مسك وحُلة، ولكن الهدية ردت لموت النجاشي، فأعطيت كل واحدة من نساء النبى (ﷺ) أوقية من مسك، وأعطيت أم سلمة باقى المسك مع الحلة[٦].

---

(١) ابن العربى – احكام القرآن – جـ١ ص ٥٧٥.

(٢) المناوى – شرح مختصر الجامع الصغير – جـ٢ ص ٢٠١.

(٣) المناوى – المرجع السابق – جـ ١ ص٢٢٩.

(٤) المحاسن والأضواء – ص ٢١٥.

(٥) الماوى – المرجع السابق – جـ١ ص ٨٥.

(٦) ابن سعد – الطبقات الكبرى – جـ٨ ص ٦٧.

أطيب الهدايا

من بين ما كتب عن الهدايا فى المكتبة العربية : كتاب (**التحف والهدايا**) للخالدين (ت ٣٨٥هـ)، وكتاب (**الذخائر والتحف**) للقاضى الرشيد بن الزبير من علماء القرن السادس الهجرى:

وقد تضمن كتاب **التحف والهدايا** للخالدين: ذكر الهدايا والطرائف والتحف التى اهديت إلى الملوك والسلاطين والأمراء والعامة والأصدقاء، كما تضمن أخباراً عن الإهداء ثم الشكر، واستدعاء الهدايا وطلبها، وقبول الهدايا أو رفضها وقد ذكرت الأشعار التى قيلت فى كل هذه الأغراض.

وتضمن كتاب **الذخائر والتحف** للرشيد بن الزبير حكايات عن هدايا الملوك والأمراء، والقرابين والموجودات، والذخائر والمصوغات، وفى باب الهدايا: ذكر نتفا من مشاهير الهدايا عظيمة الأقدار وطرفا من التحف جسيمة الأخطار.

ومن هذين الكتابين، ومن غيرهما ننتقى محاسن الهدايا وطرائفها وما اشتهر منها وذاع خبره على مر التاريخ، وبوجه خاص ما اشتمل منها على أصناف العطر والطيب.

١- سجل على جدران معبد الدير البحرى بطيبة (الأقصر)، أخبار البعثة التى أوفدتها الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت (الصومال)، فى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد، وقد اقلعت خمس سفن تحمل هديتها من الجواهر والحلى وألوان الطعام والشراب والسلاح إلى حاكم المنطقة الذى رد الهدية بأحسن منها، فأعاد السفن بأشجار البخور، وأصناف العطور، والمر والعاج والأبنوس والكحل، بخلاف أخشاب أخرى زكية الرائحة[1] وقد أمرت الملكة بزراعة إحدى وثلاثين شجرة من أشجار البخور المهداة فى حديقة آمون داخل معبد الكرنك[2].

٢- يذكر أن المكربان (يثع أمر)، (كرب ايلو) اللذين كانا يتوليان تقديم القرابين والهدايا للآلهة والملوك فى مملكة سبأ، قدما هدايا إلى الملك الأشورى سنحريب (٧٠٥ — ٦٨١ق.م) وكانت من الأحجار الكريمة والعطور[3].

---

(١) أحمد الشحات – سحر العطور – ص ١١، دكتور حسين فوزى – سندباد عصرى – ص ١٩٦.

(٢) ونفريد هولمز – كانت ملكة على مصر – مترجم – ص ٥٤.

(٣) د. جواد على – المفصل فى تاريخ العرب – جـ٢ ص ٢٧٢، (المكرب) المقرب الذى يقدم القربان إلى الآلهة) ، د. بيومى مهران – تاريخ العرب القديم – ص ٢٧٨.

٣- أهدى ملك الهند إلى كسرى أنوشروان. (ت ٥٧٨م) ملك الفرس ألف مَنٍ؛ من العود الهندى يذوب فى النار كالشمع، ويختم عليه فتبين الكتابة، كما أهدى ملك التبت إلى كسرى أيضا، مائة ترس تبتية مذهبة، وألفاً من المسك[1].

٤- بعث أبرويز بن هرمز (كسرى الثانى وحفيد أنوشروان) (ت ٦٢٨م)، إلى ملك الروم: مائة غلام من أبناء الترك مختارين فى صورهم ونفوسهم ومعهم الذهب والياقوت والزمرد واللؤلؤ، ومائة خاتم ذهب مرصع بالجوهر، حشوة مسك وعنبر[2].

٥- كانت هدية حسان القبطى، إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، (ت ١٢٥هـ) من الكساء والعطر والجوهر، وقد استكثرها هشام، وقال بيت المال أحق بها، فنودى عليها للبيع، فبلغت مائة ألف دينار، وبعث حسان بقيمتها ليطيِّبها، وطلب أن يُحمل المبلغ إلى بيت المال، حتى تقبل هديته، فقبلها هشام، ونادى على مناديه: قد طابت الآن"[3].

٦- يروى أن جعفر المنصور بالله، كتب إلى معن بن زائدة الشيبانى حين ولاه اليمن ١٤٢هـ، يستهديه عطرا، فوجه إليه مائة جراب خِطْرا، فى كل جراب كيس فيه ألف دينار، فلما وصل إلى المنصور ووقف على ما فى الجراب، رد على معن يمدح كرمه ويشكره على هديته، فما سُمع بخليفة امتدح أحدا غير المنصور[4].

٧- أهدى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس، والى البصرة فى خلافة المهدى، إلى الخيزران (زوج الخليفة) فى ١٩٠هـ، مائة وصيف بيد كل منهم جام ذهب مملوء مسكاً[5].

٨- بعث شارل الأول ملك الفرنجة المعروف بشارلمان، إلى الخليفة هارون الرشيد، هدايا ثمينة حتى يحمى النصارى المتجهين إلى بيت المقدس للحج، وقد أجابه الرشيد إلى

---

(١) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ٤.

(٢) الجاحظ – المحاسن والاضداد– ص ٢١٦.

(٣) الجاحظ – المصدر السابق – ص ٢١٧.

(٤) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ١٦.

* المن: ميزان مقداره رطلان

* الخطر: ورق نبات يدق ويختضب به مع الحناء (لسان العرب – جـ٢ ص ١١٩٧).

(٥) الرسيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ١٧.

طلبه، ثم رد بهدية تؤكد أُبَّهة العباسيين، كان من بينها: أطياب وأفاوية، وسرادق (خيمة) واسعة على الطراز العربي، والساعة المائية الدقاقة التي أعجب بها بلاط شارلمان، ولم يكن من بينهم من استطاع معرفة سر تركيبها ويوضح آلتها[١].

٩- واشتملت هدية رهمي ملك الهند إلى الخليفة المأمون، على أصناف الجوهر والجلود، وجلود الحيات والسمندل، ومن الطيب: مائة ألف مثقال عود هندي تختم فيقبل الصور[٢].

١٠- كما أرسل بعض الروم إلى المأمون هدية، فقال المأمون: أهدوا له مائة ضعف لها ليعلم عز الإسلام ونعمة الله علينا، ففعل ذلك، فقال وقد كملت الهدية، ما أعز الأشياء عندهم؟ قالوا: المسك والسمور* فقال: زيدوهم مائتي رطل مسكا، ومائتي سمور[٣].

١١- أهدى يعقوب بن الليث بن الصفار (مؤسس الدولة الصفارية) إلى الخليفة المعتمد على الله (ت ٢٧٩هـ) من بعض هدية من حملتها: عشرون صندوقا محمولة على عشرة أبغل فيها طرائف الصين وغرائبه، ومسجد فضة برواقين* يصلي فيه خمسة عشر إنسانا، ومائة مَن مسك، ومائة مَن عود هندي"[٤].

١٢- أما عمرو بن الليث بن الصفار (والي خراسان) للخليفة المعتضد بالله، فقد أهداه في عام ٢٨١هـ هدية منها: مليون درهم، وألف ثوب وسبعة ستور، وعشرين مناً مسكا، ومئة مَن عود، وألف مثقال عنبر، ثم أهدى له في السنة التالية: أربعة آلاف درهم ورقا، ومن المسك ثلاثة آلاف مثقال ومن العنبر ألف مثقال، ومن العود خمسين مناً[٥].

---

(١) سيديو – تاريخ العرب العام – ترجمة عادل زعيتر – جـ٢ ص ١٩٥، ١٩٢، ٣٣٥.

(٢) الخالديان – التحف والهدايا – ص ١٥٩.

* السمندل: طائر يزعم انه يدخل النار ولا يحترق (لسان العرب – جـ٣ ص ٢١٠٥).

** السمور: حيوان يؤخذ من جلده فراء ثمين (لسان العب جـ٣ ص ٢٠٩٢ وهو غير السمور (الهر) (لسان العرب جـ٣ ص ٢١١٧).

(٣) الرشيد بن الزبير – المصدر السابق – ٢٨.

** الرواق: مقدمة البيت وجوانبه (لسان العرب – جـ٣ ص ١٧٨٠).

(٤) الرشيد بن الزبير – المصدر السابق – ص ٤٢، ٤٣.

(٥) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ٤٢، ٤٣.

١٣- أهدت شجر — أحب حَظايا المتوكل — في يوم المهرجان: عشرين غزالا بسروج صينية، على كل غزال خرج صغير فيه المسك والعنبر وأصناف الطيب ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب، في يدها قضيب ذهب، في رأسه جوهرة، فقال المتوكل لحظاياه وقد سُر بالهدية: ما فيكن من تُحسن مثل هذا وتقدر عليه؟ فحسدتها، وعملن على قتلها بشئ، سقينه لها، فماتت[1].

١٤- كان بختيشوع الطبيب السرياني الذى عاش فى عصر المتوكل، يهدى البخور فى درج، وفى درج آخر فيه فحم يتخذ له قضبان الاترج والصفصاف، وشنس الكرم المرشوش عليه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور وماء الخلاف "والشراب العتيق، ويقول: أنا أهدى بخورا بغير فحم، حتى لا يفسده فحم العامة، ويقال: هذا عمل بيبتشوع[2].

١٥- وأهدى عبد الملك بن شُهَيد — جد الشاعر أو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد — إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقد استوزره في الأندلس ٣١٧هـ، هدية مشهورة اتُفِقَ أنه لم يُهاد أحداً من ملوك الاندلس بمثلها، وكانت تتكون من خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين، وأربعمائة ألف رطل من الند، واثنى عشر رطلا من العود المتخير، ومائة رطل من العود الشبة المنتقى، ومائة أوقية من المسك الذكى المفضل فى جنسه، ومن العنبر الأشهب ومن الكافور المرتفع النقى الذكى ثلاثمائة أوقية، وغير ذلك من أصناف اللباس من الحرير المرقوم بالذهب، والأفرية* من الفنك* الخرسانية، والمطارف العراقية، ومن السلاح والعدة والخيل الاصلية والبغال العالية المسرجة والرقيق والجوارى[3].

---

(١) الرشيد بن الزبير – المصدر السابق – ص ٢٩

* الخرج: وعاء من صوف أو أدوم ذو عدلين على ظهر الدابة (الافصاح – جـ ص ٥٨١).

(٢) ابن ابن اصيبعة – عيون الابناء فى طبقات الأطباء – ص ٢٠٤.

* الأترج: شجر من فصيلة الحمضيات تعرف بالكباء، الصفصاف: شجر حرص مائى، شنس: قضبان شجر، ماء الخلاف: ما يعرف فى الشام بالزيزون العذب.

* الافرية: جمع فراء، والفنك جبس من فراء التعالب، أحسن الفراء، يجلب من بلاد الصقالية.

* الفنك: جنس من فراء الثعالب، يجلب من بلاد صقالية، المطارف أردية من خز معلمة (اللسان ٤/ ٢٦٦٠)

* الأشهب: الشهبة لون بياض يصدر عنه سواد من خلاله، (لسان العرب ٤/ ٢٣٤٦) وهذا أجود العنبر.

(٣) المقرى – نفح الطيب من عصن الاندلس الرطيب – جـ١ ص ٣٤٠.

ذخائر الطيب

نورد فيما يلي بعض الأخبار والروايات،عن الذخائر والمصونات، والموجودات بعد الوفيات، والتركات والمورثات، وخاصة ما كان فيها من أصناف الطيب والعطر ومتعلقاته من المباخر والقماقم والقوارير والقنينات، تلك التى وجدت فى خزائن الخلافة، وبين نفائس الملوك والآمراء، ونركز على عصور العباسيين والفاطميين.

(أ) عند العباسيين

١- لما ولى الأمين الخلافة بعد أبيه الرشيد عام ١٩٣هـ، أمر وزيره الفضل بن الربيع، أن يحصى ما فى الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة، فاحضر الكتاب والخزائن، وأمضى يحصى أربعة أشهر حتى أشرف على ما يتوهم أن خزائن الخلافة تحويه، ثم أمر أن يكتب لكل صنف جملة، فكان الموجود من أصناف الطيب: مائة ألف مثقال مسك، ومائة ألف مثقال عنبر، وألف سفط عود هندى وألف برنية غالية، وأصناف كثيرة من العطر[1].

٢- ومن بين ما تركه الخليفة المتوكل بعد مقتله عام ٢٤٧هـ، من الطيب فقط — ما تقدر قيمته بمائة ألف دينار[2].

٣- ووجد لابن الحسن بن الفرات (وزير الخليفة — لثلاث دفعات) ت (٣١٢هـ) ضمن ودائعه من أصناف الطيب: من العود الأخضر ثمانمائة مَنٍّ، ومن المسك أربعمائة وعشرون من، ومن الكافور نيف وسبعون منا، ومن العنبر خمسة وأربعون ألف مثقال[3].

٤- كما وجد للعباس بن أبى الحسن بن الفرات (وزير الخليفة المكتفى) يوم قتل ٢٩٥هـ، مما خلف من الطيب، مائة ألف مثقال عنبر[4].

---

(١) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ٢١٥.

(٢) الرشيد بن الزبير – المصدر نفسه – ص ٢١٩.

(٣) الرشيد بن الزبير – المصدر نفسه – ص ٢٣٠.

(٤) الرشيد بن الزبير – المصدر نفسه – ص ٢٢٥.

(ب) وعند الفاطميين

١- تركت ست الملك بنت الخليفة العزيز بالله الفاطمى، بعد وفاتها ٤١٥هـ، ثروة ضخمة منها: ثمانمائة جارية، وثمان جرات مليئة بالمسك، وكثير من الأحجار الكريمة بينها ياقوتة تزن ثمانية مثاقيل[١].

٢- ووجد للسيدة راشدة بنت المعز لدين الله الفاطمى، حين ماتت ٤٤٢هـ، ما قيمته ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، كما كان من جملة ما وجد فى خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خز، واثنا عشر ألفاً من الثياب المصمتة ألواناً، ومائة قطر ميز* مملوءة كافورا فنصوريا[٢].

٣- أخرج من خزائن الجوهر والطيب والطرائف التى كانت بالقصر المعزى شرق القاهرة، بعد تقلب المارقون على الخليفة المستنصر بالله ٤٦١هـ واستباحوا ما فى بيت المال، من نفائس الطيب: عدة أزياء كبار مملوءة كافورا فنصوريا لم ير مثله، وزن القطعة خمسة مثاقيل إلى ما دونها، وكثير من جماجم العنبر الشحرى والعدنى، تزن القطعة حوالى ثلاثة الآف مثقال، ومن تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة، كل تمثال منها وزنه اثنى عشر منا، ووجدت قطعة عنبر تسمى الخروف وزنها خالصة سوى ما يمسكها من ذهب ثمانون منا، ومن تماثيل الكافور ما لايحد كثرة!. وفى جملتها ثمانمائة بطيخة، ووجدت بطيخة كافور فى شباك ذهب مرصعة وزنها خالصة سبعون منا، وخمسة صوارى عود هندى، طول كل واحد منها من تسعة إلى عشرة أذرع، بخلاف المسك التبتى وقواريره، وشجر العود الأخضر وقطعه

٤- ووجد بين متروكات الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى، عندما قتل ٥١٥هـ خزائن الطيب مملوءة أسفاطاً فيها العود وغيره، ومكتوب على كل سفط وزنه وجنسه وبرانى بها المسك والكافور، وشئ كثير من العنبر، من بينه لعبة على قدر جسده، برسم ما يعلق عليها من ثيابه لتكتسب الرائحة الطيبة.

---

(١) الرشيد بن الزبير – الذخائر والتحف – ص ٢٤٠.

* قطر ميز: وعاء، * ازيار: جمع زير، وهو الدلو أو الجرة العظيمة (لسان العرب ج٣، ص١٨٩٨)

(٢) الرشيد بن الزبير – المصدر السابق – ص ٢٤١.

(ج) **وتضم دار الآثار العربية بالقاهرة**، ومتحف الفن الإسلامي، مباخر وقينات، وتماتم وقوارير، وعلباً صغيرة للعطر والطيب والكحل والأدهان، مصنوعة من البلور أو النحاس المكفت بالذهب أو الفضة أو البرونز، مركب عليها من الخارج حبيبات من اللآلىء والاحجار الكريمة، محلاة بنقوش وزخارف رائعة، وكلها يعود تاريخه إلى القرن الرابع الهجرى[1].

ومن كنوز الفن الرائعة والتحف المحفوظة بالقسم الإسلامى فى متحف برلين، حيث توجد مبخرة من البرونز يرجع تاريخها إلى القرن الثانى الهجرى[2].

وقد اهتم الفن الإسلامى بصناعة المباخر والمجامر التى تستخدم فى تبخير المساجد والقصور، وبيوت السراة، منها ما كان يعلق بسلاسل طويلة، أو يمسك باليد، أو يوضع على الأرض لكبر حجمها، ومن حيث الخامة: فقد كانت المباخر تصنع من الفخار أو الخشب المغلف برقائق النحاس، أو النحاس وقد تصنع من الذهب أو من الفضة المكفتة بالذهب[3].

وقد استخدمت كل الوسائل الفنية فى زخرفة وتزيين المباخر من نقش وحفر، وترصيع وتكفيت، وتسجل ظاهرة ارتباط هيئة المباخر بالحيوانات والطيور، وكثرت المباخر التى تتخذ شكل طائر، أو رصع عليها صور الطيور متنوعة، من الطيور المعروفة أو الخرافية، وقد تحمل رؤوساء آدمية، ويفسر العلماء هذه الظاهرة بأن البخور ارتبط فى تاريخ الشرق بأعمال السحر. وطقوس الشعوذة وعمل التعاويذ والطلمسات، وقد ارتبطت هذه المباخر بدورها بالطيور وخاصة الخرافية فحملت صورها[4].

وبالنسبة لأوعية الطيب يذكر أنه فى عام ١٩٩٢ أقيم فى مدينة سيدنى باستراليا، مزاد عظيم عن قارورات العطور التاريخية، رجع بعضها للقرن الثامن عشر وبيعت بأثمان باهظة وسبق القول بأن الفنيقيين تفوقوا فى صناعة الزجاج، وقد احتلت سوريا موقعا

---

(١) كتاب عن معرض الفن الإسلامى فى مصر أقيم فى فندق سميراميس بالقاهرة ٤ – ٣٠ أبريل ١٩٦٩ نشرته وزارة الثقافة.

(٢) د. زكى محمد حسن – فنون الإسلام – دار الفكر العربى – ص ٥١١.

(٣) كَفَّت: خلط ، رصَّع: زخرف وزين

(٤) مجدى غنيم – العطور – منشورات الغالى – سلسلة عالمنا – ص ٤٠.

متميـزا فـى صناعة القوارير قبل الإسلام وبعده، وفى العصور الحديثة أتاحت تكنولوجيا تشـكيل الـزجاج، وتطورها آفاقا رحبة أمام مصممى قوارير العطور، فانطلق خيالهم بدون حـدود، ووضـعوا أشـكالا فنـية رائعـة لهـا، وأصـبح تصميم عطر جديد يستلزم بالضرورة تصـميم قـارورة جديـدة تناسـبه، وتتمشـى مـع شخصيته، وقارورة العطر وهى خالية قد تكون لها قيمة كبيرة فهى عمل فنى مستقل بذاته بغض النظر عن المحتوى العطرى.

وفـى خـان الخليلـى بحى الأزهر بمدينة القاهرة تنتشر تجارة قوارير العطور الفارغة، والتـى تـتخذ أشـكالا رائعـة وبأحجـام مختلفة، والتى تشترى كتحف وتذكارات يقتنيها الهواة، السياح من زوار مصر.

♠ خامساً : الطيب في العصر الحديث.

يرجع تاريخ إدخال العطور إلى أوروبا فى العصور الحديثة من بلاد الشرق الإسلامى إلى زمن الحروب الصليبية، والتى دارت رحاها خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين، وقد حمل فرسان الصليب العائدون من فلسطين — حيث دارت المعارك الحاسمة — إلى زوجاتهم كثيراً من مواد الزينة الغالية، والعطور الفاخرة التى كانت النساء العربيات يستعملنها ويتطيبن بها، ولم يقتصر ذلك على الجزر البريطانية فحسب، بل تزامن ذلك مع الانتشار فى فرنسا وايطاليا.

وكان من نتائج الحروب الصليبية أيضا إدخال حمامات البخار العامة من بلاد الإسلام إلى أوروبا، وكانت الكنيسة تعارض ذلك بحجة أن الحمامات بؤر للفساد تفسد الاخلاق، وكانت المسيحية الأولى تحقر الجسم بوجه عام مما جعلها تهمل العناية بالصحة، ولم تكن النظافة فى العصور الوسطى من الايمان[1].

وفى عام ١٣٧٠م ظهر أول عطر كحولى — لا يزال يعرف للآن — باسم "ماء هنغاريا" وعُمِل خصيصا من أجل زينة الملكة اليزابيث ملكة المجر.

فرنسا

أغرمت الفرنسيات بالعطور إلى حد كبير

١- ويذكر أن "كاترين دى ميدتش (ت ١٥٨٩م)" سليلة لونزو الثانى، وحفيدة البابا ليو العاشر، والتى زُوِّجت وهى بعد فى الرابعة عشرة من عمرها من الأمير هنرى، الذى أصبح فيما بعد هنرى الثانى ملك فرنسا من ١٥٤٧ — ١٥٥٩م، وقد جلبت معها الأدب الايطالى، والإحساس بالجمال، والولع بالاناقة، والرهافة فى الأثاث والملبس، وقد وصف بلاطها بأنه أروع بلاط وجد (فردوس أرضى حقيقى)، وكان يتألق فيه ثلاثمائة سيدة أو آنسة مرتديات أغلى الثياب وأفخرها.

كما اصطحبت معها —عند زواجها— واحداً ممن ارتبط اسمهم بصناعة العطور ويدعى "رينيه" وكان من مواطنى فلورنسا بايطاليا[2].

(١) ول ديورانت – قصة الحضارة – جـ ٥، مج٤، (١٦)، ص ٢٠٦.

(٢) ول ديورانت – قصة الحضارة – جـ٢، مج ٧، ص ١٧٨.

٢- وأنشا هنرى الثالث منصب مدير المراسم، وأصدر مرسوما يفصل قواعد السلوك فى البلاط الفرنسي وبروتوكولاته، ويحدد الشخصيات الذين يسمح لهم بالمثول بين يدى الملك، وطريقة مخاطبته، وخدمته، وزينته، وطعامه، ومرافقيه فى نومه وصيده، ومن يحضر مراقص الملك.

٣- ولكن الملك لويس الرابع عشر والذى حكم ١٦٤٣ - ١٧١٥م وعرف بالملك الشمس وصاحب العصر الذهبى للثقافة الفرنسية، حيث ظهر الأعلام: بسكال وموليير وراسين، قد توسع فى تطبيق واحترام قواعد السلوك، حتى أصبحت طقوسا، تنافس القداسات، وعرف بلاط لويس الرابع عشر بالبلاط المعطر لكثرة انتشار العطر فى جنبات قصر فرساى[1].

٤- وبلغ الترف فى عهد الملك لويس الخامس عشر (١٧١٠ - ١٧٧٤م)، أنه قد أصدر أمراً باستعمال عطر مختلف يوميا فى بلاط قصره، وقدر ثمن العطور التى ابتاعتها محظيته (مدام بومبا دور) مبلغ مليون ونصف المليون من الجنيهات.

وقد عجل ذلك التبذير والسرف، وفساد البلاط، وفضائح الملك بين المحظيات والمعشوقات من نهاية هذا الحكم وقيام الثورة الفرنسية[2].

٥- وذكر أن (مدام تاليان) زوجة الثائر الفرنسي، وعضو المؤتمر الوطنى جان لامبير تاليان (١٧٦٧ - ١٨٢٠) كانت تستحم دائما بخلاصة النباتات العطرية[3].

٦- وكان الامبراطور نابليون بونابرت (ت ١٨٢١م)، يحب العطور بدرجة كبيرة حتى إن معدل استهلاكه من ماء الكولونيا بلغ نصف جالون يوميا[4].

انجلترا

يذكر أنه فى بلاط الملكة اليزابيث الأولى ١٦٠٣م استعمل الجنسان رجالا ونساء كل أصناف الروائح العطرية من أجل تعطير البدن، مع كثير من مستلزمات التجميل وأدوات الزينة، وقد احتفظت سيدات البلاط الانجليزى بهذه المستحضرات العطرية فى صحارات كبيرة.

---

(١) ول ديورانت - نفس المرجع - ص ٢٠٨.

(٢) دار الأهرام - موسوعة المعرفة - مج ١٩ ص ٣٢٠٧.

(٣) دار الأهرام - موسوعة المعرفة - مج ١٩ ص ٣٢٠٧.

(٤) المرجع السابق - مج ١١ ص ١٩٢٦.

وكانـت هـى الأخـرى معطـرة، واعتبرت مثل هذه الصحارات من "أساسيات" تأثيث حجرات النوم[١].

وفى ١٧٧٠م صدر مرسوم ملكى يحمى المجتمع البريطانى من قيام البعض بعمل زينات صناعية للجـنس اللطـيف عـند الاقـبال على الزواج: "يحظر على النساء فى كل الأعمار والمـراتب والمهـن والطـبقات، عـذارى أو ثيـبات أو أرامـل، إكـراه أو تضـليل أحد رعايا جلالـته عـند الـزواج، عـن طريق استعمال الروائح العطرية أو الاصباغ أو الأدهان أو مواد التجمـيل أو الأسـنان الصـناعية والشعر المستعار، والمشدات المتينة والاحذية ذات الكعب العالى "ونص على العقوبات التى يتعرض لها الفاعل، مع اعتبار الزواج باطلاً" ![٢].

ويذكر أنه فى عهد الملكة فيكتوريا (١٨٧٣ — ١٩٠١م) كانت العطور محرمة إلى حد مـا وظلـت كذلك إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، وبعدها اندفع المستهلكون إلى طلبها بزيادة[٣].

النمسا

ويذكـر أن الملكـة آن ملكـة النمسـا، كانـت إذا أقامـت حفـلا، أعدت مجموعات من الطـيور الجمـيلة، وبللـت أجنحتها بأثمن أنواع العطور وأطلقتها فى قاعة الحفل، فتطير فى أرجائها، بينما تتساقط قطرات العطور عل المدعوين طول الحفل[٤].

ومـثل ذلـك سـبق إلـيه الـرومان فـى تعطير القاعات الكبرى فى القصر الامبراطورى، وكـذلك اسـتخدام الطـيور المـؤدبة (المدربـة) فـى تعطـير مجلس جبلة الأبهم الغسانى فى الجاهلية.

---

(١) ول ديورانت – قصة الحضارة – جـ٢ ص ٢٦٥.

(٢) ول ديورانت – نفس المرجع – جـ٢ ص ٢٦٥.

(٣) ول ديورانت – نفس المرجع – جـ ٢ ص ٢٦٥.

(٤) صبرى غنيم العطور – ص ٥٨.

مبتكرو العطور العالمية

تطورت صناعة العطور فى العصر الحديث بشكل كبير، ويرجع الفضل فى ذلك إلى عدد من الرواد الذين عكفوا على إبداع أصناف عديدة من العطور نذكر منهم:

١- فرانسوا هوبجان ولوبين **Houbigant** أوائل القرن الثامن عشر، حيث أبدع عطره المشهور **Quelques Fleures** من التكوينات الزهرية المعروفة بذلك الإسم، ثم إستخدم الكومارين المحضر صناعيا فى تركيبة الفوجير الملكى **Royal Fougere**، ويعتبر من الرموز المميزة للأناقة والإبداع، ومن صناع التراث العظيم فى عالم العطور الفرنسية.

٢- بيير فرانسوا جير لان **Guerlan**.

٣- كوتى **Coty**.

٤- كارون **Caron**.

٥- بورجوا **Bourjois** الذى أبدع عطر من أشهر العطور هو ليالى باريس **Soir De Paris** ويتركب من: القرنفل، الورد البلغارى، البنفسج، النجيل الهندى، الصندل.

٦- روجيه وجاليه **Gallet * Roger**.

وقد بدأ هؤلاء الرواد جميعا فى صناعة القفازات المعطرة أولا، ثم تحولوا إلى إبداع العطور الفاخرة[1].

جيرلان **Guerlan** (؟ - توفى ١٨٦٤)

بيير فرانسوا باسكال جيرلان ينحدر من سلالة حاكمة فى فرنسا، وقد افتتح معرضه الأول للعطور عام ١٨٢٨ بالدور الأرضى لفندق موريس الشهير بشارع رفولى بباريس، والذى كان يؤمه الصفوة وعلية القوم، وكانت عطوره الزهرية تحظى بانتشار واسع، ثم نقل معرضه عام ١٨٤٠ إلى قلب مدينة باريس إلى جانب المحلات الراقية ذات المستوى الرفيع، وكان من عملائه: الكونتيسة كاستيليو، وأميرات ميتريخ، وأمير ويلز، وولى عهد بلغاريا.

وفى عام ١٨٣٥ صنع عطر خصيصا للإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون بونابرت، يسمى ماء الكولونيا الإمبراطورى **Eau De L, Imeratice** ، حتى زجاجة العطر فكانت تحفة أسطورية إذ زينت بصورة ملكات النحل المغموسة فى الذهب.

---

(١) عبد الوهاب القاضى – أسرار العطور – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩ – ص ١١١.

وتزامن فى عام ١٨٨٩ تشييد المهندس العبقرى البارون جوستاف إيفل برجه الشهير، مع إبداع العطر الرائع *Jicky* والذى سمى على الاسم الطفولى للعبقرى الموهوب إيمى جيرلان (الابن الأكبر) لجيرلان، الذى ورث المؤسسة مع أخيه جابريل، بعد وفاة الأب، وقد اعتمد هذا العطر على الشيفيت كقاعدة.

وفى عام ١٩١٢ قدم جاكو جيرلان عطره الشهير ***L, Heure Blue*** ، وتكون من خلاصة الورد المنعمة برائحة الأيرس والمسك والفانيليا والتى توحى بحياة الأوقات المحببة لنفس صانعها.

كما قدم فى عام ١٩١٩، عطره ***Mitsouko*** برائحته الخشبية الشيبرية والمطعم بلمسة خفيفة من رائحة الخوخ، وبهذا العطر تألق نجم جاكو جيرلان عام ١٩٢٠.

وفى عام ١٩٢٥، ظهر عطر شاليمار ***Shalimar***، والذى استلهمه من الفنون الأفريقية بعد إضافة لمسة من الفانيليا التى وردت إليه من مدغشقر، وهو عطر مثير للذكريات والعواطف، وحقق نجاحا لمدة سبعين عاما منذ إنتاجه، وبلغ أكثر من ١٦٪ من إجمالى حجم مبيعات منتجات جيرلان، وفى عام ١٩٦٣ قدم عطر غناء العبير ***Shant D, Armoes***، وقدم عطر " نعيمة" عام ١٩٧٩ من خلاصة الورد الدمشقى، وعطر (ماهورا) كمثل رائع للعطور من زهرتى النرجس والياسمين.

فرانسوا كوتى ***Coty***

فى مطلع القرن العشرين قدم عطره الشهير الأوريجون، وفى عام ١٩١٨ أطلق عطره المبتكر شيبر ***Chyper***، والاسم مستمد من جزيرة قبرص وهو عطر شديد النعومة، حيث أدخل فيه العديد من الكيماويات العطرية، والتى أصبحت فيما بعد القاعدة البنائية للعديد من العطور[1].

كارون ***Caron***

بدأ عام ١٩٠٣ عندما افتتح ***Ernest Daltroff*** قصر العطور فى باريس، وقد كان حبه للعطور راجعا إلى أيام الطفولة، أبدع عطره ***Narcisuss Noir*** عام ١٩١١، وكان باكورة مجموعة فتن بها نجوم السينما العالمية فى هوليوود، وأدمج فيه الرائحة الخشبية مع رائحة الصندل والفيتيفير.

---

(١) عبد الوهاب القاضى – أسرار العطور – الهيئة المصرية العامى للكتاب – ١٩٩٩ – ص ١١٤.

· وفـى عـام ١٩٢٨ أطلـق عطـر الكـريب دى شـين **Crep De Chine** معـناه الحريـر الصـينى، ذو اللمسـات التوابلـية، حـيث التـناغم بـين الخلاصـة الدافـئة للكارنيشـن والـياسمين والـورد الـبلغارى، وقد حل الورد جزئيا محل الياسمين ودخلت الألدهايدات بثقلها فى وسط كان شديد المعارضة لها، وكان نجاح هذا العطر دافعا لمشتقات جديدة.

وفـى عـام ١٩٢٧ أبدع عطـر **Nuit De Noel** الـذى يـتكون مـن : الـيلانج يلانـج والتيـباروز وزيـت الصـندل، وحقـق نجاحـا سـاحقا فـى الولايات المتحدة الأمريكية مثل الشمبانيا الملكية التى كانت مفضلة لدى الأمريكيين.

وعطر **Tabac Blond** ، أول عطر خاص بالسيدات التى تهوى التدخين.

وعطر **Ble Ami** الـذى قدمـه هرمـز **Hermes** وعـرض بمعـرض كارون الشهير الذى افتتح عام ١٩٨٢، وحقق العطر أعلى رقم مبيعات.

لقد قـدم كـارون مجموعة الاثنتي عشرة من العطور فى نافورات من كريستال البكاراه الفاخـر طـراز لـويس الـرابع عشر، ومنها عطره الشهير **Aimez Que Moi** عام ١٩١٦، وعطـره الآخـر **Narcisse Blance** والـذى غمـر الأسـواق الأمـريكية لفـترة طـويلة فـى الثلاثينات[1].

Molinard

تأسس بيت العطور مولينار بمدينة جريس الفرنسية مهد ميلاد العطور التقليدية، عام ١٨٤٩، وتعاقـب عليه أربعة أجيال من الأسرة، فى عام ١٩٢١ قدم عدة عطور للسيدات التـى تـدخن، وحـازت نجاحـا كـبيرا بين الشباب المراهق، كما قدم مولينارد عطرا على شـكل مسـحوق مكـون من شموع الأزهار والتى كان يعالجها بطريقته الخاصة، وتستخدم لتعطير الجسم، وقد جرت محاولات لتقليدها ولكنها باءت بالفشل[1].

وفى عام ١٩٢٦ قدم عطره الأول فى قنينة من الكريستال مزود برشاس صممه **Rene Lilque** (١٨٦٠ — ١٩٤٥) وهـو مصـمم مجوهـرات فرنسى، وكذا مصنوعات زجاجية، ويعتـبر المصـمم الأول لـزجاجات العطـور الـرائعة، حـيث يزخـرفها بالشعارات الأنيقة، ويلونها يرسمه باليد.

---

(١) المرجع السابق – ص ١٢٨.

(٢) عبد الوعاب القاضى – أسرار العطور – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩ – ص١٣٧.

مصممو الأزياء والعطور

كـان الـنجاح الكـبير للرواد فى عالم العطور، دافعا لمصممى الأزياء الكبار لدخول هذا المجـال، باعتـبار أن العطـور تنتمى إلى الموضة، وهى فى الواقع أكثر استمرارية، فنجاح الموضـة عابـر، بيـنما العطـور الشهيرة تستمر لنصف قرن أو أكثر، ويعتبر مصممو العطور الموهوبـون هـم أسـاس هـذه الصـناعة، لابـد لهـم أن يندمجوا مع البيوت العالمية للعطور والأزيـاء، حـيث كبر حجم السوق واتسع الإنتاج، وانتهت المرحلة التى كان فيها مصمم العطـر يقـوم بنفسـه بتسويقها، وأصبحت العطور تشكل قوة اقتصادية لا يستهان بها فى أى دار أزيـاء، وهـى تعتـبر تجـارة كبيرة على مستوى العالم، وبالإضافة إلى اهميتها فى تمـويل الدار، تساعد أيضا على ترسيخ اسم الماركة فى أذهان الناس. مثلا: لدى مؤسسة ديـور ٢٢ ألـف مـنفذ لبـيع عطـورها حـول العـالم، وهذا يعنى أن اسم ديور سيرسخ فى أذهـان العديد ممن يزورون هذه المنافذ، ونعرض فيما يلى لعدد من أصحاب بيوت الأزياء والعطور العالمية.

إستيى لاودر *Estee Lauder*

سـيدة العطـور الأمـريكية، والتـى تعتلى هذه الصناعة الأمريكية قمة الهرم العالمى فى سوق العطور، حيث المستودعات الفاخرة بمدينة نيويورك، وقد ظهرت منذ خمسين عاما بفضـل خـيال وفكـر السـيدة المـبدعة مـدام إستيى لاودر والتى تنحدر من أصول مجرية، وأسسـت شـركتها للعطـور فـى عام ١٩٤٦، وكان عطرها الأول ***Youth Dew*** عطرا قويا ممـتد المفعـول، وأصـبح السـمة المميـزة للمـزاج الأمريكـى حتى الآن، وقد كان شغل مدام إستيى الشاغل هو جعل المرأة الأمريكية أكثر جمالاً وأكثر أنوثة، وحطمت حواجز تحفظ المجـتمع الأمريكـى تجـاه العطـور، وجعلـت مـن العطر الأمريكى التحفة العالمية الأولى، ويعـود إلـيها الفضـل فـى جعـل العطـر كالحـب لا يستغنى عنه الإنسان، ومن مجموعة عطـورها: أرامـيس ***Aramis*** الـذى يتميـز إلى جانـب قـوته بنكهة جلد خاصة، ثم عطر ***Private Collection*** ، مـن خلـيط مـن الـورد الـبلغارى وزهـر الـبرتقال والميموزا وعطر الليمون المنغمس فى كل من الياسمين مع الهليوتروب، وعطر ***Estee Docytime*** ، وفى عـام ١٩٨١ أطلقـت عطـر الـربيع الـدائم ***White Linen*** يتركـب مـن: الـورد البلغارى، ليلاس الوديان، عطر لبلوب الموالح.

كوكو جابريل شانيل *Coco Gabrielle Bonheur*

(١٨٨٣ — ١٩٧١) ولدت في ساومو — ماين لوار بفرنسا، صاحبة مؤسسة رائدة في تصـميم الأزياء، اصبح اسمها مرادفا للأناقة والشياكة، بدأت عام ١٩١٤ في افتتاح محل لبـيع القـبعات فـى باريس، وفي منتصف العشرينات افتتحت مصنعا للملابس، في عام ١٩٢٠، أطلقـت عطـرها " شـانيل٥"، الذى اعتمد على الألدهايدات الدسمة، وهو الخط الحـديث للعطـور النفاذة، وأحد العطور الراقية، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وهى تعتلى قمم النجاح فى عالم الأزياء[1].

كرستيان ديور *Christian Dior* ١٩٠٥ — ١٩٥٧.

ولـد المصـمم الشـهير كريسـتيان ديور فى جرانفيل فى منطقة النورماندى، وسط عائلة تنتمـى للـبورجوازية الفرنسية، كان أبوه رجل أعمال يتاجر فى الأراضى العقارية، وكان الطفـل الثانى من بين خمسة أخوة، أحب الرسم منذ طفولته لكن العائلة رفضت اختياره الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة وأرغمته على دراسة العلوم السياسية، فقد كان حلم أمه مـادلين أن يصـبح ابنها سفيرا بعد أن كان العم وزيرا، لكن الله قدر غير ذلك، وتزامنت فـترة شباب كريسـتيان ديور بباريس بجو من الحركة الثقافية والفنية المتنامية مما جعله يـدخل حلقـة للشباب المهتم، بالمعارض والمسارح تاركا دراسة السياسة، مما أدى بوالديه لإيقـاف تمـويل دراسـته ومـن هـنا اضطر هذا الشاب للعمل لربح عيشه فلم يكن ذلك من دون مـروره بمـراحل صعبة كالاحتـياج والإصابة بمرض السل والنوم عند الأصدقاء، وهو ثمـن دفعه لتعزيز موهبته والتفوق بفضلها. بدأت موهبة كريستيان ديور فى عالم الخياطة الـراقية تظهـر للعـيان حـين بدأ بنشر رسوماته عن الموضة فى صحيفة الفيجارو الفرنسية سـنة ١٩٤٠، وسـرعان مـا لفـتت هـذه الرسـومات أنظـار كـبار المصـممين فباتوا يشترون تصـاميمه. وعـندما بلغ من العمر اثنين وأربعين عاما، اقتنع بوساك، وكان من أهم تجار الأقمشـة فـى ذلـك الـوقت، بموهبـته، فسـاعده علـى افتـتاح دار الأزياء الخاصة به فى مونتان فى قلب باريس، ومنها دخل ديور عالم الأزياء الراقية من أوسع أبوابه. ففى عام ١٩٤٧ قـدم لأول مـرة عرض أزياء أحدث ثورة حقيقية فى عالم الموضة أسماه " نيو لوك"

---

(1) Grolier Encyclopedia 1996.

أصبح حديث الأوساط الارستقراطية وسيدات المجتمع المخملى، وظهر مع مقصه الكبير على غلاف مجلة " تايم" الشهيرة، ودخل كريستيان ديور عالم الأناقة، و أصبح فيما بعد امبراطور الموضة، وأصبحت الأزياء التى تحمل توقيعه تباع بأغلى الأثمان، وأنتج ديور أول عطر نسائى له أهداه إلى أخته كاترين وأسماه " مس ديور" وانطلق فى عالم العطور بنجاح كبير، فكانت أزياؤه وعطوره علامة فارقة فى عالم الموضة، وأصبح يطلق المجموعة تلو الأخرى بنجاح مستمر، حتى كلل امبراطورية الأزياء بروائح شذية من عطور مصنعة خصيصا لامرأة مدللة ومرفهة انطلاقا من إعجابه الشديد وتقديره للمرأة[1].

وحتى وفاته افتتح لمؤسسته فروعا فى ٢٤ دولة من دول العالم، وخلفه فى إدارة المؤسسة إيف سانت لوران ومارك بوهان، أطلق كريستيان عطره القوى ***Poison*** ، وعطر الماء البرى ***Eau Sauvage*** عام ١٩٦٦ ، وصمم له (لويس سوزاك) عطره الحديث جدا ***Dune*** التل، و(إديمون رودنتسكا) قدم له خلاصة ليلاك الوادى التى تسمى ديوريسمو، وآخر عطر أطلقه ديور عطر الرجال الجديد ***Higher energy*** .

ويصرح (توماس دويرى دو سانت مور) مدير التسويق العالمى لعطور (ديور): أطلقت مؤسسة ديور منذ العام ١٩٤٧ ، وحتى اليوم حوالى العشرين عطرا، ومن أهمها ثلاثة : بالنسبة إلى العطور النسائية فإن العطر الأول النسائى هو ***Miss Dior*** ، الذى أطلق فى عام ١٩٤٧ ، ويمثل الأناقة، يليه أدور ***Adore*** الذى نال شهرة عالمية واسعة، وهو يعبر عن هوية ديور الحقيقية، ويمثل الترف بقارورته المتميزة، ويحمل نفحات أنثوية، كما أن أسمه مطابق للدار، أما الثالث فهو ***poison*** الذى يرمز إلى الإثارة، والشغف، والغموض والجرأة، ولا يزال يلاقى إقبالا ، منذ إطلاقه عام ١٩٨٥ ، ويعتبر بالنسبة لديور مثل عطره ***No*** عند ***Chanel***. أما بالنسبة إلى العطور الرجالية، فلا يمكننا وضع تحديد لها[2].

إيف سانت لورين *Yves Saint Laurant* (١٩٣٦)

مصمم أزياء فرنسى بدأ العمل مع كريستيان ديور فى باريس منذ عام ١٩٥٤، وعند وفاة ديور ١٩٥٧ ، اختير رئيسا للمصممين فى المؤسسة، ثم افتتح عام ١٩٦٢ بيت الأزياء

---

(1) Grolier Encyclopedia 1996.

(٢) جريدة القبس الكويتية – فى ٢٤ – ٩ – ٢٠٠٤.

الخـاص بـه، كمـا افتـتح فى عام ١٩٦٦ بعض البوتيكات الخاصة بالملابس والتصميمات الجاهـزة، وتسويق العطور والأكسسوارات، قدم عطر ***Opium*** الأفيون فى عام ١٩٧٧. ثم قدم فى عام ١٩٨٣ عطره " باريس"[1].

بـيير كـاردان ***Pierre Cardin*** مصـمم الأزيـاء الفرنسـى الشهير (٧ - ٧ - ١٩٣٣) أحدث ثورة فى عالم الأزياء فى الستينات بتصميماته لعصر الفضاء، وكان قد اشترى عام ١٩٨١ مطعـم مكسيم أشهر مطاعم باريس، وأعلن اخيرا أنه سيجرى عملية تجميل لإزالة التجاعـيد عن وجه المطعم فى عيد ميلاده العاشر بعد المائة، وذلك باجتذاب المشاهير من الفنانين والرياضيين ورجال الأعمال، فى ذلك النادى الذى يعتبر ذروة الفخامة الباريسية برسم عضوية قدره ٤٠٠ يورو (٤٥٠ دولارا) فى العام الأول.

باكو رابان *Paco Rabanne*

أطلـق عطراً أنثوياً دافئاً، ينتمى إلى المجموعة الأوروبية بكندا لمستحضرات التجميل، ويحتوى على: خلاصة الورد الطبيعى، ومجموعة الفلورال، والبنفسج والياسمين واليلانج يلانج المقواة بزيت الصندل الطبيعى.

لانكوم *Lanchome*

أبـدع عطـر ماجـى نـوار ***Magi Noir*** عـام ١٩٧٧، يوحى بالرقى والغموض، ويتكون من: مزيج من الصندل والتوابل وزيت السدر والبيتشولى.

جى لاروش *Guy Larouche*

أطلـق عطـره جـى لاروش ***Guy Larouche*** المسمى باسمه، ثم عطر فيجى ***Fidje***، المعـبر عـن الحـياة والـبهجة، ويتكون من توليفة من المجموعة الزهرية، مع لمسة خفيفة من المسك، وقد أبدع فى عام ١٩٨٤ عطره الرجالى ***Drakkar Noir***.

ايمانويل انجارو

مصـمم أزيـاء، ولـد فـى مقاطعـة بـروفنس لأب إيطـالى مهاجر من بريندس، وقد نشأ ايمانويل منذ طفولته على الخياطة. وعندما أصبح فى الثانية والعشرين من عمره انتقل إلى بـاريس، وبعـد ثـلاث سـنوات شـرع فـى التصـميم لـدار كريسـتوفال بالنسيا. وبعد ست سنوات أمضاها مع بالنسيا افتتح ايمانويل دار التصميم الخاصة به فى باريس عام١٩٦٥م بمساحة لا تزيد على ٤٠ متراً مربعاً وأيد عاملة، لا تزيد على أربع خياطات.

---

(1) Encarta Encyclopedia – Micosoft Corporatin. 1993-1999.

خـلال الـثلاثين سنة التالية توسعت دار ايمانويل انجارو لتشمل معارضا انتشرت فى كل أنحاء العالم، وفى عام ١٩٦٦ أسس شركة مع المصمم سيلفادورى فيراجامو. وفى عام ١٩٩٧م أنشـأ ايمانويل انجارو وسيلفادور فيراجامو وبولجارى شركة جديدة باسم " عطور ايمانـويل انجارو" وحمل أول عطر تم إطلاقه اسم " فلور دى ديفا" رافقه عطر " سينسو" و "ديفا" و "ايمانويل انجارو للرجال".

إلسـا سكاباريللى *Elsa Schiapaerlli* .وهى مصممة أزياء فرنسية، ولدت فى إيطاليا (١٨٩٠ — ١٩٧٣) وأطلقـت عطـر، ***Shocking Pink,*** ، فـى قـارورة علـى هيـئة بـدن الإنسان.

كرسـتوبال بالنشـياجا *Cristobal Balenciaga* فـى أسـبانيا (١٨٩٥ — ١٩٧٢) مصمم أزياء ، اطلق عطره المعروف باسمه ***Balenciaga***

لاجـرفيلد *Lagerfield* ، أطلـق عطره كلوى ***Chloe*** عام ١٩٧٥ ، ولاقى نجاحا كبيرا وشهرة عظيمة ، وتركب من: التيازوز، والياسمين، وزهرة البرتقال.

جيفنشي *Givenchy*

بـدأت مؤسسـة المصـمم الفرنسي جيفنشـى عـام ١٩٧٥ ، وقدم عطره (هوت كاتون)، وجيفنشي الأحمر للرجال.

كنزو *Kenzo*

مصـمم أزيـاء بـدأ عـام ١٩٧٠ ، فـى بـاريس، وحقـق شـهرة كـبيرة بألـوانه الجذابـة وتصميماته الرائعة، أطلق عطره كنزو عام ١٩٨٨.

لورين رالف *Ralph Lauren* بالولايات المتحدة الأمريكية (١٩٣٩) من أوائل بيوت الأزيـاء الأمـريكية ، وقـد توسـعت إمـبراطوريته فـى عالم الأناقة ، من بداية متواضعة فى صـناعة ربطـات العـنق، حتـى قائمة عريضة من أصناف الملابس الجاهزة، ومجموعة من أرق العطور.

مارسيل روكا *Marcel Rochas*

مصـمم فرنسـى موهوب، بدأ فى العشرينيات فى أوج صناعة الأزياء الفرنسية ، وأبدع تصميمات نسائية لنجوم السينما العالمية فى هوليود: جوان كرافورد، جين هارلو، كارول لومـبادر، وفـى عـام ١٩٤٤ أطلـق أول عطوره ***Femme*** الأنثى ، من أجل زوجته هيلين،

وبعـد وفاتـه عـام ١٩٥٥، حافظت المؤسسة على روح الإبداع الخلاق، وأطلقت مجموعة عطور: مدام روكا ***Byzance Madame Rochas*** وماء روكا، ***Eau de Rochas.***

توم فورد *Tom Ford*

مصـمم أمريكـي بـدأ فـي العشـرينيات، بدايـة عصـامية فـي مجـال تجـارة المنتجات الجلديـة، ثـم أنشـأ مؤسسـة جوشـي ***Gucci*** للأزيـاء في فلورنسا بإيطاليا، ثم توسع إلى الملابـس الرياضـية والحقائـب والأحذيـة، والـنظارات، وبالطـبع العطـور، وأطلـق عطره ***Gucci*** في منتصف التسعينيات.

لوريس أزارو *Loris Azzaro*

بدأ مصمما للإكسسوار والمجوهرات من أجل زوجته، ثم قاده حبه للموضة إلى تصميم ملابس السـيدات، وتوسـع حتـى أصـبح خـط عالمـي شـهير، مـن عطـوره: ***Azzaro, Chrome.***

ألفريد دنهيل *Alfred Dunhill*

بـدأ عـام ١٨٩٦ كصانع للسـروج وأطقم الخيل، ثم تحول بعد ذلك إلى خياط للرجال وصـانع للأكسسـوار، ويعـزى نجـاح المؤسسـة إلى الدقة والإتقان، أطلق عطره: ***Desire Blue Dunhill.***

إليـزابيث آردن ***Elizabeth Arden***، فابريجيـي ***Fabrege***، لاورا بياجوتي ***Laura Biagiotti***، كارتيي ***Cartier.***

جيورجـيو ***Giorgio***، هوجـو بوس ***Hugo Boss***، طرح في خريف ٢٠٠٣ عطر المرأة الجديـد بـوس إنتـنس ***Boss Intense*** الـذي، يـتكون مـن مزيج نادر من زهرة الأوركيد والفانيلا والعنبر.

العطور والموضة

كمـا تـتغير الموضـة وتـتجدد الحـياة عامـا بعـد عـام، تـتغير العطـور وتجـدد، ففـي الثمانيـنات حـيث مالت الموضة إلى القوة، مالت معها العطور، أيضا إلى القوة، فساد في وقتها عطر كريستيان ديور القوى (بويزن)، وعطر (أوبيوم) من ايف سان لوران.

أما مطلع التسعينات وحتى منتصفها حيث شهدت الموضة ميلا لتخفيف الحدود بين الملابـس الـرجال والنساء، فشهدت تلك الفترة أيضا ظهور عطور تصلح للجنسين، إلى أن تقدمنا صوب نهاية التسعينات وعادت الملابس الأنثوية إلى نعومتها، والمطرزة بالورود مع

الفساتين الفضفاضة التى تجسد ملامح الأنوثة أكثر وأكثر، فظهرت عطور أنثوية عذبة تحمل روح ونضارة وبراءة الورد مثل (أنتونياز فلاورن ***Antonias Flowers*** من أنتونيا بلانك، يعود الفضل فى نجاح العطور الجديدة إلى ما تحمله من تنوع رائع فى مكوناتها كما ونوعاً.

أنوف تدر لأصحابها ذهبا

يبتكر صانعو العطور الكبرى فى العالم كل عام حوالى مائة عطر جديد، للنساء والرجال والأطفال أيضا، ومع أن المواد الرئيسية لجميع العطور هى الزهور، والخلاصات الحيوانية مثل السمك والعنبر، فعملية مزج مئات العناصر من هذه المواد لاستخراج العطر المنشود، تحتاج إلى خبراء من نوع فريد، يمتلكون أنوفا موهوبة، تميز الفرق بين آلاف الروائح، و التميز بينها وخلط عشرات الأنواع من الزيوت والخلاصات، ليختاروا فى النهاية العطر الجديد، هؤلاء الخبراء أصحاب الأنوف النادرة، لا يعتمدون على شهادات جامعية، بل تتوفر لمن يمارسها موهبة التمييز بين الروائح، وعددهم فى أكبر مؤسسات العطور أقل من أصابع اليد، يطلق على هذا المجال اسم "مهنة الأنوف"، ويكسب الفرد الموهوب منها مرتبات وعوائد تفوق ما يحصل عليه رئيس الجمهورية فى أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية، أى أن أنوفهم فائقة الحساسية وتكسب أصحابها ذهبا!!.

ويختار أصحاب هذه الأنوف مميزات كل عطر وهى: الرائحة والتى تميزه عن غيره والعناصر الخاصة فى مكوناته، بحيث يكون لكل عطر بصمة خاصة تحمل خصائصه الجديدة التى تميزه عن باقى العطور، ولا يمكن لأى جهاز حديث يوصف بالأنف الإلكترونى أن ينافس أيا من هؤلاء المختصين فى تكوين البصمة الفريدة لكل عطر.

وتتناقل الصحف أخبار (٥٠ عبقريا يحركون العالم)، ويتحكمون فى مستقبل الكون وفى قرارات رؤساء الدول، وهؤلاء العباقرة:

أمراء الإقتصاد والعلوم، مفكرون وقادة رأى وآباء روحانيون، عمالقة وسائل الإتصال الحديثة، كبار تجار المخدرات ومهربيها ورؤساء عصابات، مبدعون فنيون، مكتشفو النجوم، صانعو الموضة والعطور، والطباخ إمبراطور التذوق، ونقف عند واحدة من بين العبقريات الخمسين، وهى صوفيا جروسمان ***Sofia Grossman*** :

صاحبة أشهر أنف فى العالم، والتى يطلقون عليها الوردة، لأن أنفها يقدر بملايين الدولارات فقد تخصصت فى صناعة أشهر أنواع العطور العالمية، خاصة ذات الأسماء الباريسية البراقة، لقد وضعت صوفيا جروسمان تركيب أشهر عشرة أنواع من عطور

العالم، لحساب بيوت: إيف سان لوران، لانكوم، كالفن كلاين، وصوفيا من أصل روسى هاجرت مع أسرتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث درست الكيمياء، وفى التاسعة عشرة بدأت العمل فى مجال العطور، وخلال عشرين عاما من العمل والإهتمام بـ "أنف من نوع خاص"، استطاعت صوفيا ابتكار ٢٦ عطرا من بينها أشهر العطور الفرنسية، ويطلق عليها الساحرة.

عاصمة العطر

إذا ذكر العطر ذكرت فرنسا ومنطقة الريفييرا الفرنسية أو الكوت دازور، ذلك الجزء الذى يقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط والغنى بمناظره الطبيعية الساحرة، والمناخ المعتدل، والحياة النباتية المزدهرة، وعلى الأخص مدينة "جريس" فى مقاطعة بروفنس على جبال الألب جنوبى شرقى فرنسا، وتبعد ١٧ ميلاً (٢٧ كيلو متر) غربى مدينة نيس، كما تبعد عن مدينة الفرنسية ١٥ كيلو متر معظم نشاطها زراعة الزهور مثل: الخزامى (اللاوند)، الياسمين، زهور البرتقال، وغيرها من أصناف النباتات العطرية، ويبلغ عدد سكانها ١٣٥٣٣٠ نسمة، كلهم يعملون فى تصنيع العطور، ويمكن بحق تسمية مدينة جريس بأنها مدينة العطور أو عاصمة العطور وقد تخصصت فى إنتاج أرقى وأرق الأنواع من العطور ولا يضارعها أى مكان فى العالم، حيث يفوح منها كل جديد فى هذا العالم الأرج، وجديد بالذكر أنه يوجد فى هذه المدينة " متحف العطور" وهو الوحيد فى العالم ويحتل المبنى التاريخى لمصنع ***Mollinard*** أقدم وأعرق مصانع المدينة، وقد بدأ إنتاج العطور فيها أوائل القرن السابع عشر، كما يوجد فيها مصنعا: ***Fragonard * Galimard.*** [1]، وقد كانت المدينة — التى تعود نشأتها إلى القرن الحادى عشر — مركزا لصناعة ودباغة الجلود منذ القرن الثالث عشر، ثم تخلت عن هذه الصناعة؛ ودخلت إنتاج القفازات المعطرة، ثم تخصصت فى زراعة الزهور وتصنيع العطور.

---

(1) Encarta Encyclopedia – Micosoft Corporatin 1993-1999.

معهد أسيبكا لدراسة العطور

وقد بلغ اهتمام فرنسا بالعطور، أن أقامت معهدا بمدينة فرساى بالقرب من باريس "معهد أسيبكا" لتدريس أسس تصنيف وتركيب الطعم والرائحة، والتعرف على أنواع الروائح المختلفة، بشرط الحصول على مؤهل عال فى الكيمياء، كذلك يقوم المعهد بحفظ التركيبات السرية لأشهر الروائح الأوروبية فى خزانة تعرف باسم "أوزمو تيك" وهى كلمة يونانية من مقطعين: (أوزمو) وتعنى رائحة، (تيك) وتعنى خزانة، أى خزانة الروائح، حيث لا تقل فى سريتها عن الأسرار العسكرية، وقد أطلق المعهد أسماء العديد من مشاهير صناع العطور مثل: إيف سان لوران، مارسيل روشا، جان باتو[1].

باريس بلد الجمال والموضة، وهناك عدة متاحف، وبعضها يخص بعض دور الموضة الشهيرة والكثيرة فى فرنسا، ولكن هذا المتحف شامل للجميع، لذا فإن زيارة متحف العطور هى جزء محبب للسياح فى أثناء تواجدهم فى باريس، وفى هذا المتحف سيجد الزائر انواعا من العطور متاحة له للشراء أو للشم.

---

(١) عبد الوهاب القاضى – أسرار العطور – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩ ١٣٣.

الباب الثاني

تصنيع الطيب وتجارته

الفصل الأول : أصول الطيب.

♠ **أولاً : نباتية** (الزيوت العطرية – إفرازات الأشجار).

♠ **ثانياً : حيوانية** (غزال المسك– حوت العنبر– قط الزباد– قندس الماء).

♠ **ثالثاً : تخليقية** (كيمياء الروائح العطرية).

الفصل الثاني : تصنيع الطيب ومركباته.

الفصل الثالث : مواطن الطيب وتجارته.

الفصل الأول

أصول الطيب

يمكن تقسيم الطيب بالنسبة للأصول المستخرجة منها إلى ثلاثة أصول: نباتية وحيوانية وتخليقية.

♠ أولاً : الطيب من أصل نباتى.

ويقصد به الطيب الذى يوجد فى:

أ- صورة زيوت طيارة تستخرج من كل أجزاء النبات: أزهاره وأوراقه وثماره وبذوره وسوقه ولحائه وجذوره.

ب- صورة إفرازات كثيفة ولزجة تفرزها بعض الأشجار مثل الصموغ والبلاسم.

جـ- صورة صلبة مثل الراتنجات.

أ- الزيوت العطرية(الطيارة)

وهى الزيوت الى تتبخر أو تتطاير دون أن تتحلل، بعكس الزيوت الثابتة، وتوجد الزيوت الطيارة أساساً فى النباتات العطرية والطبية، ولا توجد حدود للتفرقة بين كل من النباتات العطرية والنباتات الطبية، حيث إن بعض الزيوت العطرية يكون لها تأثيرات فسيولوجية واستعمالات طبية مثل الزيوت المستخلصة من: البردقوش والنعناع والقرفة وغيرها، وبعض النباتات التى نصنفها على أنها من النباتات العطرية تحوى مواد كيماوية طبية بالإضافة إلى الزيوت العطرية الطيارة، كما هو الحال فى نبات الورد[1].

وتقوم الزيوت الطيارة بدور مهم فى اقتصاديات الإنسان، حيث يستهلك منها سنويا ٣٠٠٠٠ طن بالإضافة إلى تنوع مجالات استخدامها، حيث تدخل فى المواد العلاجية كطاردة للديان أو مدرة للبول أو مواد مطهرة، أو طاردة للغازات المعوية والمعدية، كما أن لبعضها تأثيراً موضعياً على الجلد كاللصقات والمروخ.

---

(١) د. محمد السيد هيكل، د. عبد الله عبد الرازق عمر – النباتات الطبية والعطرية – منشأة المعارف ط٢ ١٩٩٣ ص ١٣.

وتستخدم النباتات العطرية والطبية بما تحوي من زيوت طيارة كتوابل أو بهارات أو مكسبات للطعم أو النكهة أو الرائحة فى بعض الأغذية أو المشروبات.

بالإضافة إلى ذلك فالدور الاساسى لمجال استخدام الزيوت العطرية هو تصنيع العطور ومستحضرات التجميل ومركبات الزينة[1].

تنتشر الزيوت الطيارة فى أكثر من ٣٠٠٠ نوع نباتى، تتمثل فى أكثر من ٦٠ فصيلة أو عائلة، نباتية، من أهمها ما يلى:

العائلة	أشهر النباتات
الخيمية	الكمون، الينسون، الكراوية، الشمر، الكرفس، البقدونس، الحلتيت
الشفوية	الخزامى (اللاونده)، النعناع، الصعتر، الفليه، الردقوش
السزبية	البرتقال، الليمون، النارنج، البرجامون
الزيتونية	الياسمين، الفل، الليلك
الفراشية(البقولية)	الفتنة، بلسم بيرو، الكوبيبا
الزمبقية	الزمبق، الياسنت، السنبل البرى
الجيرانية(إبرة الراعى)	العتر البلدى، الجيرونيا
القرفية (الغارية)	القرفة، الكافور، خشب الورد، خيار شمبر
المركبة	البعيثران، الشيح، البابونج، الأقحوان، الشيبة
الآسية	الآسى – الكاجوبوت، الميركة
البيروسيرية	المر، اللبان، العود
النجيلية	حشيشة الليمون/ الإذخر، الترنجان، النجيل الهندى
الحنائية (الصليبية)	التمر حنة
الفاليريانية	السنبل الهندى، سنبل الطيب (الناردين)، الحاوى الميعة

---

(١) د. هيكل، د. عمر – المرجع السابق – ص ١٨٦.

إلى جانب بعض العائلات الأكثر شهرة مثل: الوردية، والبنفسيجية، والنرجيسية، والسوسنية، والفلفلية، والزنجبيلية، والقرنفلية، وتتضمن إسم الزهرة أو النبات المسمى بها[1] وسوف نختار فى المبحث الثانى بعضا من هذه النباتات، نتوفر عليها بالدراسة التفصيلية.

وتتوزع الزيوت العطرية فى مختلف أجزاء النباتات، وتتراوح نسبة وجودها من: ١٦ — ١٨٪ فى ثمار القرنفل، ٧٪ فى ثمار الكراوية، حتى تتضاءل إلى ٠,٠٥٪ فى أزهار الورد والياسمين، ١٥٪ فى أزهار البنفسج المصرى

ويوضح الجدول التالى توزيع الزيوت العطرية فى أجزاء النباتات[1]

---

(١) أحمد عيسى بك – معجم أسماء النباتات – المطبعة الميرية – ط١ – ١٣٤٩هـ، د. هيكل، د. عمر – النباتات الطبية والعطرية – ص ١٨٠، ٢٠٦ وما بعدها.

(2) Encarta, Miclosofr Corportion, 1993– 1999.

المصدر النباتي	أجزاء النباتات المتواجد بها الزيوت العطرية									
أزهار	ورد	ياسمين	فل	قرنفل	بنفسج	نرجس	برتقال	فتنة	سنبل الطيب	تمر حنه
أوراق	خزامى	نعناع	فليه	ريحان	بنفسج	بردقوش	خيار شمر	عتر	صعتر	
ثمار وبذور	ينسون	برجاموت	فلفل حلو	قرنفل	ليمون	نارنج	برتقال	حبهال	حب مسك	
أغصان وقشور	قرفة	برجاموت	فلّيه	ريحان	خشب الأنبياء	بردقوش	خيار شمر	عتر		
جذور .	زنجبيل	سوسن	قسط هندى	خشب الملائكة						
أخشاب	عود	صندل	خشب ورد	سدر						

جدول توزيع الزيوت العطرية فى أجزاء النباتات

ب- إفرازات الأشجار

ومن الأصول النباتية للطيب — بخلاف الزيوت العطرية — ما تفرزه بعض الأشجار من مواد راتنجية، عبارة عن نز أو رشح هش لزج طيب الرائحة من خلال الأنسجة النباتية يفرزه النبات كنواتج فسيولوجية، أو نتيجة ظروف مرضية فى النبات فقد منح الله سبحانه وتعالى خواصا عجيبة فى بعض الأشجار حتى إذا أصيبت بمرض أو جرحت أفرزت دواءها من بين خلاياها، وقد عرف الإنسان هذه المواد من قديم الزمن وقبل معرفة الزيوت العطرية، وأدخلها فى البخور الذى استعمله فى المناسبات الدينية، وكذلك فى الأغراض الطبية المختلفة، وأغراض اخرى.

وتوجد الراتنجات فى النبات مختلطة بالزيوت العطرية أو الصموغ ولها مظهر زجاجى نصف شفاف، وعندما تسيل من الأشجار تكون نصف سائلة (مائعة)، وتتطلب عند تعرضها للهواء، سهلة الانصهار، قابلة للاشتعال، غير قابلة للذوبان فى الماء، وتذوب فى الكحول والأثير والزيوت الطيارة.

وتقسم هذه الافرازات الراتنجية تبعا لمكوناتها الرئيسية إلى:

(١) راتنجات زيتية

يوجد الراتنج من النبات مختلطا بالزيت العطرى ومن أمثلته:

الكوبيبا وهو من العائلة البقولية، ويوجد هذا النبات فى منطقة نهر الأمازون وشمال وجنوب القارة الأمريكية.

(٢) راتنجات زيتية صمغية

يوجد الرتنج مختلطا بالزيت العطرى والصموغ ومن امثلته:

أ- الحلتيت وهو نبات من العائلة الخيمية ويوجد فى أفغانستان وألمانيا.

ب- السكبيج (القنة) و هو نبات القناواشق (الجلبانوم) من (العائلة الخيمية) الذى ينمو فى إيران.

جـ- المر وهو نبات من العائلة البيروسيرية ويوجد فى جنوب الجزيرة العربية وشمال أفريقيا.

د- الأبوبوناكس (الجواشير) وهو نبات من العائلة البيروسيرية يشبه الحلتيت ويوجد فى الصومال.

هـ- اللادن المر وهو نبات من العائلة القستاسية وهو المعروف باللبان الذكر ويوجد فى جزيرة كريت والعربية وقبرص وأسبانيا.

و- المصطكى وهى نبات ينمو فى الأرخبيل اليونانى (بحر ايجه) وجزيرة خيوس

(٣) البلاسم

إحدى مجموعات المواد الراتنجية، حيث تحتوى على كميات من الاحماض البلسمية العطرية مثل حمص البنزويك والسيناميك أو كلاهما، ومن أمثلتها:

أ- الجاوى وأشجاره من عائلة الهامليش، وتوجد فى سومطرة وسيام ولا توجد المادة العطرية فى الشجرة السليمة! ولكن كلما جرحت كونتها! وتسيل على هيئة كتل تشبه اللوز فتسمى (لوز الجاوى)، أو على هيئة خطوط قصيرة متتابعة تشبه الدمع حين تسكب من العين فتسمى (دموع الجاوى).

ب- بلسم بيرو وهو نبات من (الفصيلة البقولية) ولا يوجد فى بيرو كما تبين التسمية ولكن يوجد فى السلفادور بأمريكا الوسطى.

جـ- الميعة وهى نبات من عائلة الهامليش، ولا تسيل مثل البلاسم ولكن تستخلص من الخشب بإضافة الماء الساخن عليه ثم الضغط ويوجد النبات بكثرة فى تركيا وآسيا الصغرى.

(٤) مصادر أخرى

ومن المصادر الأخرى (طحلب البلوط) وهو نبات فطرى من العائلة الآشنية يعيش عالة على غيره من النباتات خصوصا شجر البلوط، ويطلق عليه الآشنة، ويستخرج منه زيت يدخل فى العطور الممتازة.

وعموما فإن طريقة استخراج الراتنجات من أشجارها وعلى اختلاف انواعها هو مجرد عمل قطوع أو شقوق فى الأشجار على شكل حرف ٧ وتعلق تحتها آنية لاستقبال العصارة، وفى حالة البلاسم تجمع على قماش يوضع على الجزء المخدوش من الشجرة فإذا تشبع به وضع فى أوانٍ وسخن عليها، فينفصل البلسم عن القماش وتتصلب المادة عند تعرضها للهواء.

وحتى يستخرج طيب هذه المواد وعطرها يجب أن تحول إلى هيئة يسهل تداولها باليد، حيث تذاب فى الكحول أو البنزين فتنفصل الشوائب ثم يبخر المذيب، وتبقى

مـادة أقل لزوجة مما كانت أولا، ولكنها تظل محتفظة بقيمتها العطرية، فيسهل تداولها واذابـتها فـى إحـدى المـواد الكيميائـية، ويـترك المحلول فى مكان مظلم، وعندما يصبح المحلول رائقا، فيستخدم كمثبت للعطور[1].

* (نباتات عطرية وأشجار طيبة)

ونخـص بالذكـر بعـض الأصـول النباتـية للطـيب زيـوتا طيارة مستخرجة من مختلف أجـزاء النـبات أو إفـرازات لـزجة تستخرج من بعض الأشجار، بالإشارة إلى تاريخ بعض الأزهـار والأشجار وقد حيكت القصص الأسطورية الكثيرة حول نشأتها، وأصول تسميتها وخواصـها وأمـدنا الكـتاب بالـروايات التى لا تخلو من طرافة، مع التسليم بأنها حديث خرافة، وذلك للمواءمة مع صعوبة المادة العلمية البحتة.

١- الورد *Rose*

الـورد نـبات شـجيرى أو متسـلق مـن العائلـة ***Rosaceae*** امـتاز بالحسـن والجمـال والشـذى العطـر تنتشـر زراعته فى المناطق المعتدلة والباردة بكل أنحاء العالم، وعلى مدار الأزمـنة، مما جعله بحق ملك الأزهار والأنوار، وقد ذكر ذلك فى كل الآداب العالمية كما أشـارت إلـيه ايضـا أسـفار العهد القديم، ولم يرد ذكر الورد على آثار الفراعنة، مما يدل علـى أنـه لم يكـن معروفا فى عهدهم، وهذا يوضح أنه لم ينشأ منه أنواع برية فى مصر، ويعـتقد أن الغزاة الاغريق هم الذين أدخلوا الورد إلى مصر وقد وجد كتَّاب الأساطير مجالا واسـعا فـى أصـل الـورد، ومـن أقـدم الـروايات: أن (فلـورا) آلهة الزهور عند الرومان، وجـدت جسـدا لإحـدى حـوريات الغابـات، فقامـت تسـاعدها (فيـنوس) إلهة الجمال، وربـات الرشاقة، بتحويل جسد الحورية إلى زهرة جميلة، وقد باركها (أبو للو) إله النور والموسـيقى بإشـراقاته، وأمـدها (باخوس) إله الخمر والأثمار بالرحيق الإلهى، كما زودها (فيرتومنـى) إلـه البساتين بالعطر وطيب الرائحة، ونثرت (بومانا) آلهة الاشجار بذورها على الاغصان، ثم توجتها (فلورا) أخيرا باكليل إلهى يميز هذه الزهرة الجميلة.

---

(١) أحمـد على الشحات – سحر العطور – ص ٧٥ – ٧٨، أحمد عطية غراب – صناعة الروائح والعطور – ص ٣٧ – ٤١، ما بعدها ٨٣– ٨٨، حسن عبد السلام – بين الصيدلى والعطار – ص ٧٠ – ٧٤، د. هيكل ، د. عمر – النباتات الطبية والعطرية – ص ٤٤٨ وما بعدها.

وتُرجع الاساطير أصل لون الورد الأحمر، أنه كان أبيض، حتى أدمت شوكة قدم (فينوس) آلهة الجمال فصبغ دمها بتلات الورد، ولونها منذ ذلك الحين[1].

وقد استخلصت رائحة الورد، من وضع البتلات فى الزيوت والدهون، حيث كان أول استعماله كدهان،

يقدر عدد أزهار الورد اللازمة لانتاج نقطة واحدة من زيته النقى بنحو ١٧٠ وردة وباعتبار أن السم٣ من الزيت يشتمل على ٢٠ نقطة فإن استخلاص لتر واحد منه يحتاج إلى ٣,٤٠٠,٠٠٠ وردة أى ما يعادل ٤٥٣٣ كيلو جراماً من بتلات الأزهار باعتبار أن بتلات كل ٧٥٠ وردة تزن كيلو جراماً واحداً ٢٢ غراب

وذكر هوميروس فى الإلياذة: أن (أفروديت) آلهة الجمال عند الاغريق حنطت (هكتور) بمثل هذا الدهان. وبين بثوفراستوس العالم اللاتينى أن عطر الورد قد استخلص عن طريق زيت السمسم لطبيعته اللزجة وأن الورد يضفى شذى طيبا، ومذاقا حلوا إلى الابنذة عند إضافته إليها، وأشار بلينى إلى مائة نوع من الورد، وذكر أن أحسن الورود شذى، وأنسبها لصناعة الأدهنة يأتى من وبعد استخلاص العصير من البتلات، تجفف وتسحق كبودرة، ترش على الجسد لمقاومة رائحة العرق.

والورد أنواع كثيرة، ولكن زيته لا يستخرج إلا فى أنواع محددة منها:

١- الورد الجورى ولونه احمر وزرع فى مصر ولبنان وبريطانيا

٢- الورد الدمشقى أو البلغارى (الحوجم) ولونه أحمر قانى، وأحيانا أبيض

٣- الورد الأبيض (الوثير) ولونه عادة أبيض، وأحيانا وردى فاتح

٤- الورد البلدى ولونه أحمر

وأصل تقطير الورد كان فى بلاد فارس، قبل ميلاد السيد المسيح، وكانت فارستان ٨١٠م هى مركز انتاجه الرئيسى، وخاصة جور التى ينسب الورد إليها، ويذكر أن جزية الاقليم إلى بيت المال فى عاصمة الخلافة الإسلامية كانت ٣٠,٠٠٠ زجاجة ماء ورد،

---

(1) Poucher. P166 اسطورة الجحش الذهبى للكاتب الرومانى لوكيوس الذى كان يتنزه فى منطقة شمال أفريقيا، وارتكب بعض الحماقات الطائشة وكانت الطريقة الوحيدة إلى إعادته إلى شكله الإنسانى هو أكل بعض الورود فسحرته السواحر إلى جحش.

وكانـت فارسـتان تصـدر كمـيات كـبيرة مـنه إلى الهـند والصين ومصر ودول أخرى. وقد أدخـل الـتقطير إلى العـالم الغربـي عن طريق العرب فى القرن العاشر الميلادى وأول دولة كانت أسبانيا.

ولم يعرف زيت الورد أو عطر الورد قبل عام ١٥٨٤م، عندما لاحظ (جيروينموروشى) وجود بعض قطرات طافية على سطح ماء الورد.

وفـى ١٦١٢م اكتشـفت إحـدى أمـيرات المغول فى فارس — بعد ملء قنوات بستانها بمـاء الـور– وجـود رغـوة علـى سطح الماء فى القناة، وكانت لها رائحة قوية، وإلى ذلك التاريخ يرجع انتاج عطر الورد فى شيراز، ثم انتشرت فى فارس إلى الهند وشمال افريقيا وتركيا، ثم أدخل ١٧١٠م إلى بلغاريا وزرع شيبكا بوادى — كازانليك، وجلب ورد دمشق مـن آسـيا الصغرى، وخـلال ٣٠ سـنة توسـعت زراعـته، وشملت وادى كارلوفو، حتى أصبحت بلغاريا فى عام ١٧٥٠م المورد الأصلى لعطر الورد، وحتى الآن.

وبعـد ذلك بسنوات زرع الورد فى انجلترا وفرنسا وألمانيا، وإن تأخرت عملية التقطير الـتجارى للـزيت حتـى نهاية القرن التاسع عشر، فقد كانت الأزهار تزرع للبيع كما هى للتزين، وفى بعض الأحوال تستخدم لانتاج ماء الورد[1].

وذكـر المقريـزى أن الفاطمـيين كـان لهم قصر الورد بالخاقانية، من قرى قليوب وكان الخليفة يذهب إليه فى وقت معين فى السنة، وقد صنعت له فيه مظلة من الورد ليجلس تحـتها ويستروح ويستجم، وكان الورد يزرع فى عهد محمد على الكبير بكثرة، ولا سيما فـى بلـدة اجهـور مـن أعمـال مديرية القليوبية، حيث كان يستخرج ماء الورد، ومازالت هذه القرية تسمى حتى الآن (أجهور الورد)[2].

ويقـال إن الإمـبراطورة جـوزفين زوجـة نابلـيون جمعـت فـى حديقتها ٢٥٠ نوعا من الورد[3] والمادة الفعَّالة فى أزهار الورد هى زيت الورد، الذى يتواجد به مواد فعَّالة اهمها (الجيرا‌ينول).

---

(١) فارســتان: اقليم جنوب غربى ايران، يشمل برسيس القديمة التى كانت نواة الامبراطورية الفارسية القديمة، أهم مدنه شيراز، وثغره بوشير.

(٢) المقريزى ، الخطط، جـ٢ ص ٢٧٢.

(٣) د. هيكل، د. عبد الله عمر – النباتات الطبية والعطرية– دار المعارف – ط ٢- ١٩٩٣، ص ٣٢٩.

٢- الياسمين

الياسمين والياسمون، اسم فارسي، وهو نوعان: برى وهو الظيان، وبستانى وهو أصفر وأبيض، والأبيض أطيب رائحة[١].

نبات من العائلة الزيتونية اسمه السجلاط، ولم تبين المصادر أى أصل له قبل القرن السادس عشر، موطنه الهند، ثم عرف فى جنوب أوروبا، وقد ذكر النباتى الاغريقى ديسكوريدس أن الفرس قد صنعوا زيتا من زهر أبيض، كانوا يعطرون به مساكنهم فى الولائم والدعوات، كما اعتاد الهندوس، استخدام الأزهار العطرية فى المناسبات الدينية، وكان لهم تقدير خاص لهذا الزهر بالذات.

وتكشف أوراق البردى فى عصر الولاة عن زراعة الياسمين الأبيض، وكان يصنع منه فى مدينة دمياط زيت الياسمين، وكانت النساء تفضله على غيره من العطور[٢].

وقد سجل أصل دخول الياسمين لايطاليا، أن دوق توسكانيا أول من عرف هذا النبات وقد شدد على البستانى ألا يتصرف فى غصن منه، حتى يكون من خصوصياته، ثم هام الدوق عشقا لإحدى السيدات، وأعطاها باقة من الياسمين فى عيد ميلادها، فخطر لها أن تزرعه فزرعته ورعته، ثم انتجت منه الكثير، ثم باعت وأثرت، وتزوجت البستانى السعيد!.

وفى الوقت الحالى انتشر الياسمين، ومن الصعب ألا نجده فى حديقة فى أوروبا ولا يجمل أو يزين حولها بسور، إلا من هذا الزهر.

وللياسمين زهر أبيض، تكاد أصغر الزهر حجما، لكنها أكبرها قيمة، وأرفعها منزلة، والزيت الطبيعى منها أرقى انواع الزيوت فى العالم، والمركبات الشهيرة فى صناعة العطور لا تخلو منه، ويذكر أن مصر من أحسن بلاد العالم صلاحية لانتاج الياسمين، ويتبين مدى قيمة الزيت الطبيعى أن الكيلو جرام الواحد يستخلص من ١٠٠٠ كيلو جرام (طن واحد) من الأزهار تقريبا[٣].

---

(١) نهاية الارب جـ١١، ص٢٣٦.

(٢) الحرف والصناعات ص ٢٣٧.

(٣) محمد الحسينى، د. تهانى المهدى - النباتات الطبية - ابن سينا - ١٩٩٠ ص١١٦، ١١٧.

ويـزرع فـى مصـر فـى وسـط الدلتا مثل شبين القناطر وطحانوب، ومحافظة الشرقية، وقطـور بمحافظـة الغـربية، وبعـض مـناطق فـى محافظـة الـبحيرة، لتوافر التربة الطمية والحـرارة المقبولة، كما يزرع فى الدول — العربية المطلة على البحر المتوسط وبعض بلدان الخلـيج العربـى ويـنـتج الفـدان فى المزارع البالغة ٣ أطنان زهر تنتج ٩ — ١٢ كيلو جرام دهن.

٣- البنفسج ***Violet***

عشـب معمـر اسمـه ***Viola Odorata*** من العائلة البنفسجية ***Violacea***، شبه زاحف يكـون سـوقا فـوق سـطح الأرض، موطـنه بريطانيا، والأصناف التى تزرع فى مصر هجن للأوروبـية، أشـارت إلـيه كـتابات ثيوفراستوس ٤٠٠ ق.م، وأوفيد (٤٣ق.م — ١٨م) من شـعراء اللاتـين وصاحب كتاب (فن الحب)، أورد أسطورة ترجع التسمية إلى (أيو) بنت إلـه النهـر (إيـناخوس) التى عشقها (جوبيتر) واغتصبها، وحتى يتجنب غضب زوجته (جيـنون) حـول (أيـو) إلى بقـرة جمـيلة، وتحركت غيرة الزوجة وارتابت فى هذه البقرة فأخـذتها وعهـدت إلى _ أرجـوس) ذى المائـة عـين بحراسـتها، ثم قام (ميركور) بقتل الحارس وخلص (أيو)، وعبرت البحر، ثم أعيد لها شكلها الإنسانى.

ذكر البنفسج فى أشعار الرومان، وأطلق بلينى على البنفسج الأبيض (رسول الربيع)، وقـد قـدر عطـره بعـد الـورد والليلـى، وسمى البنفسج الأرجوانى (أيون)، وكان البنفسج شـعار البونابـرتية، عشـقه نابلـيون بعـد نفـيه، وأصبح تعليق باقة من البنفسج إشارة إلى إخلاص الرجل إلى الإمبراطور المخلوع.

البنفسـج غـالى الـثمن بسـبب شـذاه العطر، ويستخدم فى المركبات العطرية الفاخرة، وتقل نسبة الزيت فى أزهره، وانتاج أوقية واحدة من البنفسج الصافى يحتاج إلى عشرين طـنا مـن زهـر البنفسـج، ونسـبة وجـود الـزيت العطـرى فـى أزهـار البنفسـج المصرى تبلغ ٠,١٥٪[1].

---

(١) ب. كومـبلان – الأساطير الإغريقية والرومانية – ترجمة أحمد رضا – هيئة الكتاب – ١٩٩٢ ص ١١٤، ٢٤٢.

٤- النرجس ***Narcissus***

وهو صنفان: برى وبستاني، والبرى يسميه العرب القيهم والقيهر، والبستانى أطيب رائحة منه، وقال عنه ابقراط: كل شئ يغذى الجسم والنرجس يغذى العقل، وأوصى جالينوس بشمه، وأغرم به كسرى أنو شروان، وتعصب له بعض الشعراء وفضلوه على مملكة الزهر، وأقاموا المساجلات — والمنازلات بينه وبين الورد.

وهو نبات من العائلة النرجيسية ***Amarylliadaceae***، أشار إليه ثيوفراستوس فى أعماله وأرجع أوفيد أصله إلى أسطورة تقول إن: (سفينيس) إله النهر، ولد له طفل جميل اسماه (نارسيس) وقد تنبأ العراف الاعمى الشهير ــ بتريزياس) أن المولود سوف يعيش طالما لم يبصر صورته، فحرصوا على إبعاد المرايا عن متناوله، ولما وصل إلى سن الشباب، تهافت العذارى على حبه، منهم الحورية (أيكو) ابنة إله الهوا والأرض ولكنه عزف عنها، وذهب (نارسيس) ليروى عطشه من أحد المستنقعات فهالته روعة صورته، على صفحة الماء، فعشقها وتشبث يحتضنها، وغاص فى العشب المغمور بماء النبع، وتحول شخصه إلى زهرة وجدت مكانه.

واعترض بليني على هذه الأسطورة، وذكر أن النرجس العشبى يسبب آلاما وصداعا فى الرأس فقد اشتق اسمه من (نارس) بمعنى النوم أو السبات، ويقال إن الرومان هم أول من عرف هذا الزهر ويكثر وجوده فى بلدان أوروبا وأمريكا[1].

٥- السنبل البرى***Hyacinth***

نبات من العائلة الزبقية ***Liliaceae*** موطنه سوريا ومناطق غرب آسيا، وقد ذكر فى المصادر القديمة الأدب الكلاسيكى، ووصفه هوميروس كزهرة على شكل ناقوس ذات شذى طيب، ويقال إنها أخذت شكل الأزهار التى كونت سرير (جوبيتر وجينون)، وقد لبس عذارى الاغريق تيجانا من السنبل فوق رؤوسهن، ويرجع أوفيد أصل السنبل إلى أسطورة (ياسنت) الشاب الاسبرطى ابن أميكلوس، وقد عشقه (أبو للو)، وذات يوم كان يشاركه إحدى المنازلات، فهبت الريح بشدة وحولت القرص الذى كان يرميه أبو للو إلى جبهة ياسنت فأصابه وصرعه، وضاعت محاولات إعادته للحياة سدى، فنمت زهرة الياسنت من دمه، وحملت أنوارها أحزان أبوللو.

---

(1) Poucher, Perfumes, VII, P 139.

وقد أدخل السنبل إلى بريطانيا خلال القرنين ١٦، ١٧، وعرفت أربعة أنواع منه: المفرد والمزدوج الأزرق والأرجواني والبنفسجي، ويزرع السنبل بكثافة في هولندا وعلى الأخص في هارلم حيث تلائم التربة والمناخ زراعته، وعندما تغطى مساحات كبيرة من هذا النبات، فإن شذاه الطيب يصل إلى أميال عديدة[1].

٦- زهر البرتقال *Orange*

شجرة البرتقال تنتمى إلى العائلة السذبية ***Rotaceae***، وموطنها شمال الهند، ولا يوجد تاريخ محدد لإحضارها إلى نصف الكرة الغربى، رغم أنه يحتمل أن يكون فى القرن التاسع، وقد فسرت إشارة العهد القديم فى سفر الأمثال الإصحاح ٢٥ فقرة ١١. تفاح من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى محلها إلى أن المقصود بذلك هوالبرتقال، ولكن البعض يعترض بأن هذا الثمر لم يكن مزروعا فى فلسطين فى عهد سليمان، كما لم يرد ذكره فى الكتابات الاغريقية والرومانية القديمة، وقد أحضرها العرب من الهند، ثم نقلوها إلى أفريقيا ثم سوريا ثم إيطاليا وأسبانيا وصقلية ويذكر أن الطبيب العربى (ابن سينا) الذى ازدهر علمه فى القرن العاشر استعمل عصير البرتقال كدواء.

وأول ما ظهر هو البرتقال الحادق، وفى روما زرع القديس دومينيك (١٢٠٠م) شجرة منه فى دير القديس سابينا، ومن نفس النوع زرعت الأشجار التى توجد فى حديقة الكازا، أما البرتقال السكرى فقد بدأت زراعته فى منتصف القرن الخامس عشر ودخلت الشرق عن طريق البرتغاليين إلى جنوب الصين، ثم إلى الهند، وفى ١٢٩٠م أحضر أحد كبار مستوردى الفواكة لبعض الشحنات من البرتقال على ظهر سفينة أسبانية إلى

وكانت عقود أزهار البرتقال تلبس فى حفلات الزواج، وترجع أصل هذه العادة إلى العرب والمسلمين الذين اعتادت عرائسهم لبس أزهار البرتقال علامة على الخصوبة، وقد أدخلت هذه العادة إلى أوروبا بعد الحروب الصليبية.

---

(1) Ditto P 106

ب. كوملان، الأساطير الاغريقية والرومانية، ص ١٢٦، ١٣٦.

وتربط الأساطير بين البرتقال ومراسم الزواج، فقد اعتبر البرتقال هو التفاح الذهبى الذى قدمه جوبيتر إلى جينون بمناسبة زواجهما، وقد احتفظ بالتفاح فى حديقة الهسبيرات أى الحوريات الثلاث اللواتى قمن على حراستها مع التنين، وكان (هرقل) يريد الحصول على بعض منها، ونجح فى ذلك، ولكن الآلهة (ميزفا) اعادتها مرة أخرى.

وفى عام ١٦٨٠م سمى زيت أزهار البرتقال، زيت النيرولى، وكانت السيدة آن مارى زوجة فلافيو أورسينى أمير نيرولى بايطاليا، تعطر قفازاتها بهذا الزيت، وقد تبعتها الكثيرات من السيدات حتى اشتهر نوع القفازات بقفازات نيرولى[1].

القرنفل Cloves

القرنفل أحد البراعم الزهرية الجافة لنبات ***Eugenla Caryophyllus*** الذى يتبع الفصيلة الآسية ***Fam Myrtacea*** ، وموطن القرنفل جزيرة ماليزيا والتى تسمى جزيرة القرنفل، وتكثر زراعته أيضا فى زنزبار والجزر الأسيوية المجاورة، ويقدر إنتاج القرنفل فى هذه المنطقة بما يكفى ثلاثة أرباع حاجة العالم.

وشجرة القرنفل كبيرة الحجم، مرتفعة الطول تصل إلى ٣٠ مترا، وتجمع البراعم منها مرتين سنويا عندما يتلون الجزء السفلى من البرعم باللون الأحمر البنى، وبمجرد جمع البراعم تنشر فى مناشر معرضة للهواء فى أماكن مظللة، وبعد تجفيفها تزال قواعد البرعم التى تشكل محصولا قائما بذاته أقل فى لقيمة الإقتصادية من محصول البراعم نفسه.

وتتوقف كمية الزيت بالبراعم على وقت جمعها ودرجة نضجها، وتكون نسبة الزيت كبيرة إذا جمعت البراعم قبل تفتحها، وتقل إذا جمعت قبل ذلك أو بعد تكوين الثمرة، وعندما يتأخر الجمع تسقط الزهرة بتلاتها ويتضخم المبيض مكون الثمرة التى تعرف باسم ***Mother Of Cloves*** ، وتحوى البراعم زيتاً طياراً تصل نسبته ١٤ — ٢٠٪، ومواد تانينية تصل نسبتها ١٠ — ١٣٪، ومادة متبلورة تسمى كريوفلين ***Caryophyllin*** ، ويحضر زيت القرنفل بطريقة التقطير بالبخار، وهو سائل عديم اللون أو أصفر فاتح أثقل من الماء، ولذا يجمع فى قابلات خاصة ***Fiorentine Receivers***.

(1) Poucher, Perfumes, Vii. P 148.

وأهـم مكـونات الـزيت: يوجينول ***Eugenol*** بنسبة ٨٤– ٩٥٪ ، وهى مادة فينولية المكـون الـرئيس للـزيت، ومواد سسكوتربنتينية ***Sesquiterpnes*** أهمها ألفا وبيتا كريو فلين، ومواد كحولية وكيتونية.

ويستعمل القرنفل أو الزيت المستخرج منه كتوابل لتحسين الطعم، وطبيا يعتبر مسكناً موضـعياً ***Aneathetic*** لـلآلام الأسـنان، ومطهـراً معـوياً، وطارداً للغازات، ونظرا لزيادة نسبة اليوجينول فيه تحضر منه مادة الفانيليا، ويدخل زيت القرنفل فى صناعة السجاير فى باكستان، وتعتبر السوق الأساسية لبيع القرنفل[1].

القرفة

هـى القـرفة الصينى المعروفة فى مصر كمشروب، وتعرف بالعربية (دار صينى) وهى عـبارة عـن اللحـاء الخارجـى والداخلـى لنـبات ***Cinnamomun Cassia*** ويتـبع فصيلة ***Fam Lauracea*** ، وتزرع فى جنوب الصين وخاصة منطقة كانتون ***Canton***.

وهـناك نـوع آخر القرفة السيلانى تحوى نسبة عالية من الزيت الطيار تصل إلى ٢٪، وتستعمل القرفة مشروبا مغذيا بعد إضافة السكر إليه، تساعد على طرد البلغم.

Expectorant ، وتطهـر الجهـاز التنفسـى والـبولى، لأن الـزيت الطـيار يمـتص فـى الأمعاء، ويفرز عن طريق القصبة الهوائية أو عن طريق الكلى، كما أنه طارد للغازات.

Carminative ويـزيل آلام المغـص الـناتج عـنها، فـاتح للشـهية ويسـاعد على إفراز اللعاب والعصارات المعدية، وصيدليا تضاف القرفة أو خلاصتها السائلة لكثير من الأدوية لإكسـابها الطعـم المقبول، كما يستعمل مسحوق القرفة ضمن التوابل ***Condiments*** التى تحسن طعم الأغذية.

الفانيليا

خـروب أمـريكا العطـرى ***Vanilla Planifolia*** الـذى يتـبع الفصيلة الأركيدية ***Fam Orchidacea*** والمعـروف تجاريا باسم الفانيليا المكسيكى، وهو من نباتات المنطقة الحارة حـيث يكثـر فـى المكسـيك وجامايكـا، كمـا انتشـرت زراعته فى شرق أفريقيا: مدغشقر وتانـزانيا والكونجـو، والنـبات معمـر متسلق، ثماره قرون أسطوانية طويلة طوله ٢٠ سم،

---

(١) دكتور فوزى طه قطب حسين – النباتات الطبية – دار المريخ – الرياض – ١٩٨١ – ص ٣٢٥.

لونه أخضر يتحول عند النضج إلى أصفر، وبعد تسويتها صناعيا ***Curing*** تتحول إلى بنى قاتم، تجمع عند إكتمال نموها، ومادة الفانيليا عبارة عن بللورات بيضاء لها رائحة وطعم قـرون الفانيلـيا الجافة، وقد تباع فى الأسواق على شكل مسحوق يستخلص من الثمار أو علـى شكل محلول مائى مركز، ونظرا لإرتفاع سعر الفانيليا المستخرجة من ثمار النبات، فقد أمكن تحضيرها صناعيا من مصادر أخرى:

مادة كونيفرين ***Coniferin*** التى توجد فى جذوع بعض أشجار الصنوبر ***Pine tree***.

مـادة اللجـنين ***Legnnin*** الموجـودة فـى لـب الخشـب وتعتبر نتجا ثانويا فى صناعة الورق.

مادة اليوجينول***Eugenol*** وهى مادة فينولية موجودة فى زيت القرنفل.

وتحتوى قرون الفانيليا الخضراء على مواد جليكوسيدية[١].

جوزة الطيب *Nutmeg*

نـبات جـوزة الطـيب هـو نـبات ***Myristica Fragrans***، ويتـبع الفصيلة البسباسية ***Myisticae***، ويعتبر من نباتات المنطقة الحارة، وموطنه الأصلى ماليزيا والجزر المحيطة بهـا، كمـا يـزرع بكثـرة فـى جـزر الهند الصينية (سومطرة وجاوة) وأندونيسيا وسيلان، وتعتـبر الملايـو المصـدر الـتجارى لبذور نبات جوزة الطيب فى العالم، وعرف العرب هذا النـبات واستعملوا بذوره وأدخلوه إلى أوروبا فى منتصف القرن الثانى عشر ضمن مجموعة التوابل.

والشـجرة كـبيرة الحجـم، تثمـر بعـد ٩ ــ٨ سنوات من زراعتها، وتستمر فى الإثمار قرابة ثلاثين عاما، وتثمر مرتين أو ثلاث مرات سنويا، والثمرة تشبه ثمار الخوخ، تجمع الـثمار وينـزع الغشـاء المغلـف ***Mace***، وتجفـف بتعريضها للشمس أو فى أفران بدرجات حـرارة منخفضـة ثـم تغطى بمسحوق الجير لحفظها من الحشرات، وتحتوى البذور على ٥ ــ ١٥٪ مـن زيـت طـيار بنسبة ٢٥ ــ ٥٠٪ من زيت ثابت يوجد متجمدا عند درجة الحـرارة العاديـة، ويحـتوى زيت الطيار على مادة الميريستيسين ***Myristicin*** وهى تشبه مادة الأبيول ***Apiole*** الموجودة فى البقدونس، كما تحتوى على مادة ***Sofrole.***

---

(١) دكتور فوزى طه قطب حسين – النباتات الطبية – دار المريخ – الرياض – ١٩٨١ – ص ٣١٠.

تستعمل بذور الجوزة والزيوت الناتجة منها كمواد مكسبة للطعم تضاف للمواد الغذائية كتوابل وطاردة للغازات، وطبيا يستعمل الزيت الطيار أو الثابت فى علاج الروماتيزم، كما يدخل فى بعض الدهانات لعلاج الطفيليات الخارجية، ومادة الميريستيسين **Myristicin** الموجودة فى الزيت الطيار منومة **Mypotic** إذا أخذت بكميات كبيرة، وتحدث تقلصات فى العضلات غير الإرادية، كما أنها تؤثر على الكبد فتفضى إلى الموت، وتناولها بكميات صغيرة تنشط العضلات، ولذا يرجع السبب فى استعمال جوزة الطيب أو زيتها الطيار إلى تنشيط الناحية الجنسية عند الرجال.

عرق الطيب Orris

يطلق عليه أسماء متعددة منها: السوسن، سوسن أبيض، إبريس، قوس قزح، دهن زنبق، وهو الجذور والريزومات الجافة للنبات **Lris Germanic**، وتتبع الفصيلة السوسنية **Fam Iridacea**، والموطن الأصلى لهذا النبات هو جنوب ووسط أوروبا: حيث يزرع كنبات زينة لجمال أزهاره، ثم زاد الإهتمام بالجذور والريزومات، وأصبحت تجارة رابحة، تحتوى على زيت طيار يستخرج بالتقطير بالبخار، ويتركب من المركب الكيتونى **Irone**، وحمض المرستيك **Myristic Acid** ويسمى ناتج التقطير دهن عرق الطيب، وتحتوى الجذور على جليكوسيد يعرف باسم إريدين **Iridin**، وقد استعمل عرق الطيب كملين **Laxative** ولكنه يستعمل على نطاق واسع فى صناعة مستحضرات التجميل والروائح العطرية، وله القدرة على إمتصاص الرائحة الكريهة للفم، ولذا يدخل فى تركيب كثير من معاجين الأسنان[1].

وبخلاف الأزهار فقد عرف الإنسان أنواعا معينة من الأشجار تمتاز بالرائحة الطيبة، وقد استخدم اعوادها فى البخور الذى عبق فى المحافل والمناسبات الدينية منذ القدم.

١- العود

شجر عظام بأرض الهند اسمه العلمى من العائلة الفراشية موطنه الأصلى حوض البنغال وبورما وآسام وجاوه وكبوديا جنوب شرق آسيا.

أصنافه: المندلى (معدنه مندل بوسط الهند) أفضله وأنفسه، ثم يجلب من الهند ايضا: القامرونى لسمندورى، والقمارى، والقاقلى، والكلهى، والعولاتى، واللوقينى،

---

(١) دكتور فوزى طه قطب حسين – النباتات الطبية – دار المريخ – الرياض – ١٩٨١ ص ٣٢١.

والرانجي ويجلب من الصين: الصنفى، والصند فورى، والصينى، والقطعى، ومن ساحل الـزنج: المانطائـى، والريطائى، والقندغلـى، والسـمولى وأجـود العود هو الأسود والأزرق الذى لا بياض فيه.

وفـى الانـدلس كـان يـوجد شجر العود فى ناحية ولاية من أقليم اليسرة (وهى جبال سـيبرا نـيفادا) بالقـرب مـن المـرية عـود الالـنجوج لا يفـوقه العـود الهـندى ذكاء وعطراً ورائحـة، وأصل منبته كان بين الاحجار، وفى اكشونية جبل كيترا ما يتضوع ريحه ريح العـود الذكـى إذا ارسلت فـيه الـنار. وقـد وصـلت شـجرته يوما إلى خيران الصقلى أمير المديـنة، فأمـر أن تغـرس فـى ضـواحى هـذه المديـنة. كما يوجد بالاندلس القسط الطيب والسنبل الطيب

وفـى جـاوه شـجر العـود يشبه شجر البلوط، الا أن قشره رقيق، لا ثمر له، ولا تعظم شـجرته، وعـروقه طـويلة ممـتدة، وفـيها الـرائحة العطـرة، وأما عيدان شجرته ورقها لا عطرية فيها.

٢- الصندل

شجر الصندل يحتوى على عطر نفاذ، وينمو فى جزر المحيط الهندى (جزيرة تيمور) وجـاوه وسومطره وملقا والهند الصينية، يكثر استخدامه فى بلاد الشرق التى تتبع طريقة جـثث الموتـى، فتعطـر به الأجسام، ويحرق مع الجثث فى أثناء الاحتفال الخاص بهذه المناسبة.

وأفضـل أنـواعه: (الأصـفر الليمونـى) الدسـم، الـذى كأنه قد مسح بالزعفران، وذكى الـرائحة ويسـمى المقاصيرى (نسبة إلى مقاصير)، الأبيض الضارب إلى السمرة أو الجورى (نسبة إلى جور) وهو ضعيف الرائحة، الأحمر شديد الحمرة، ولا رائحة له.

ويسـتخدم الصـندل المقاصـيرى فـى عمـل الـبرمكيات والمثلـثات والذرائر، وتتخذ منه القلائـد، ويـدخل فـى الأدويـة كمحلـل لـلأورام، أمـا الـنوعان الآخـران، فتصنع منهما المنجورات والمخروطات، كدوى الحبر، وعتائد الطيب، وأدوات الشطرنج والنرد.

٣- الكافور ***Camphor***

شـجرة اسمهـا العلمى، ***Eucalyptus*** تتبع الفصيلة الآسية أو الغارية، معمرة ومحبة للماء.

ولـذا يـتم زراعـتها فـى المـناطق القـريبة مـن المـاء كالبرك والمستنقعات وحواف الترع والمصارف، وتنتشـر زراعـتها فـى استراليا وأمريكا وبلاد البحر الأبيض المتوسط يستعمل زيـت الكافـور كـدهان لعـلاج الروماتيـزم، والـتهابات الأنـف والحنجرة، ومغلى الأوراق (مشـروب) مانـع للنـزيف والعطـش، وعـلاج حـالات الصـرع، ومثبط للناحية الجنسية، ويدخل فى صناعة الصابون[1].

ما هو الكافور؟

الكافـور عبارة عن مادة صلبة توجد على هيئة صفائح بيضاء بلورية أو على هيئة كتل مـربعة الشـكل متلاصـقة بيضـاء وسـهل التبخر أو التطاير حتى عند درجة حرارة الغرفة العاديـة. يـذوب فـى المـاء بصعوبة بنسـبة مـا بـين جـرام فى ٧٠٠ ملى ماء ويذوب فى الكحـول بنسـبة ١ فـى ١ ملى من الكحول وفى الكلور فورم بنسبة ١ فى ٢٥٠ ملى كلور فـورم وفـى الأثـير بنسبة ١ فى ١ ملى. ينصهر الكافور عند درجة حرارة ما بين ١٧٤ – ١٨١م وزنه الجزئى ١٥٢٢ وصيغته الكيمائية ***C1.H16O.***

وللكافـور عـدة مـرادفات مـن الأسمـاء مـثل الكانفـور (***ALCANFOR***) و٢ كامفانـون (***CAMPHANONE2***) وكامفـر درويـت (***CAMPHR***) وكافـورا لـيابان (***CAMPHRE DUJAPAN***) وكانفورا (***CANFORA***) وزهر الكافور (***Flower of Camphor***).

ومن أين يستحصل على الكافور؟

يستحصـل علـى الكافـور مـن شجرة الكافور ***CAMPHOR TREE*** المعروفة علميا باسم ***Cinnamomum CAMPHOR*** من الفصيلة الغارية (***Lauraceae***)

وشـجرة المكافـور شجرة كبيرة معمرة دائمة الخضرة يصل ارتفاعها إلى ٥٠ مترا ويكون جـذعها مسـتقيما فـى الجـزء السـفلى من الشجرة لكنه ما يلبث أن يتفرع إلى أفرع كبيرة بعقـد كـبيرة، أوراق النـبات كـبيرة ولهـا أعـناق طـويلة ومتبادلة يصل طولها إلى ١١ سم وعرضـها حوالى ٥ سم. الأزهار صغيرة ذات لون أبيض وتتجمع فى مجاميع بدون أعناق. أما الثمار فهى عنبية بلون بنفسجى إلى أسود وتحتوى كل ثمرة على بذرة واحدة.

---

(١) محمد الحسينى، وتهانى المهدى – النباتات الطبية – مكتبة ابن سينا – ص ١٦٤.

٤- اللبان

هو العصير الأبيض الناتج من شق شجرة من العائلة البيروسيرية وتقدر جودته بدرجة نقائـه وبياضـه، الـذى يقـترن دائمـا بجـنوب بـلاد العرب، فى الشجر من عمان وجبال الـيمن، وأجـود أصـناف اللـبان هو عقلة الصباع والذى يسميه العامة اللبان المتساقط، أما الصـنف الـتالى فـى الجـودة فيسـمى اللبان المكمور، وينحل هذا الصنف إلى ثلاث رتب: ممتاز ووسط وردئ، ويلى ذلك بخور الجيب الذى ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام.

وشـهرته قديمـة ضـاربة فـى أعمـاق التاريخ، فقد عرفنا أهميته فى الطقوس الدينية، والشـعائر الوثنـية حتـى إنـه كـان يستعمل فى كل هيكل ومعبد، وكانت حضرموت هى الـبلاد الوحـيدة فـى العـالم القـديم التـى تنتج البخور، ومنها ينقل إلى أسواق العالم كله شرقه وغربه[1].

واللـبان كلمـة معـربة عـن اليونانـية لبانو، ويقال إن اسمه باليونانية "طوش" ومعناها معطـر وهـو الكـندر بالفارسـية، ويـرادفه الـبخور، وشـجرته لا تـرتفع أكثر من ذراعين، ومنابتها الجبال، وورقها مثل ورق الآسى، وثمرتها مثل ثمرته.

(١) النووى - نهاية الارب - جـ١ ص ٢٩٩.

♠ ثانياً : الطيب من أصل حيوانى.

ويقصد بـه أنـواع الطـيب ذات الـرائحة القوية والنفاذة، والتى تستخدم أصولا ومواد تثبـيت للأنواع الأقل والأخف من الطيب خلال عملية الخلط، وتستخرج هذه الأنواع من أعضـاء بعـض الحـيوانات مـثل: غـزال المسـك، حوت العنبر، وقط الزباد، وقدس الماء، وسوف نتعـرض بالتعـريف لهذه الحيوانات، وكيفية استخراج الطيب منها، أما الطيب المستخرج: المسك والعنبر والزباد، فسوف نفصل القول فى مواصفاته وخواصه فى الفصل التالى.

أ- غزال المسك ***Muck Deer***

الغـزال أسـم للصغير من الظباء ذكرا كان أم أنثى، ويطلق عليه: رئم، خسف، أيل، وعسـل، واسمـه العلمـى ***Moschus Moschiferus*** وهـو حـيوان برى من ذوات الظلف المشـقوق والمعـدة المـركبة مـن آكـلات العشب فى الصحارى والغابات والوديان وعلى قمم الجـبال، والغـزلان حـيوانات مطـاردة خوافة، تمتاز بالرشاقة والسرعة التى قد تصل إلى سـبعين كـيلو متراً فى الساعة، بما حباها الله من سيقان نحيلة وقوام ممشوق، كما تمتاز بالـرقة والحساسـية، حتـى إنـه يذكـر أن بعضـها يموت حسرة وكمدا عندما يصرع أحد أفـراد القطيع! ويوجد حوالى أربعين نوعا من أهمها غزال المسك الذى يعيش فى الغابات المـرتفعة فـى أواسـط شـرق آسـيا، ومنطقة جبال الهيمالايا، وليس لهذا النوع قرون على رأسـه، ولكـن يـبرز مـن فم الذكر زوج من الأنياب، تتدلى لأسفل من فكه العلوى، يدافع بها عن نفسه، ويكاد يكون عديم الذنب، وجسمه مغطى بصوف غليظ، وللذكر غدة مثل حجـم الـبرتقالة — أسفل البطن تحت الجلد مباشرة عند الفتحة الخلفية، وعندما تنضج محـتويات هذه الغدة، فإن الدم يندفع إلى سرته، وعندما يستحكم لونه فيها فإنه يؤذيه، ويحـدث لـه حكـة، فيـندفع الحـيوان إلى الصـخور الحـادة، يحـتك بها ملتذا، فتنفجر الغـدة، ويسـيل المسك علـى تلـك الأحجـار، كانفجـار البثور والدمامل إذا نضجت! مع الفـرق الكـبير بـين الحـالين فـى المحـتوى، حتى إذا ما فرَّغ ما فى نافجته اندملت، ثم تجمـع الـدم ثانـية كمـا كـان أولا، ويخـرج الباحـثون عن المسك من رجال التبت حيث يعـيش الغـزال يتتبعون مراعيه، فيجدون الدم قد جف على الصخور والاحجار، ونضج،

فيأخذونه ويودعونه فى نوافج معهم، وذلك أفضل المسك، وفى حالات أخرى، قد تقتل الأيل أولا وفى هذه الحالة لا يوصى بصيد الأيائل الصغيرة، بل المفضل هو القطعان التى يبلغ عمرها عشر سنوات، حيث يكون وزن — النافجة من ٠.٥ — ٢ أوقية ثم تفصل الغدة وتجفف فى الشمس أو فى فرن، أو تغطس فى زيت ساخن(١).

ب- وينسب إلى المسك من عالم الحيوان بخلاف الغزال: فأر وثور وسلحفاة

ففأر المسك ***Musk rat***

وهو حيوان مائى من القوارض، اسمه العلمى ***Castor Fiber***

وموطنه فى منطقة لويزيانا شمال امريكا، ويعيش فى مجارى وأنفاق خاصة تحت الماء، قارض قوى التركيب، يجيد السباحة، يبلغ طوله ٣٦ سم بخلاف ذيله الأسود العارى من الشعر، يزن الفأر ١,٣ كيلو جرام، على جسمه فرو ناعم لامع ذو لون أسود أو بنى أو صدئى، يوجد فى جماعات كبيرة، ويصاد من أجل فرائه الثمين إلى جانب الحصول على مادة تشبه رائحة المسك، تفرزها غدة تحت ذيله، فى كل من الذكر والأنثى، حيث يعطى الحيوان الواحد ١,٥ جرام من المادة، تعالج بأربعة جرامات من الجير المطفأ، ثم ينقع الخليط فى الكحول لمدة أسبوعين، فتنتج المادة طيبة الرائحة التى تستخدم كمثبت(٢).

وثور المسك ***Musk-ox***

حيوان ثديبى عاشب ظلفى، اسمه العلمى ***Ovibos Moschatus***

يعيش فى الصحارى الجليدية بالقطب الشمالى فى كندا وجرينلاند، هو أقرب إلى الماعز والشياه ارتفاع الكتفين عن الأرض يبلغ ١٥٠ سم، مغطى بشعر كثيف، بنى اللون، قصير متموج على الرقبة والظهر، وطويل على الجانبين يكاد يلمس الأرض، قصير الذيل والأذنين، له قرون قوية حادة يدافع بها عن نفسه، وعن صغاره، يصل وزن الثور حوالى ٦٠٠ رطل، وهو من آكلات العشب، كما يأكل الطحالب والأشنان، ويعيش فى قطعان من ٢٠ — ٣٠ حيواناً.

---

(١) المسعودى، مروج الذهب، جـ١ ص ١٥٨، أحمد الشحات – سحر العطور، ص ٨٧، أحمد عطية غراب صناعة الروائح العطرية، ص ٥٨، محمد فهمى الفولى – العطور، ص ٧٦.

(2) The Macmillan Encyclopedia. P847.

وجاءت التسمية من الرائحة الطيبة التى تجرى فى دم الحيوان، ولا يدر حتى الآن تعليلا لها فليس لديه غدد تفرز فى دمه ذلك المسك، ولحم صغارها طيب، أما لحم الكبار فتشوبه رائحة المسك، التى تستحب طيبا، وتكره طعاما، وهذه الرائحة المسكية النفاذة، تظهر فى موسم التعشير[1].

وسلحفاة المسك ***Musk Turtle***

فهى سلحفاة مائية صغيرة، موطنها الولايات المتحدة الأمريكية وتعيش فى المياه الراكدة، ولها قصعة علوية للظهر، وكذلك ذراع سفلى للصدر، وبسبب الافراز النفاذ الذى يشبه رائحة المسك، أطلق عليها تهكما لقب "وعاء النتن".

المسك

١- المسك ملك أنواع الطيب، وأشرفها، لفظه فارسى معرب أصله (مشك)، القطعة منه مسكة والجمع مسك، فتاته الرضاب، وقليلة الصوار، ورائحته الفنح، وأجوده وأجفه وقيل أخفه القارت، وما كان رقيقا كالماء النضج، وفتق المسك أى خلطه بغيره، ويقال أيضا روح ودان المسك، وتطيب بالمسك يعنى تمسك وتلطخ، وتلغم، وتخلق، وتغلى، وأوعيت النافجة والفأرة[2].

٢- والمسك مادة جافة قاتمة اللون، أرجوانية ملساء، مرة المذاق، كما انه غواص أى ينفذ إلى جميع أعضاء البدن، جيد للغشى وخفقان القلب، يجلو بياض العين، ويخرج الرياح، ويبطل السموم، وينفع من نهش الأفاعى، وهو أقوى المفرحات[3].

٣- أشار الجاحظ فى كتابه التبصير بالتجارة إلى معرفة الطيب والعطر والروائح العطرية، إلى أن خير المسك التبتى اليابس الفاتح[4]. " وذكر المسعودى أنه فى بلاد التبت" توجد ظباء المسك التى ترعى سنبل الطيب، ويفضل هذا المسك على الصينى،

---

(1) ditto, P848.

(٢) ابن منظور – لسان العرب، مادة مسك.

موسى والصعيدى، الافصاح، جـ١ ص ٣٥٧

المعجم فى اللغة الفارسية ص ٤٠٠.

(٣) ابن قيم الجوزية، الطب النبوى ص ٣٥٤.

(٤) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ١١.

لأن ظباء الصين ترعى الحشيش، من ناحية أخرى فإن أهل التبت لا يتعرضون للظباء لإخراج المسك من نوافجه، بل يتركونه ينضج على ما هو به، أما أهل الصين فيخرجون المسك من النوافج ويلحقونه الفش بالدم، ثم يقطعون به مسافات طويلة، فتؤثر على خواصه كثيرة الأنداء، واختلاف الأهوية حتى يصل بلاد الإسلام فى عمان وفارس والعراق وغيرها[1].

ويخص الادريس مدينة (ثينخ) بالتبت بانتاج أفضل أنواع المسك، وهى على رأس جبل منيع حيث ينبت السنبل كثيرا، وفى غياضه تعيش دابة المسك[2].

وغير المسك التبتى، تتعدد أصناف المسك كالآتى:

الصفدى، والصينى (من خانقو)، الهندى (الذى يحمل من التبت إلى الهند، ثم يحمل إلى الديبل ثم يجهز فى البحر)، والقنبارى (نسبة إلى قنبار بين الهند والصين)، والطغز غزى (التتر الذين يسكنون على حدود الصين مثل أعراب البادية)، والقصارى (قصار بين الهند والصين)، والجرجيرى، والعصارى، أما الدارى (فينسب إلى دارين وهى فرضة بالبحرين يجلب إليها وليست بمعدنه)[3].

٤- وأفضل المسك التبتى اسمه مسك تونكين، ويأتى من سهول كوكونور حيث يعيش غزال المسك على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم[4] حيث يتغذى الحيوان على نباتات عطرية توجد فى هذه السهول ولا توجد فى غيرها.

٥- ويمثل هذا النوع ٨٥٪ من اجمالى الواردات.

ويصل إلى أسواق لندن فى صناديق ظريفة معدة باتقان، يغطى خارجها بمادة حريرية بطريقة غريبة، ويغطى داخلها برقائق صفيح، وهذه العبوات تزن ٢١ أوقية، وتلف كل نافجة بالورق المفضض،ولها شكل كروى، يبلغ قطرها ٠,٥ بوصة وهى ناعمة الملمس من أحد جوانبها، ويغطى الجانب الآخر شعر كثيف غامق يتركز حول فتحة النافجة، ويسمى المسك التبتى محليا ببعض أسماء مميزة مثل:

مسك الدهنى، مسك الزيتى الخضرى، مسك رأس الثعبان.

---

(١) المسعودى، مروج الذهب، جـ١ ص ١٥٨ والتبت تقع الآن فى دولة (نيبال).

(٢) الادريس، نزهة المشتاق، جـ ١ ص ٥١٣.

(٣) النويرى – نهاية الأرب، جـ١٢ ص ١٠.

(٤) ج. هايد – تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى – جـ٤ ص ١٤١.

وعموما فإن المسك على أربعة أنواع

١- **مسك الجلد الأزرق** هو أحسن أنواع المسك، وما هو الا مسك تونكين تداولته الأيدى الخبيرة فى شغفها حيث يزال الطبقة الداخلية المبطنة للنافجة بمهارة، ويبقى غشاء أزرق لامع وأحيانا يسمى (الزغب الأزرق)

٢- **المسك المحبب** ويشمل الافراز الجاف والقصر معا الذى يزال تماما بعناية، ويكون التحبيب غير منتظم وشحمى ولونه بين البنى المحمر حتى الأسود، وتفوح منه رائحة ثابتة ونفاذة ومميزة — ولا يجب ألا تحتوى النافجة على غشاء حيث إنه عرضة للعفونة والفساد.

٣- **مسك كاباردين** ويوجد فى نوعين الصينى والروسى، ولكن كلا النوعين أقل جودة من السابقين، واصطلح تجاريا تسمية (كارباجا) وهى التسمية المحلية لابل المسك فى جبال أطلبس، والحدود الجنوبية بسيبريا.

٤- **مسك يونان** ويوجد غالبا فى نوافج اصطلح على تسميتها (وجه الختزير) ويمكن تمييزها بسهولة عن مسك تونكين عن طريق شكلها المميز.

٥- **مسك آسام ونيبال** ويوجد نوافج صغيرة جدا، وهذا النوع أردأ الأنواع ولا يلقى القبول وتوجد مراكز تجارة المسك فى الصين قى سونج بان وشنج تو، ويتم تصديره وشحنه عن طريق شونج كنج أو شانجاهاى، رغم استهلاك كميات كبيرة منه محليا فى الأغراض الطبية

غش المسك

المسك عرضة للغش بالتراب والدم الجاف .... الخ ولكن يمكن اكتشاف ذلك عن طريق الاحتراف، أو الفحص الميكرسكوبى، ومعدل وجود هاتين المادتين هو ٨٪ ولا يجب زيادة نسبة الرطوبة على ١٥٪.

•وفى معرض وصفه لخواص الأندلس، يقول المقرى:

ومن بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد، المقدم على أجناسه فى الطيب، والصبر على النار ويجهز إلى مصر وغيرها، ويحمل إلى قرطبة من ساحل شنترين وشذونة، وتباع الأوقية منه بالأندلس بثلاثة مثاقيل ذهبا، وتباع أوقيته بمصر بعشرين

ديـنارا، ويمكـن أن يكـون هـذا العنـبر الواقـع إلى بحـر الـروم، ضـربته الأمـواج إلى بحر الأندلس[1].

جـ - حوت العنبر أو حوت المن

حيوان يعيش فى مياه المحيط الأطلسى، وخاصة المناطق الحارة المجاورة لجزر الهند ونيوزيلندا واستراليا، يسمى القيطى ***sperm Whale***

والقيطـى مـن الحيـتان (ذوات الأسنان) ومنها كركدن البحر والدلفين تمييزا لها عن الحيـتان (عديمـة الأسـنان) ومـنها الـبال والهـركول أضـخم الحـيوانات علـى الإطلاق، وحـوت المـن (القيطـى) جلـده أملس، تحته طبقة من الدهن أو الشحم، طرفاه الأماميان مـتحوران إلى شـبه مجـدافين، ولا تـوجد أطـراف خلفـية ، وعضو السباحة الرئيسى هو الذيل الأفقى ذو الوشيعتين.

يعيش فى جماعات، يتبادل الحديث مع بعضه بأصوات تحت الماء.

يـبلغ طـوله ١٨ مـتراً، ولـونه رمـادى أزرق مـن أعلـى، وشـاحب اللـون مـن أسفل، يستطيع السباحة لمسافة كيلو واحد بحثا عن غذائه من الأخطبوط وسمك أم الحبر طعامه المفضل، وأحيانا يظل تحت الماء لمدة ساعة.

ويخـرج مـن جـوف هـذا الحوت مادة عطرية جامدة القوام، هى العنبر ***Ambergris*** وهو من أقوى مواد التثبيت للعطور، وأغلاها ثمنا.

ويقـال فـى نشـأة العنـبر فى جسم الحوت، أنه له غرام شديد بأكل نوع من الأسماك ذى مـنقار حـاد يسـمى السـيبا أو أم الحـبر ***Cattle Fish*** يصـعب على الحوت هضمه، وعـند مـرور المنقار الحاد، داخل الجهاز الهضمى للحوت تتسلخ أمعاؤه من حدة المنقار، وتفرز بعض الافرازات من جوف الحوت، وتخرج على شكل كتل متجمدة، هى العنبر[2]

---

(١) المقرى، نفح الطيب، جـ١ ص ١٤٠

شنترين وشذونه من أعمال أشبيليه.

(٢) أحمد الشحات، سحر العطور، ص ٨٤، ٩٣، أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ٥٦، ٦٠.

العنبر

العنبر مادة سنجابية اللون، لينة عند الضغط عليها، تسيح عند درجة حرارة ٦٠°، يذوب في الكحول أو الأثير[1]، يقو القلب والدماغ والحواس وأعضاء البدن، نافع من الفالج واللقوة والأمراض البلطمية، وأوجاع المعدة الباردة، والرياح الغليظة، وإذا تبخر به نفع من الزكام والصداع والشقيقة الباردة[2].

١- وفي أصل العنبر يقول المسعودى: اهل الشحر أناس من قضاعة وغيرهم من العرب، وهم مهرة، لهم نجب يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية، يسيرون عليها على ساحل بحرهم (النحيط الفارسي)، فإذا أحست النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه، وقد ريضت لذلك واعتادته، فتناوله الراكب، وأجود العنبر هو المدور الأزرق النادر كبيض النعام أو دون ذلك، ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالأوال، وذلك أن البحر إذا اشتد قذف العنبر من قصره كقطع الجبال، فإذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفوا على الماء، ويرصده أناس من الزنج في قوارب، ويطرحون فيه الكلاليب والحبال، فيشقون عن بطنه، ويستخرجون العنبر منه، وما يخرج من بطنه يكون سمكا، ويعرفه العطارون بالعراق وفارس والهند[3].

٢- ولكن الادريس، يقول إنه ليس رجيع دابة، ولكنه شئ تقذف به عيون فى قعر بحر هركنده — وقد توجد فيه العنبرة تزن قنطارا أو أكثر — مثل ما تقذف به عيون هيت بالنقط، فإذا ما اشتدت الريح رمى به الساحل، وقد حكى ذلك إبراهيم المهدى فى كتابه المسمى بكتاب الطيب، ذكر أن هارون الرشيد بعث إلى اليمن قوما من قبله يبحثون عن العنبر ما هو على الحقيقة، فأخبره أهل عدن أنه شئ تقذف به عيون فى قعر البحر، فيسوقه الموج إلى الساحل صغيرا وكبيرا[4].

---

(١) محمد فهمى الفولى، العطور، ص ٧٤.

(٢) ابن قيم الجوزية، الطب النبوى، ص ٣٠٦.

(٣) المسعودى، مروج الذهب، جـ١ ص ١٥٠ * شلاهط: هى جزيرة بلاوان بالفلبين (تجاه المحيط الهندى، د. شوقى عثمان ص ٣٠٢)

(٤) الادريس، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، جـ١ ص ٦٦.

٣- وأفضل العنبر ما جمع قوة رائحة وذكاء بغير زعارة أو حدة، على أن انواعه تختلف تبعا لمدة بقائه على سطح البر، حيث إنه يخرج من جوف الحوت أبيض اللون، ثم يتحول تدريجيا إلى اللون الأسمر بتأثير العوامل الجوية، ويختبر النوع الجيد من العنبر، بإجمار إبرة فى النار، ثم غرزها على الفور فى الكتلة العنبرية ثم سحبها فورا، فإذا نفذت الابرة إلى قلب الكتلة ثم أخرجت بسهولة وعليها بعض العنبر الذائب من الحرارة كان العنبر من نوع جيد، أما إذا لم تنفذ، أو نفذت بصعوبة ولم يظهر عليها أى أثر للعنبر، كان النوع رديئا[1].

وعثر فى نيوزيلندا من سنوات قليلة على كتلة من العنبر تزن ١٨٤ رطلاً انجليزى، وقطرها أكثر من ٦ أقدام. وفى عام ١٩١٣ عرض فى سوق لندن كتلة أخرى تزن ٣٣٦ رطلاً، ومن ذلك الحين أمكن الحصول على كتل تتراوح من ١٠٠ — ٢٠٠ رطل.

د- قط الزباد _ السنوّر ***Civet Cat*** عائلة آكلة اللحوم.

وهو حيوان وحشى، شبيه بالقط الأهلى (الهر) يعيش فى جبال غينيا والحبشة والسنغال يخرج مادة دهنية من غدة على شكل جيب، بين المستقيم وأعضاء التناسل لكل من الذكر والأنثى، وهى كتلة بيضاء يتخن قوامها، ويدكن لونها عند التعرض للهواء، ورائحتها قوية، وتذوب بصعوبة فى الكحول، وجزئيا فى الكلوروفوم، وكليا فى الأثير، والمادة كريهة الرائحة ولكنها تطيب عند التخفيف، ويتم الحصول عليها بكشطها بمعلقة من غدد الحيوان الحى من حين لآخر — وهى عملية فى غاية القسوة — حيث يحجز الحيوان فى أقفاص خاصة، حتى يتم استخراج الزباد، والذى يعتبر من أجود المثبتات العطرية[2].

يبلغ طول الحيوان حوالى ١,٢ متر، وله فراء رمادى منقط خشن الملمس، من آكلات اللحوم ولكنه أيضا بعض الفواكة والجذور.

---

(١) النويرى – نهاية الأرب، جـ ١٢ ص ١٨.

(٢) أحمد الشحات، سحر العطور، ص ٩٥، ٩٨، أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ٥٨، ٥٩، محمد فهمى الفولى، العطور، ص ٧٨، ٨١.

هـ – قندس الماء Beaver

وهو حيوان من نوع الجرذان، يعيش فى جبال روسيا وكندا ذو فراء ثمين، يبلغ طول جسم الذكر ٧٥– ٩٥ سم، عدا الذنب الذى يبلغ طوله ٣٠ سم، ويصل وزن الحيوان إلى ٤٠ كيلو جراماً الجزء الخلفى من الجسم أضخم من الأمامى وهو عريض يساعد على التوازن خلال السباحة فى الماء والظهر احدب والأطراف قصيرة بالغة القوة، والخلفية أطول من الأمامية قليلا. يعيش فى جماعات، ويبنى كوخا محكما من الخوص والطين، فيه مداخل وانفاق تحت الماء ويستخدم أسنانه القاطعة والحادة فى قطع الأخشاب وله فراء غامق املس. ويفرز هذا الحيوان مادة راتنجية – تسمى الجندباد ستر، وتعرف فى مصر بالمنيستير – من غدتين كمثرتى الشكل بحجم الأصبع فى مؤخر البطن بين الفخدين، فى كل من الذكر والأنثى، وتستخلص هذه المادة بعد ذبح الحيوان، وهى تذوب فى الكحول، قابلة للاشتعال، رائحتها نفاذة وغير مقبولة. طعمها مر، تسيح بالحرارة، وتعتبر أكثر المصادر الحيوانية فى صناعة العطر[1].

ويغلب أن يكون لهذه الغدد صلة بالوظيفة الجنسية، إذ أن رائحتها القوية وسيلة جذب الأنثى ودعوتها للسفاد[2].

و– بمناسبة وصفه للفيل فى الهند وخصائصه، تفرد المسعودى بذكر نوع من الطيب عجيب، يخرج من جباه ذكور الفيلة ورؤوسها من العرق، بأرض الهند، فى فصل معين من السنة، فيؤخذ ويجعل على بعض الأدهان الطيبة فيكون أغلى طيبها والمستطرف عندها، والذى تستعمله ملوكها وخواصها لضروب من المنافع منها: طيب الرائحة والتجمر الذى فاق على سائر الطيب عندهم، وأضاف فى خواصه أنه مما يؤثر فى الإنسان عند شمه أياه واستعماله من ظهور الشبق فى الرجال والنساء. للباه والاغتلام والطرب والنشاط والأريحية، وكثير من فتاك الهند وشجعانهم يستعمل هذا الدهن عن اللقاء والحرب، لأن ذلك عندهم مما يشجع القلب، ويقوى النفس، ويبعثها على الإقدام وعندما يظهر هذا العرق فى جباه الفيلة فى ذلك الفصل فى حال اغتلامها وهيجانها،

---

(١) أحمد الشحات، سحر العطور، ص ٩٥، ٩٨، أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ٥٨، ٥٩، محمد فهمى الفولى، العطور، ص ٧٨، ٨١.

(٢) العلم للجميع، جـ٢ ص ٨٨، دائرة معارف الشعب، جـ١ ص ٥٢٠.

هـرب منها سواسها ورعاتها، فلا تفرق بين من تعرف وغيره. ويسلك الفيل سلك الأودية والجـبال والغـياض، وند عن بلده، وغاب عن وطنه، وللهند خطب طويل فى ظهور هذا النوع من الطيب فى هذه الحالة من الفيلة[1].

ز- وجديـر بالذكـر أن حشـرة صمغ اللك ***Lac Insect*** التابعة لرتبة نصفية الأجنحة ***Hemiptera*** والعائلـة ***Coccidae*** تمـتص العصـير النباتـى ثـم تقـوم بـتحويله إلى مـواد راتينجـية تغطـى الحشرات وكذلك فروع النبات، وهذه المواد هى الجملكة الذى يستخدم فى التلميع والطلاء[2].

♠ ثالثاً: الطيب التخليقى.

نـتجاوز القـول، بـتحديد أصـل ثالـث للطـيب، وهو التخليق، لكن الأمر لا يعدو أن يكـون إلا مجـرد تقلـيد للأصـليين النباتـى والحيوانـى، ومحاولـة لتركيب المكونات التى يحتوى عليها الأصل النباتى أو الحيواني فى العمل، وأبدا لن يكون المقلد كالأصيل الذى أبدعه الخالق العظيم المبدع الحكيم، فمن المعروف أن تحضير الزيت العطرى فى المعمل، يـتم بـأن نحصـل علـى الـزيت الطبيعـى بصـورة نقية جدا أولا، ثم يحلل لمعرفة العنصر الفعـال الـذى تعـزى إلـيه الـرائحة الطيـبة العطـرة، ثـم تحـدد باقـى العناصر ونسبها، وعلاقتها ببعضها البعض، ثم يبدأ فى تقليدها.

---

(١) المسعودى، مروج الذهب، جـ٢ ص ٢٩.

(٢) د. هيكل ، د. عمر – النباتات العطرية والطبية – ص ٤٤٩.

الفصل الثاني

تصنيع الطيب ومركباته

كيمياء الروائح العطرية

امتد علم الكيمياء بقسيمه : عضوية وغير عضوية إلى فروع متعددة، شملت كل شئون الحياة، كيمياء الأغذية (المأكولات والمشروبات)، كيمياء العقاقير (الأدوية الطبية)، كيمياء الأراضى (التربة الزراعية) .... الخ، ثم وصلت إلى الفرع الذى يبحث فى المركبات الكيمائية للعطور، ويسمى كيمياء الروائح العطرية، والذى يعرض الأسس التى تقوم عليها عملية التحضير وتجميع المفردات حتى أصبح من الميسور الآن تقليد أى زيت عطرى كيميائيا فى المعمل.

ومن الجدير بالذكر أن الروائح العطرية المحضرة كيميائيا، أصلها مواد أولية موجودة فى الطبيعة فى صورة غير تامة، خلافا للزيوت النباتية التى تكون فى صورة تامة فى أنواع النباتات العطرية التى تستخلصها فمثلا مادة الفانيليا الشهيرة فى عالم العطور، تحضر فى المعمل كيميائيا لتحل محل الجوهر الفعال (فانيلين) الموجود فى حبوب نبات الونيلة المسمى خروب أمريكا العطرى.

غالى الثمن، كما اكتشف العملاء أن زيت القرنفل يحتوى على مادة اسمها "البوجينول"، وبعد استخراجها عوملت بالصودا الكاوية، فتحولت إلى "ايزوجينول"، ومنها استخرجت بللورات ذات رائحة تشبه الجوهر الفعال فى حبوب الونيلة، وسميت بـ " الفانيلين" أو " الفانيليا"[1].

ومنذ عصر قدماء المصريين، استمر الحال على استخلاص الزيوت من النباتات العطرية، وإفرازات الأشجار، وكذلك الحيوان، حتى مطلع القرن التاسع عشر، بدأت جهود العلماء فى معاملهم لتقليد الطبيعة:

١- ففى ١٨٢٨م نجح الألمانى (فردريك فوهلر) فى تحضير مادة البولينا فى معمله، وهى المادة التى يفرزها الإنسان والحيوان فى بوله، وكانت ذلك فتحا وبداية

---

(١) أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ١٠١.

لعلـم جديـد هـو " الكيمـياء العضـوية"، وكان الاعتقاد السائد أن المواد فى جسم الإنسان والحـيوان والنـبات، إنمـا وجـدت بتأثير قوة خفية سموها " القوة الحيوية"، ولكن قيام فوهلر بتحضير البولينا من تفاعل كبريتات النشادر مع سيانات البوتاسيوم، ودون حاجة إلى كلية إنسان أو كلب على حد تعبير فوهلر، قضى على هذه الفكرة الخاطئة.

٢- وكانـت أول مـادة عطـرية أمكـن تحضـيرها هى " النيترويتزين" من حامض النـيتريك والبتـزين، ولهذه المادة رائحة تشبه زيت اللوز المر، ولكن أقل جودة، وسامة، ويمتصـها الجلـد بسرعة، ولذلك عدل عن استعمالها فى العطور، ولكنها تذكر كأول مادة عطرية حضرت بالمعمل[1].

٣- استطاع الانجليـزى " وليم هنرى يركن" تحضير مادة " الكومارين" معمليا، وهى إحدى المواد الموجودة فى زيت اللاوندة.

٤- وفـى عام ١٨٧٦م استطاع الأستاذ فرديناند تايمان بجامعة برلين، ان يحضر الفانـيلين صـناعيا مـن خشـب الصـنبور، وحضـره غيره من مادة "اللجنين" المتخلفة عن صـناعة الـورق، كمـا اسـتطاع " تايمـان" بعـد ذلك فصل العنصر الفعال الذى تعزى إليه رائحة البنفسج والسوسن المتقاربتين لبعضهما، واسماه "ايرول"، وكان لذلك قصة طريفة: عـند محاولـة "تايمـان" تحضـير هـذه المـادة، أخطـأ — للأسـف أو لحسـن الحظ — فى محاولـته، إذ ظـن أنـه بخلـط الستـرال والآسيتون سيحصل على مركب له هذه الرائحة، ولكـن المـركب الـناتج مـن الـتفاعل، أخلـف ظنه، ولم يكن هو المطلوب، فأعطى الكأس لعامل المعمل لينظفها، فجاء العامل — لحسن الحظ — بأحد الأحماض المعدنية، وسكبه من الكأس ليستعين به على التنظيف، وسرعان ما انبعثت فى الحال رائحة البنفسج!!

٥- واتجه الكيميائيون لتحضير المسك صناعيا:

ففـى عـام ١٨٨١م حصـل " فرنـر كلبيه" على مادة كيميائية لها رائحة تشبه المسك، وذلك بمعالجة البنزين ببعض المركبات الآزوتية.

وفـى ١٨٨٨م سجل " ألـبرت بـاور" طـريقة تحضيره لمركب جديد اسماه " تونكيل" يشبه المسك فى رائحته.

---

(١) أحمد الشحات، سحر العطور، ص ١٠٢.

٦- أمكن تحضير مادة " خلات البنزيل" فى المعمل، فوجد لها رائحة الياسمين، وأصبحت بديلا لها[١].

٧- وحضر الكيميائيون مادة تشبه العنبر من صمغ القستوس، وذلك بتنقيته ومعالجته بطرق خاصة وأسموا هذه المادة الجديدة (العنبرين) نسبة إلى العنبر، وتستعمل كمثبت للروائح العطرية[٢].

وتوسع العلماء كل يوم فى تقليد المزيد من الروائح العطرية الطبيعية، نباتية، وحيوانية فى المعمل، وهذه العطور المقلدة صناعيا فى المعمل وإن كانت تعطى صورة قريبة الشبه من الأصل إلى حد ما، لكنها لا تطابقه تماما مهما بلغ التركيب من فنون البراعة والاتقان، فشتان بين الصانعين ولهذا يرى خبراء صناعة العطور، إنه من الضرورى لتقريب مدى الاختلاف بين الروائح الكيميائية المقلدة والطبيعية، ان تدعم المركبات المقلدة دائما، بما لا يقل عن ١٪ من الزيوت الطبيعية المشابهة[٣].

بدائل المواد العطرية

قد يضطر صانع العطور أن يستبدل مادة أو أكثر بمادة أخرى عند تحضير العطر بسبب غلاء ثمنها أو تعذر الحصول عليها ومن الطبيعى أن المادة الغالب وجودها فى أى مركب عطرى ممكن أن تحل محله، وعملية استخدام البديل تغير من صفات العطر، وتقلل من قيمته، ولذلك يجب عدم اللجوء إليها الا عند الضرورة، وفق الجدول التالى[١].

---

(١) أحمد الشحات، سحر العطور، ص ١٠٦.

(٢) أحمد الشحات، المرجع السابق، ص ٧٨.

(٣) أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ٧٠.

(٤) أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ١٩٤.

م	المادة	البديل
١	المسك الطبيعى	المكون، المسك امبريت، والمسك كيتون، والمسك اكسلين، وزيت حب المسك .
٢	العنبر	محلول اللبان، الدهيد العنبر (ميثيل نوتيل اسيتالدهيد) مخففا بالكحول او بنزوات البنزيل
٣	الزباد	السيفيتول، اسيد فينيل اسيتيك
٤	الكاستوريوم	بلسم طولو، مثبت الكاستوريوم
٥	زيت الورد الطبيعى	الرودينول، الجيرايـنول، الستراناللول، عطر الجيرانيوم
٦	البنفسج	اليونون الفا أو بيتا، الميثيل يونون
٧	الفانيلا	الا يثيل فانيلين (كاترو فانيل)
٨	الليلاك	التربينول
٩	زهر القرنفل	اليوجينول، الكارنيشون، زيت الكمون
١٠	النيرولى	البيتيت جرين، الميثيل أنترانيليت
١١	الياسمين	أسيتاب البنزيل
١٢	البرجمون	أسيتات اللينااليل
١٣	الليمون	زيت حشيشة الليمون، زيت الليم
١٤	اليوسفى	بنتا نفتول اثير
١٥٤	الهليوتروب	مادة الهليوتروبين
١٦	الجاردينيا	أسيتات الأسيترول
١٧	النرجس	التربنيول
١٨	اللاونده	زيت المريميه (ساج)
١٩	الزمبق	الجيرانيول
٢٠	الباسنت	سيناميك الكحول، التربنيول

وتنحصر الأصول التى تتركب منها المواد الكيمائية، والتى تستعمل فى تحضير العطر المقلد في المعمل، في ثلاثة عشر قسما، يبينها الجدول التالى:[1]

م	مكوناته	نتائجه من المواد العطرية
١- أيدروكربونية	كربون + ايدروجين	الليمونين، الكامفين، السيمول، الاستيرول
٢- كحولية	كربون + ايدروجين+ اكسجين	اليترول، الجيرانيول، الترونول، الليناتول
٣- الدهيدات	كحولات مؤكسدة	الفانيلين، السينامين، الهليوتروبين
٤- كيتونات	اسين كحول + اس كيماوى غير مشبع	الجاسمون، اليونون، الفينون، الكارفون
٥- استرات	اس كحول + اس حمضى	اسيتات الليناليل، بنزوات البنزيل، بيوتيرات الميثيل
٦- أسيتالات	كحولات+ الدهيدات	ميثيل فينيل جليكول
٧- لاكتونات	تقطير حامض اللبنيك	كومارين، ايثيل الكومارين، ميثيل الكومارين
٨- فينولات	واثيرات الفينولات المشتقة منها	يوجينول، ايزوجينول، اسيتو جينول
٩- نيتريكية	أزوت+ أيدروجين+ اكسجين	مسك امبريت، مسك كيتون، مسك اكسلين
١٠- نيتروجينية	نيتروجين آزرتى	اندول، اسكاتول
١١- أكسيدات	مواد متحدة مع الاكسجين	يوكالبتول
١٢- حمضية	مواد ذات خواص مضادة للقلويات	حمض البنزويك، حمض الأنيسك، حمض الفنيل استيك
١٣- إثيرات	كربون+ ايدروجين+ اكسجين	اثير الاسيتيك، اثير اليثيليك

---

(١) أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ٦٦، د. هيكل، د. عبد الله عمر – النباتات الطبية والعطرية – ص ٢٠٠.

مركبات الطيب والعطر

تتعدد مركبات الطيب باسماء اصطلاحية كثيرة، لعل أكثرها ذيوعا على الألسنة الاسانس، وماء الكولونيا، التواليت، والخلاصات والمثبتات، إلى جانب البخور والأكياس المعطرة، وحبيبات تعطير الفم، ومستحضرات الزينة والتجميل، ومعاجين الأسنان ويمكن التعرف على خواصها من خلال تقسيمها على أساس الاغراض المستعملة من أجلها.

أ- مركبات سائلة

وتمزج فيها الزيوت العطرية بنسبة خاصة، ثم يضاف إليها الكحول، فتزداد أرجا وطيبا بمضى الوقت، بزيادة فترة التخمر، ثم ترشح وتعبأ.

(١) روح العطر

ويعنى الجوهر الفعال فى المحلول العطرى، وإما أن يكون زيتا مفردا خاصا بزهرة واحدة فيسمى اسنس الزهرة أو روحها، وإما أن يكون مجموعة زيوت مشتركة من عدة اسنسات تعطى رائحة مميزة فتسمى باقة او بوكية.

وقد تعددت جهود الإنسان للحصول على حاجته من الطيب من مختلف مصادره:

فمن النباتات العطرية: الأزهار والأوراق والغصون والثمار والبذور والجذور، حصل على الزيوت العطرية، والمواد طيبة الرائحة.

ومن الحيوانات البرية والبحرية: الغزلان والحيتان، والسناسير والجرذان، حصل على الأصول العطرية التى تستخدم فى تثبيت العطور الأخف.

ومن الأساسيات الكيميائية: الهيدروجين والأكسجين والكربون والآزوت، ومشتقاتها من الكحولات والاسترات والكيتونات والالدهيدات، حصل - بالتأليف بينها - على عطور صناعية مقلدة للعطور الطبيعية فى المعمل والمصنع.

وبالجمع بين المصدر الطبيعى (نباتى أو حيوانى) والكيمائى، تمكن الصانع من ابتكار مركبات عطرية رائعة الجمال، اسمها (البوكيهات) الباقات، وتتم عملية الجمع على أساس الفن الرفيع والذوق السليم والمهارة الفائقة، والخبرة التامة بطبيعة الزيوت قوة وضعفا، ويشبه ذلك إلى حد كبير، عزف القطعة الموسيقية بمجموعة مختلفة من الآلآت، فأنين الكمان يختلف عن حنة الناى، وصوت العود يختلف عن صوت القانون، ولكن الكل معا، يخرج نغما رفيعا، ولحنا منسجما، تطرب له النفس،فيأخذ بمجامع القلب[1]

---

(١) أحمد عطيه غراب – صناعة الروائح العطرية، ص ٧٦.

(٢) ماء العطر

وهى ما يعرف بماء التواليت، أو اللوسيون، أو الغسول، وقد عرفت المياه المعطرة منذ أيام ثيوفراستوس، وكان يعتقد أن لها خواصا طبية، وتستخدم لتعطير الجسم عقب الحمام بعد غسيل الوجه واليدين والملابس، والمكون الأساسى هو نواتج تقطير أو عصر ثمار أو بذور البرتقال مع الكحول المخفف، ودون استخدام اية خلاصات زهرية، وعليه فإن ماء التواليت يتكون من ٥٪ من روح العطر (الأسنس) أو (البوكية)، ٨٥٪ كحول، ١٠ — ١٥٪ ماء، فيذاب الاسنس فى الكحول ويترك لمدة أسبوعين للتخمر، ثم يضاف الماء، ويرج السائل جيدا، ثم يرشح وتعبأ للاستعمال.

ويلاحظ أن زيوت الموالح: زيت البرتقال، والليمون، والنارنج، والنيرولى، والبرجمون، تلعب دورا مهماً فى ماء العطر، وتعطى أحسن التأثيرات، فإذا أضيف إلى المحلول القليل من زيوت الازهار، تطيب رائحة العطر[1].

وقد أشار كثير من الجغرافيين العرب منهم الادريس، والاصطخرى إلى ماء الورد الجورى الذى ينسب إلى مدينة جور والتى بناها اردشير، وهو بالغ فى الطيب والصفاء، وعبق الرائحة، وقلة التغيير فى المدة الكبيرة، وينقل ماء الورد منها إلى البحر فيفرق فى الحجاز واليمن والشام ومصر والمغرب وخورستان وخراسان، وغير ماء الورد، ماء الطلع وماء القيصوم وماء الزعفران، وماء السوسن وماء الخلاف[2].

ومن أصناف ماء العطر أو ماء التواليت: ماء العسل، وماء اللافندر، وماء هنغاريا، وماء فلوريدا، إلا اشهرها هو: ماء كولونيا المعروف عالميا، ويلقى القبول والتفضيل من كل الناس، أما الأصناف الأخرى، فيتركز استعمالها فى بلاد انتاجها مثل ماء اللافندر فى بريطانيا، وماء فلوريدا فى الولايات المتحدة .

---

(١) أحمد عطية غراب – صناعة الروائح العطرية ، ص ٧٨.

(٢) الادريس، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، جـ١ ص٤٠٦، الاصطخرى، المالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحينى، وزارة الثقافة والارشاد القومى، مصر ١٩٦١، ص ١٥٣.

ماء كولونيا

وقد تعددت الروايات فى أصل ماء **كولونيا**، منها أنها اخترعت فى ايطاليا فى مدينة ميلانو على يد (بول فيمنيس) ثم انتجها فى كولون ١٦٩٠-م، واعطى هذا الرجل لابن اخته (جين انطوان فارينا) معادلة تركيب العطر حيث قام بانتاجها فى باريس ١٨٠٦م، واستمرت منذ ذلك الحين.

ورواية أخرى ربما تكون الأصح، أن فارينا كان المخترع الأصلى وقد ولد فى ايطاليا فى سانتا ماريا ماجيورى، فى وادى فيجيزا، حى دوموا وسولا، ثم هاجر إلى كولون بالمانيا فى ١٨٦٣م، وغير اسمه إلى جاهان، وعندما ازدهرت هذه الصناعة وتوسعت، شاركه أخوه (جون بايتست) وأولاده، ثم جاء أحد الاحفاد وسمى هذا العطر **"ماء كولون"** نسبة إلى المدينة التى عمل فيها الجد، واستخدم كل بيت فى كولون طريقة فارينا، وطور التركيب بما يناسب كل مزاج، ولكن ظل الاسم إلى اليوم مع تحويره إلى **"ماء الكولونيا"**.

إن نقاء مصدر الكحول كمذيب للزيوت العطرية، يعمل على إظهار جوهر رائحة العطر ولاسيما كحول البطاطس أو الكحول المستخرج من الحبوب[1].

ويتركب **ماء الكولونيا** من أقل نسبة من الأسنس أو البوكية فى حدود ٢,٥٪، ٩٠ - ٩٠٪ كحول، ١٠ - ٤٠٪ ماء، ويحضر من الزيوت المستخدمة من اجزاء النباتات (عدا الأزهار)، والأرخص سعرا، وتزاد قيمة ماء الكولونيا كلما زاد معدل الكحول فيه، وجاد صنف الزيت العطرى.

(٣) خلاصة العطر

والخلاصة العطرية المعروفة اكسترية، وتحضر من الزيت العطرى بنسبة عالية التركيز، فى حدود ١٠٠٪، من أسنس مجموعات زيوت الأزهار(البوكيهات)، ولا يحضر من زيت الزهرة المفردة، لأنه لا يتفق مع خصائصه وظروفه التجارية، حيث إن للاكستريه، صفات تختلف عن المحاليل الأخرى باعتباره خلاصة عطرية ممتازة، ويضاف ٨٠٪ كحول، ١٠٪ ماء، ويراعى ألا تقل مدة التخمير عن شهر بعد إضافة الكحول للاسنس، ثم اسبوع بعد إضافة الماء، ثم يرشح ويعبأ[2].

---

(١) احمد الشحات، سحر العطور، ص ١١٠.

(٢) أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ٨٠.

(٤) المثبت

لما كانت الزيوت العطرية طيارة بطبيعتها، فأنها تحتاج دائما إلى مواد مثبتة، تبقى تأثيرها لأطول مدة ممكنة، وتعتبر إضافتها من الأمور الضرورية لكل رائحة جيدة، وحتى لا تتبخر سريعا عند الاستعمال، والمثبتات إما حيوانية أو نباتية أو كيمائية، وأفضلها الحيوانية.

* المثبتات الحيوانية

واحسن أنواعها **مسك الغزال** ويضاف للمحاليل العطرية بنسبة ٥ - ١٠٪ ويصلح لجميع العطور، ويحل محله، زيت حب المسك النباتى، أو أحد أنواع المسك المقلد فى المعمل مثل المسك امبريت، ومسك اكسلين، ومسك كيتون.

والعنبر من أجود المثبتات، ويضاف بنسبة ٥ - ١٥٪ ويحل محل العنبر، خلاصة اللبان لقرب رائحة هذه المادة من رائحة العنبر، وكذلك الألدهيد (١٢) المسمى ألدهيد العنبر، وكلاهما يضاف للمحاليل العطرية الرخيصة.

والزباد من المثبتات الجيدة، ورائحته كريهة، لكنها تطيب عند التخفيف (وهذه ظاهرة معروفة عند الكيميائيين تلاحظ فى المسك المركز له رائحة لا تحمد، فإذا خفف طاب وأمتع، وكذلك رائحة الأندول أحد العناصر الموجودة فى الياسمين والورد فى حالة التركيز تذكر برائحة البراز، وفى حالة التخفيف تذكر برائحة زهرية مثيرة، والأحماض المركزة رائحتها غير طيبة، وابخرتها تخدش الحلق، أما المخفف منها فرائحته مقبولة، والكلورفورم المركز والاثير واليوروفورم لا يقبلها المرضى، ولكنها مخففة مقبولة على البعد)[1] ومن المثبتات أيضا الكاستوريوم ومسك الفأر، ويحضر المثبت بنقع المادة فى الكحول بنسبة ٣٪ لمدة شهر، ثم يرشح بورق الترشيح، ومع ملاحظة أن مسك الفأر لا يذوب إلا فى أثير البنزول[2].

---

(١) محمد فهمى الفولى، العطور، ص ٣٥، ٥٨، ٧٧.

(٢) أحمد عطية غراب، المرجع السابق، ص ٨٢.

والمثبتات النباتية

ومنها زيت حب المسك، وزيت سنبل اللاوند والبلاسم (بيرطولو) والجاوى واللادن والمر وزيت الصندل، وزيت الفانيليا والميعة، وزيت الحلبة، والبتشولى، والفيتيفرت.

وتضاف إلى المحاليل بنسب تتراوح ٢ - ٢٠٪، مع اعتبار ملاءمة كل نوع من هذه المثبتات لأنواع العطور من المحاليل العطرية[١].

والمثبتات الكيمائية

وتتعدد هذه المثبتات على شكل سائل أو بالورات، ولكن جميعها ذات روائح عطرية، وتضاف للمحاليل العطرية بنسب تحدد فى التركيبات التى تدخل فيها، دون تقيد بمقادير معينة كما هو فى المثبتات النباتية والحيوانية، ومنها: بالورات الفانيلين، المسك اميريت واكسلين وكيتون، هيدروكسى سترونلال بنزيل الايز وجينول، الكومارين، الاندول[٢].

ب- مركبات جافة

ومن مركبات الطيب الجافة، البخور ذو الرائحة العطرية المنعشة، والتى تنبعث من حرق العود الهندى والصندل واللبان وغيرها، وقد عرفته الحضارات الإنسانية منذ القدم، وخاصة فى المناسبات الدينية، والشعائر الروحية عند مختلف الأديان، وقد فصلنا القول فى هذا الموضوع عند الحديث عن دور الطيب فى العقائد والعادات فى الباب الأول.

ويعرض البخور فى الأسواق، على شكل أعشاب أو مسحوق (بودرة) أو عيدان نباتية مكسوة بطلاء من البخور المركب من الزيوت العطرية والمزوجة بتراب الفحم ومحلول الصمغ، كى تثبت على العود وتظل مشتعلة لأطول مدة، وعند تحضيرها تترك لتجف ثم تحفظ بإحكام فى لفائف من الورق المشمع لوقاية الرائحة من التبخر[٣].

ونشير هنا إلى ما كتبه الصحفى صلاح منتصر فى أن البخور أغلى من الذهب، حيث إن البخور الغالى هو قطع رقيقة من الأخشاب السوداء، تباع بالأوقية والجرام، فإذا كان جرام الذهب عيار ٢٤ فى حدود ٣٨ جم (وقت كتابة خواطره) ، فإن الجرام من بعض

---

(١) أحمد عطية غراب، صناعة الروائح العطرية، ص ٨٣.

(٢) أحمد عطية غراب، المرجع السابق، ص ٨٨.

(٣) أحمد عطية غراب، المرجع السابق، ص ١٩٢.

أنواع البخور ثمنه ٤٠ جم، وهناك أنواع رخيصة فى حدود ٢٠ جم[1]، ودعا ألا نستهتر بالبخور وبالمحال التى تبيعه، فقد تبين ارتفاع سعره عن الذهب!.

جـ- مركبات الزينة ومستحضرات التجميل

يرتبط فن حفظ الجمال والتجميل بالتطيب والتعطر، من أجل أن يظهر الإنسان حسن الهندام وطيب الرائحة، ويتصف بالنظافة والرشاقة والأناقة، وقد فصلنا القول فى الفصل الأول عندما عرضنا للفطرة الإنسانية، وقد جعل الخلق على حب الطيب والروائح الطيبة كذلك دور الطيب فى الحياة الاجتماعية فيما يختص بزينة المرأة والرجل.

ويمكن تقسيم هذه المركبات إلى:

١- مركبات العناية بالبشرة

ومنها: الدهن(الكريم)، والمسحوق (البودرة)، الكحل، وأحمر الشفاه، وأسود الحواجب.

٢- مركبات العناية بالشعر

ومنها: دهان الشعر (البرليانتين)، صبغة الشعر

٣- مركبات العناية بالفم والأسنان

ومنها: المساحيق والمعاجين، وحبيبات تعطير الفم.

د- مركبات منوعة

مزيل الشعر

مضاد رائحة العرق

معطر الجو

منظف الملابس والأوانى

مواد امتصاص الروائح الكريهة

طلاء الأظافر[2]

---

(١) جريدة الأهرام، ٣٣ / ٤/ ١٩٩١.

(٢) أحمد عطية غراب، صناعة الرواح العطرية، ص ٢٠٦، ٢١٦.

الفصل الثالث

موطن الطيب وتجارته

توطنت الأطياب والعطور مناطق الهند والسند والصين، وتركز الانتاج فى ذلك الاقليم الموسمى الذى اختص بمميزات مناخية، عملت على تنوع الزروع حيث ينبت فيه: شجر العود والصندل والكافور، وكذا الفلف والقرنفل والسنبل والدار صينى، وغير ذلك من النباتات من المواد والخامات، كما يعيش فى هذه المناطق حيوان المسك. وحيوان الزباد ومن ناحية أخرى يلاحظ أن العنبر يوجد على ساحل القرن الأفريقى والساحل العربى وينمو شجر اللبان (البخور) فى حضرموت[1].

ولما كانت هذه المناطق جميعا تطل على مياه المحيط الهندى الذى يعتبر من أهم وأخطر مناطق العالم الاستراتيجية منذ القدم وحتى اليوم، فقد أفادت شبه الجزيرة العربية من موقعها الجغرافى فى المكان الوسط بين المناطق المناخية والنباتية فى العالم القديم، فإلى شرقها يقع الاقليم الموسمى الغنى بانتاجه الزراعى، وإلى غربها وشمالها يقع إقليم البحر المتوسط وما وراءه بلونه الخاص من الانتاج المختلف، فالصحراء العربية تقع على أقصر الطرق بين أغنى أقاليم العالم القديم، مما يؤدى إلى التبادل التجارى، ومن ناحية أخرى فإن البدوى يملك وسيلة المواصلات الوحيدة الملائمة للصحراء وهى الجمل وخاصة المهرى – حيث تكون القوافل[2].

وهكذا تكاملت الأطراف لإنشاء تجارة رابحة بين الاقليم الموسمى، وبلاد الهلال الخصيب من ناحية، وبين جنوب غرب شبة الجزيرة العربية وجنوبها ومصر ودول شرق البحر المتوسط من ناحية أخرى أى وجدت مناطق الانتاج وأسواق الاستهلاك، وقام العرب وإبلهم فيما بينهما وسطاء التجارة، ونشأت الطرق والدروب الصحراوية لتسلكها القوافل إلى الشمال. عبر مكة ويثرب حتى الساحل الشرقى للبحر المتوسط، وحول خليج العقبة إلى مصر، وكانت موانئ الخليج الإسلامى مركز الاشعاع الثانى للطرق والدروب الصحراوية، فمنه تخرج الطرق إلى غرب شبه الجزيرة العربية، وإلى جنوبها وشمالها[3].

---

(١) د. شوقى عبد القوى عثمان، تجارة المحيط الهندى، عالم المعرفة، الكويت، يوليو ١٩٩٠ ص ٢١٨.

(٢) د. محمد بيومى مهران، تاريخ العرب القديم، ص١٣٣. نقلا عن د. جمال حمدان، أنماط من البيئات ص ٩٩

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٤ نقلا عن د. محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب جـ٣، جـ٤، ص ٤٣ – ٥٢.

وكان العرب هم الرواد الأوائل الذين قادوا حركة الملاحة عبر المحيط الهندى، رغم الصعاب والأهوال التى إكتنفت الرحلات التجارية من هبات الريح وغزوات القراصنة، وعدت اليمن فى أقصى الجنوب الغربى لشبه الجزيرة العربية على البحر الأحمر، وعمان فى أقصى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة العربية على الخليج الإسلامى، مهدا لحركة ملاحية دائمة بين الشرق والغرب، وركيزة من ركائز الاتصال التجارى بينهما عبر القرون الأولى، بل كان لها (اليمن وعمان) المركز التجارى الأقوى دون غيرهما[1].

وتجود زراعة النباتات العطرية فى بعض مناطق العالم ومن هذه المناطق:

١- شبه القارة الهندية، جنوب شرق آسيا، جزر المحيط الهادى

٢- فارس، بلاد ما بين النهرين (العراق)

٣- الساحل العربى (جنوب شبه الجزيرة العربية) الخليج الإسلامى (العربى الفارسى)

٤- حوض البحر الأبيض المتوسط، جنوب أوروبا.

٥- المكسيك. وبعض بلاد أمريكا اللاتينية.

جدير بالذكر فى هذا الصدد أن نشير إلى وجود النباتات العطرية فى الوطن العربى، حيث تمثل ثروة تغطى وجه الأرض العربية من المحيط إلى الخليج.

وإذا أمعنا النظر فى النباتات العطرية التى تنمو فى المنطقة العربية نجد أنها تمثل ثلاثة أنواع من البيئات النباتية:

١- البيئة النباتية لحوض البحر الأبيض المتوسط

٢- البيئة النباتية الاستوائية

٣- البيئة النباتية للمنطقة الحارة

ويمكن حصر النباتات العطرية فى الوطن العربى كالآتى:

١- لبنان: القيصوم والشيح والشمر والكزبرة والبردقوش والبابونج والزعفران والمصطكى

٢- سوريا: ينسون، كراوية، كمون، شمر، كزبرة، ورد دمشقى، لوز مر، نعناع، حصا لبان حبهان، صمغ الكثيراء.

٣- العراق: الحنظل، الصعتر، البابونج

---

(١) د. علـى حسين السليمان الناصر، النشاط التجارى فى شبة الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الأولى.

٤- تونس والجزائر والمغرب: الياسمين، البردقوش، الشبت، الشمر، الكمون، الكزبرة، الكرفس، القيصوم، البقدونس، الحنظل، البعثيرات، البابونج، الشيح، حصا لبان، النعناع، الصعتر، حبة البركة، المصطكى.

٥- مصر: ينسون، كراوية، شمر، كمون، كزبرة، نعناع، حصا لبان، حنظل، بابونج، الشيح، الريحان، الياسمين[١].

دور اليمن خاصة

اضطلع اليمنيون بمهمة الوصل بين طرفى العالم الشرقى والغربى ووزعوا منتجاتهم التى تفردوا بها وخاصة البخور على كل أقطار العالم القديم (مصر والعراق وسوريا) وآسيا الصغرى، واليونان وايطاليا وغيرها) حيث نقلوها عن طريق البحر الحمر بالسفن أو بطريق الحجاز بالقوافل، وقد أطلق على الطريق الذى كان يمتد: من (قنى إلى ظفار من (مهرة)، وشبه فى (حضرموت)، وتمنع فى (قتبان)، ومأرب فى (سبأ) ثم الجوف فى (معين) أطلق عليه (طريق البخور)، فكان يخترق الممالك العظيمة القائمة فى ذلك الحين[٢]، واستحق اليمنيون من قديم الزمان بأنهم تجار العرب ورواد السفر والاغتراب.

وعن حضاراتهم وردت إشارات كثيرة فى العهد القديم، ففى سفر إرميا أن (شبا) كانت ترسل اللبان إلى إسرائيل: " لماذا يأتى اللبان من شبا، وقصب الذيرة من أرض بعيدة"[٣].

كما ورد فى سفر حزقيال أن العرب كانوا يتاجرون فى الطيب وأنواع التجارة النفيسة، تجار شبا ورعية هم تجار بأفخر أنواع الأطياب. وبكل حجر كريم، والذهب أقاموا أسواقك"[٤].

وكانت هدية بلقيس ملكة سبأ إلى سليمان ملك العبرانيين إلى أورشليم موكبا عظيما من الجمال المحملة بالأطياب والذهب والأحجار الكريمة، وعبارة التوراة (لم يأت بعد مثل ذلك الطيب والكثرة)[٥]. وكان من بين هذا الطيب بالطبع بخور اليمن.

---

(١) مقال للدكتور رياض العلمى فى مجلة الكويت – العدد ٣ – ديسمبر ١٩٨٠ – ص ٤٨.

(٢) نقولا زيادة – الجغرافيا والرحلات عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠ ص ٢٠٢.

(٣) سفر إرميا ٦: ٢٠.

(٤) سفر حزقيال ٢٧: ٢٢.

(٥) سفر الملوك ١٠: ٢، ١٠.

وفـى مـثل هـذا الإشـارات دليل على صلة العبرانيين والسبأيين، وأن الاخيرين كانوا يذهـبون إلى فلسـطين يحملـون الـذهب والأحجار الكريمة والطيب واللبان يتبعها قوافلهم فى أسواقها، ثم تعود بما تحتاجه من حاصلات بلاد الشام ومصر وفلسطين[1].

وفـى عصـر الـبطالمة وجـد الاثريون تابوتا مصريا عليه كتابة معينة، وبداخل التابوت جـثة تاجـر عربـى جنوبـى مقيم فى مصر، وكان يتاجر بالمواد المتصلة بالمعابد والكهنوت كما كان يستورد فى وطنه الأصلى (ويب) العطور والبخور، ويصدر إليها الاقمشة[2].

وعـندما زار الـراهب بـرثولوميوس جزيـرة العـرب؟، وهو الجزء الواقع أقصى جنوبها تكسـوه غابـات البخور وعبر عن نفسه بقوله " وأشجارها ليست من أشجار الدنيا، وإنما هـى أشـجار قدسـية علـوية، وكأنما الطبيعة قد حشدت فى هذه الرقعة من الأرض أروع العطور شذى، وأعظمها أرجا، وأكثرها حلاوة، وأسرعها فى شفاء الناس[3].

كمـا ورد فـى كـتابات الـمؤرخين سترابو وبلينى أخبار عن مملكة بلاد اللبان، والميناء المخصـص لتصـديره، وقصـد بـذلك مملكة حضرموت وميناؤه ظفار، وذكر عنـها أنـها بلاد غنـية سـعيدة ذات خـيرات وثـروات[4]. ويلاحـظ ان كل ما يكتب عن تاريخ هذه المنطقة قـبل الإسـلام يعـتمد علـى اسـتنطاق الآثـار، وفك رموز الكتابات القديمة، لأنه بالدرجة الأولى تـاريخ أثـرى مصـدره الحفـريات[5]، حتـى إنـه فى عام ١٩٥٢ قامت بعثة مؤسسة الإنسـان الأمـريكية بعمـل حفـريات فـى ظفـار، فثـبت لهـا أن أرض اللبان التى وصفها المؤرخـون هـى جـزء مـن مملكـة حضرموت وكانت غنية بغابات أشجار اللبان، والتى لا تزال حتى يومنا هذا ولا سيما فى منطقة قهرة[6].

---

(١) د. جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٧ ص ٢٣٧.

(٢) د. فؤاد حسنين على، التاريخ العربى القديم، مترجم، مكتبة النهضة العربية، ص ١٣٢.

(٣) سويناهاو فى طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، ص ٩٠

* شبوة: عاصمة مملكة حضرموت، ١٠٢٠ق.م – ٦٥م، تبعد عن مأرب إلى الجنوب ٦٥ كيلو متراً

أحمد حسين شرف الدين، المدن والاماكن الأثرية، مطابع القرون التجارية ١٩٨٤ ص ٧٢ ظفار عاصمة مملكة سبأ (١١٥ق.م – ٢٧٥م) تبعد عن صنعاب ١٢٣ كيلو مترا، ص ١٢٢.

(٤) محمد عبد القادر بافقية، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة المصرية للدراسات والنشر، لبنان ١٩٨٥ ص ٤٦.

(٥) المرجع السابق، ص ١٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٤٦.

ومن كل ما سبق من إشارات العهد القديم، وكتابات المؤرخين والرجال الأثريين ودلالات — الحفريات، يمكن لنا القول بأن حضرموت وظفار كانتا معدن اللبان، ومصدر البخور الذى انتشر استعماله شرقا وغربا، وزاد الطلب عليه فى الطقوس الخاصة بكل من أصحاب الأديان والوثنيين.

العرب وتجارة الطيب

فى الحديث عن رسول الله (ﷺ) روى الطبرانى عن ابن عمر،قال: "لو أذن الله تعالى لأهل الجنة، لا تجروا فى البز والعطر"[1]، وأثر عن أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، قوله "لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر إن فاتنى ريحه لم يفتنى ريحه"[2]

وفى هدى حديث الرسول الكريم (ﷺ)، و خبر صاحبه العظيم (رضى الله عنه) نهض التجار المسلمون تأسيا واتباعا، فى هذه التجارة المعطرة والنفيسة، فانتقلوا إلى جزر الهند والصين، وباعوا واشتروا حتى يمكن القول بأن معاملاتهم الطيبة، وسلوكهم القويم وخلقهم الحسن، وفق ما تأمر به الشريعة الإسلامية، كانت من أهم الأسباب التى دفعت هذه المناطق — الذين لا يتكلمون اللغة العربية — أن يدينوا بدين الإسلام.

وكان أهل مكة أبرع التجار وأنشطهم فى الجزيرة العربية، وقد تحدث القرآن الكريم عن تجارتهم، وذكر رحلتى الشتاء والصيف فى سورة قريش، وقد توسطت الجزيرة، وقامت بمهمة نقل تجارة اليمن وجنوب الجزيرة إلى أسواق فلسطين، ثم نقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن، مما جعل قريشا أغنى العرب وصيرت مكة مركزا خطيرا من مراكز الثروة والمال فى الجزيرة العربية[3].

وكان الطيب من أهم السلع التى تكونت منها تجارة قريش، وقد اضطلع بها أشراف مكة مثل (أبى طالب)، كما كان عبد الله بن أبى ربيعة يبعث بالعطر من اليمن إلى أمه (أسماء بنت مخربة) تبيعه فى مكة[4].

ومن قبل الإسلام كان للملوك والأشراف والسادات قوافل تبيع ما تحمل وتشترى ما تحتاج إليه من عروض، وقد عرفت قوافل التجارة النفيسة من الطيب والبز والمتاع لطيمة، أما الميزة فتطلق على الحمولة مما يؤكل، وكان للنعمان بن المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة، لطيمة تحمل الطيب ويبعث بها إلى سوق عكاظ فيجيزها له سيد مصر[5].

---

(١) المناوى، مختصر شرح الجامع الصغير، جـ٢ ص ٢١٨.

(٢) ابن الجوزى، سيرة عمر بن الخطاب، ص ٢١٧.

(٣) د. جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٧ ص ٢٨٥.

(٤) المرجع السابق، جـ٧ ص ٨٠٣.

(٥) المرجع السابق، جـ٧ ص ٢٩٣– القافلة أصلها قفل والقفول هو الرجوع من السفر، وقد سميت القافلة كذلك تفاؤلا بقفولها من سفرها التى ابتدأته (ابن منظور، لسان العرب جـ ٦ ص ٣٧٠٦).

وذكـر صـاحب الأغانـى أن الاعشى مدح سلامة ذا فائش فأعطاه كرشا مدبوغة مملوءة عنـبر، فـباعها الأعشى بثلاثمائة ناقة حمراء[1]، كما ذكر " وخرج الحكم بن أبى العاص بـن أمية بن عبد شمس، ومعه عطر يريد الحيرة، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة[2].

وتتضـمن وثائـق الجينـزا[*] معلـومات وفـية وخصـبة حـول المـواد والبضـائع التى يتم تـبادلها بـين أقطار المحيط الهندى والبحر المتوسط، ومنـها القائمة التالية التى تبين عدد أصناف كل مجموعة:

١- التوابل والبهارات والأصباغ والحشائش الطيبة	٣٦ صنفا
٢- الحديد والصلب	٦
٣- أوان نحاسية وبرونزية	١٢
٤- الحرير الهندى ومنسوجات أخرى قطنية	٨
٥- الزمرد والياقوت والخرز والصدف	٤
٦- الاحذية والمصنوعات الجلدية	٢
٧- البورسلين الصينى والأوانى الحجرية الثمينة والعاج	٣
٨- الفواكه الاستوائية كجوز الهند	٥
٩- ألواح خشبية	١ بإجمالى ٧٧ صنفا

(١) الاغانى جـ٩ ص ١٢٥ طبعة دار الكتب.

(٢) الاغانى جـ ١٦ ص ٩٥ طبعة دار الكتب.

* وثائـق الجينزا مجموعة من الوثائق المهمة لدراسة التاريخ الاقتصادى والاجتماعي والثقافى لمنطقة الشرق الأدنـى فـى العصور الوسطى، وقد اكتشفت منذ قرن تقريبا، وكلمة (جينزا) عبرية مشتقة من الفارسية (جنك) بمعنـى خزانة، وقد أطلقت كلمة جينزا فى العصور الوسطى على الحجرة التى كان اليهود يخزنون فيها أوراقهم الخاصـة مـن خطابـات وعقود وايصالات، وخلافه، حتى لا تدنس كلمة (الله) التى قد تكون مكتوبة فى هذه الوثائق..

واطلق الباحثون مصطلح وثائق الجينزا القاهرية على مجموعة الوثائق التى عثر عليها فى حجرة مظلمة فى (سينا جوج) معبد اليهود فى الفسطاط، وكذلك عثر على مجموعة أخرى فى مقبرة بالبساتين، وقد تنافست دور الكتب فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية فى الحصول عليها وقد نقلب بعضها إلى مختلف انحاء العالم (د. شوقى عثمان - تجارة المحيط الهندى، ص ٦٤).

ويلاحظ من القائمة أن التوابل والبهارات والعطور، قد تصدرتها بنسبة تفوق باقى أنواع البضائع ليس فى العدد، ولكن فى القيمة أيضا، حيث يشتد الطلب عليها فى أسواق اوروبا، مع الأخذ فى الحسبان أن القائمة لا تتضمن جميع أنواع السلع مثل السيوف الهندية والنارجيل واللؤلؤ وغيرها حيث اقتصرت على التجارة العابرة للبحر المتوسط، أما الأخشاب فيظهر أنها كانت تستهلك فى مصر، لأن أوروبا غنية طبيعيا بالأخشاب[1].

---

(١) د. شوقى عثمان، تجارة المحيط الهندى، ص ٢٠٨ .

طرق التجارة الدولية

وتحركت تجارة الشرق والغرب من خلال الطرق الآتية:

طريقان بحريان من الشرق الأقصى إلى الخليج الإسلامى، والبحر الأحمر وطريق برى من وسط آسيا عبر جبال الهند وممراتها

(١) طريق الصين — الهند — الخليج الإسلامى

وهو أقدم طريق يربط بين الصين والخليج الإسلامى مارا بالهند، وعند رأس الخليج فى (البصرة) تتفرع نهرياً وبرياً إلى بغداد وعندها يتفرع فرعين شمالاً إلى ديار بكر وغرباً إلى دمشق وموانئ البحر المتوسط ثم جنوبها إلى مصر بحذاء الساحل إلى غزة، وعبر الصحراء إلى القاهرة. أو شمالا إلى حلب ثم آسيا الصغرى ليلتقى بالطرق القادمة من وسط آسيا برا ويتحد معها إلى القسطنطينية ثم اوروبا[1].

(٢) طريق الصين — الهند — البحر الأحمر

وكان يبدأ من الصين إلى ساحل الهند الغربى، فساحل عمان، ثم ساحل اليمن فالبحر الأحمر، وهنا يكون له فرعان: احدهما يتجه شمالا عبر سيناء إلى دمشق فموانئ البحر المتوسط والآخر عبر الصحراء إلى النيل ومنه إلى القاهرة فالاسكندرية إلى أوروبا.

واعترض هذا الطريق صعوبتان: سعة المساحة البحرية من الصين إلى الهند إلى البحر الأحمر، وكثرة التيارات البحرية والهوائية المتعارضة طوال العام، وكثرة الشعب المرجانية، وقد ذللت بعد نضج المعلومات الجغرافية عن الملاحة فى البحار الشرقية، وملاءمة وقت الابحار مع مواعيد هبوب الرياح الموسمية، وتجنب الشعب المرجانية والابحار بعيداً عنها وسط البحر، وخاصة بعد بناء السفن الكبيرة[2]

(٣) طريق برى من وسط آسيا ومن الهند عبر جبالها وممراتها إلى نهر الأيثل، حيث يتقابل مع القوافل الوافدة من الصين، ثم يسيران معا حتى بخارى، حيث يتفرع فرعان: الأول إلى بحر قزوين فنهر الفولجا وبلاد البلغار، والآخر يتجه إلى البحر الأسود وموانيه ثم القسطنطينية وأوروبا.

---

(١) د. نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣، ص ١١٧.

(٢) المرجع السابق، ١٢٤.

وتعددت مرات إغلاق هذا الطريق، وقفت حركة التجارة فى مدنه وموانيه، إبان غزو المغول لغرب آسيا (النصف الثانى من القرن الثالث عشر)، ثم الصراعات بين العثمانيين والتركمان والجيوب الرومانية على البحر الأسود، ثم بين الصفويين والمماليك (فى القرن السادس عشر) وكانت التجارة تسلك طريق البحر الأحمر البعيد عن الحروب والقارات[1].

وبعد الحروب الصليبية، دخلت تجارة الطيب دائرة الاهتمام مع التوابل وزاد الالحاح عليها بعد إدراك خصائصها المتنوعة، وفوائدها المختلفة، فقد أولع الناس فى دول اوروبا بالطعام المتبل والمطيب، بعد حفظه لمدة طويلة خلال فترة صيام المسيحيين فى الطقس البارد، فضلا عن دخولها فى صناعة العقاقير الطبية، وزيادة طلب المراكز الطبية والمشافى والصيدليات والعطارين لها، اضف إلى كل ذلك أن البخور كان المتطلبات الأساسية للكنائس الغربية فى طقوسهم الدينية وشعائرهم الكنسية[2].

وفى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى، حدث انقلاب اقتصادى كبير هو:

كشف طريق بحرى مباشر حول رأس الرجاء الصالح، وذلك ردا على احتكار المماليك لسلع الشرق وعلى رأسها التوابل والعطور، فقد سيرت عدة رحلات بحرية منذ ١٤٣٤م حتى ١٤٨٧م الغرض منها البحث عن طريق يوصل الغرب بالشرق دون المرور بالبحر الأحمر، فقاد (بارثلميوبان) رحلة وصلت إلى أقصى الطرف الجنوبى للقارة الأفريقية، وسمى هذه النقطة (رأس العواصف)، ولكن ملك البرتغال أعاد تسميتها (رأس الرجاء الصالح) تفاؤلا، ثم أسند الملك مانويل بعد ذلك إلى (فاسكودى جاما) قيادة أول أسطول يتجه به نحو الشرق، وهكذا كانت بداية التجارة عبر المحيطات

وقد جاء هذا التحول فى طرق التجارة العالمية نذيرا بنضوب معين التجارة فى البحر الأحمر، وشبه الجزيرة العربية، فأصبحت تجارة الهند والصين فى يد البرتغاليين، وخرجت من ايدى العرب الذين سيطروا عليها أمدا طويلا، وانتهت سيطرة المماليك على المياه الشرقية وما يحمل عليها من تجارة منذ مطلع القرن السادس عشر، مما ترك أثرا خطيرا فى أوضاع مصر وشبه الجزيرة العربية[3].

---

(١) المرجع السابق، ١٥٤.

(٢) د. شوقى عثمان، تجارة المحيط الهندى.

(٣) د. على حسين السليمان الناصر، النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية ص ٢٧٩.

وخدمت التجارة فى مختلف الطرق بعض الموانئ والثغور، والتى تعتبر رئة الحياة للدولة، والنافذة التى تطل على ماورائها من عوالم، والواجهة التى يراها الزائر، وربما لا يرى غيرها لاسيما فى العصور التى لم تعرف الطيران، وهى عصب الاتصال، ومقياس النشاط الاقتصادى[1].

واضطلعت بعض الموانئ بدور المحطات التجارية فى استقبال القوافل والسفن على امتداد الطرق التجارية والبرية والبحرية، وفى كل المناطق: فى الصين و الهند والخليج الإسلامى والساحل العربى والقرن الافريقى، والبحر الأحمر.

ونختار بعض نماذج لهذه المحطات التجارية، وخاصة تلك التى جمعت بيد الثغر والسوق بالنسبة لتجارة الطيب:

خانفو

أهم مراكز التجارة فى الصين، وتذخر أسواقها بالحرير و العود والمسك والدار صينى وخشب الصندل والكافور والخيرزان ومختلف أنواع الأفاويه، وذكر مؤرخو العرب كمرفأ للسفن، ومجتمع تجارات العرب " ولهم بها رجل مسلم يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين القاصدين تلك الناحية، وفى العيد يصلى بالمسلمين، وبالإضافة للعرب فيها جالية يهودية ونصارى ومجوس[2].

زيتون (كانتون)

من مداخل الامبراطورية البحرية، ومستقبل السفن الضخمة وبه مخازن واسعة وترسو السفن فيه وتحمل التوابل وعود الند والابنوس وخشب الصندل من الهند الصينية، والمسك من التبت، والحرير من الصين نفسها[3].

فاليقوط (كلكتا)

أبرز موانئ الساحل الغربى للهند (المالبار)، امتازت المدينة بتجارة التوابل والاحجار الكريمة الثمينة تموج بعديد من الجاليات الأجنبية من العرب والسوريين والمصريين

(١) د. شوقى عثمان، تجارة المحيط الهندى، ص ١٦٣.

(٢) د. نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الددولية ومحطاتها، ص ١٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٣.

واليمنـيين والاحـباش والـترك والعجـم والصـينيين، ومعظـم أهـالى قالـيقوط تجـار مهرة، وحوانـيت العـرب والفـرس هناك مشهورة ببيع الاحجار الكريمة واللؤلؤ والعطور والبخور والحريـر الصـينى، ويـرد للميـناء سلع أوروبا عن طريق الخليج الفارسى والبحر الأحمر، ويباع النبيذ الوارد من كريت والأصواف وغيرها فى محال خاصة[٤].

جزيرة سرنديب

أو سـيلان، والآن سرى لانكا، وسرنديب تعنى الجزيرة الذهبية فى السنكرتية، وهى مقصـد تجـار الصـين والعـرب والفـرس والهنود والشوام، وتشتـهر بزراعة القرفة، ويتاجر الأهـالى فـيها اللؤلـؤ والكافـور ومختلف أنواع الأدوية والمسك والأحجار الكريمة والياقوت والماس والأنسجة القطنية والحريرية[١].

هرمز

جزيـرة على مدخل الخليج الإسلامى، أطلق أسمها على المضيق، بينها وبين الساحل الإيرانـى ١٢ ميل، وهى جزيرة فاحلة لا يوجد بها ماء، وذات طبيعة ملحية، وقد زاول أهلـها الـتجارة فـى أصـناف كـثيرة تـرد إلـيها مـن مخـتلف الـبلاد الاسيوية والافريقية كالتوابل والزيوت النباتية، وخشب الصندل والزعفران واللبان الجاوى وغيرها[٢].

سيراف

ميـناء شهير على الخليج، جنوبى شيراز، وأطلالها الآن على مسافة ميل غربى قرية بـند طاهـرى على الطريق من بوشير إلى قيس، تمتاز سيراف بقربها من الأسواق العربية، كمـا تصـلها كـل سـفن الصـين والهـند والـيمن وعمان، وكذلك تجار العراق وشرق البحر المتوسـط، حـيث يـتم تبادل السلع الشرقية والغربية، وكانت قد حلت محل البصرة إبان ثورة الرنج، على أن اليرافيون لم يقتصر دورهم على التجارة فقط، بل قاموا بانتاج العطور والطـيب والكافور والوعد والصندل، وقد اضمحلت سيراف نتيجة زلزال أصابها مما أدى إلى خرابها ٣٦٧هـ[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٢) د. شوقى عثمان، تجارة المحيط الهندى، ص ١٩٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٨.

عمان

نظرا لقرب سواحلها من الهند وامتدادها على شواطئ المحيط الهندى، وأنها تطل على الخليج الإسلامى، فقد غلب على سيرة الحياة فيها الطابع البحرى، وكانت الثغور العمانية منذ القدم ذات نشاط لا ينقطع، وارتاد العمانيون البحار، لا تصدهم ريح ولا ترهبهم مخاطر؟، ونظموا لأنفسهم الرحلات التجارية فيها ونقلوا تجارات الشرق من الصين والهند إلى الغرب[٤] وأشاد المقدسى بفضل عمان، فقال أنها أى عمان "دهليز الصين، وخزانة الشرق، وعن طريقها يخرج العطر كله فى المسك والزعفران والصندل والفلفل، والبقم والمساج واللؤلؤء والديباج والياقوت[٥].

ويقع الشحر على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب بين عدن وعمان، ويراد به شحر مهره وقد اشتهرت من قديم بعنبرها الذى لا نظير له، فكل عنبر جيد إليها ينسب:

قال الثعالبى فى ثمار القلوب: عنبر الشعر يضرب به المثل، قال الشاعر:

... ... ولو كنت عطراً كنت من عنبر الشحر.

مقديشو

كانت من الموانئ الهامة الواقعة على بحر الزنج، وهو الجزء من المحيط الهندى، شرقى الساحل الافريقى وعندها تجتمع تجارات الصومال والحبشة والسودان، وشرق أفريقيا، يصدر منها ريش النعام والعاج والأبنوس، والصندل والعنبر.

مدغشقر

وقبالة الساحل الشرقى لأفريقيا، تقع جزيرة القمر (مدغشقر) إلى الشرق، وهى أكبر واخصب جزر العالم، إذ يبلغ محيطها ألف ميل، وقد عاش سكانها على التجارة والصناعة، واحتوت غاباتها أشجار الصندل، ووجد فيها العنبر بوفرة.

عدن

هى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، مجمع تجارات عالمى المحيط الهندى والبحر المتوسط، حيث يقصدها كل سفن الصين والهند والحبشة وشرق أفريقيا والخليج الإسلامى المتجهة إلى البحر الأحمر، وتعقد أسواقها ليلا لشدة الحرارة، ويتوافر فيها

---

(١) د. على حسين السليمان الناصر النشاط التجارى فى شبه الجزيرة ص ٣٥.

(٢) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم، طبعة لندن، ١٩٠٩م ص ٩٢، ٩٧.

الحديد والنحاس والزئبق والمرجان والملابس الصوفية والقطنية والحريرية، والعقاقير والتوابل والسكر والأرز وجوز الهند واللبان والجاوى وخشب السند وعود السند والروائد والمسك، ويسكنها عدد كبير من العرب واليهود والزنج.

عدن أبين: وكان طيب الخلق جميعا بها يعبأ، ولم يكن يحسن صُنعه أحد من غير العرب حتى أن تجار البحر لترجع بالطيب المعمول بـ (عدن) يفخر به فى السند والهند، وترتحل به تجار البر إلى فارس والروم، وأن الناس على ذلك إلى اليوم ما يحسن اليوم حمله إلا أهل الإسلام بعدن.

دارين

أغفل العلماء ذكر (دارين) وهى قُرضة بالبحرين بها سوق يُحمل المسك من الهند إليها، واشتهرت شهرة فائقة بتجارة العطر حتى جاء فى الحديث " مثل الجليس الصالح مثل الدارى إذا لم يحذك (يعطك) من عطره، علقك من ريحه، وقال الشاعر:

فلما اجتمعنا فى العلالى بيننا   ذكى أتى من أهل دارين تاجره

المنشآت والمرافق التجارية

إلى جانب الطرق والموانئ، يخدم التجارة — بعامة — مجموعة من المنشآت والمرافق الحكومية والأهلية، منها: **الأسواق والقيساريات والخانات والفنادق.**

والأسواق أقدم أشكال النظم التجارية، وهى على ثلاثة أنواع: محلية وموسمية وسنوية

أ — الأسواق المحلية وتتسم معظم أسواق الشرق بأنها محلية ودائمة، لها أيام معينة فى الأسبوع وقد اتخذت صفة التخصص فى بيع أصناف معينة من السلع، فهذا سوق البزازين. وسوق العطارين، وسوق العنبريين، وسوق الفرائيين، وسوق الحريريين، وإن كان هذا التخصص لم يحترم أو يستمر لاشتداد حركة التجارة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عدا سوق العطارين بالإسكندرية الذى اقتصر على التوابل والعطور، وتجمعت الأسواق لتشتمل على أنواع مختلفة من السلع.

ولزم تنظيم الأسواق لمنع التلاعب فى الموازين والأسعار، وجباية الرسوم، وغش السلع، وقد أوكل ذلك للمحتسب وعماله، حيث يسير نظام الحسبة وفق قوانين عامة ثابتة وأخرى متطورة.

ب — **الأسواق الموسمية** وتعقد هذه الأسواق فى مواسم ورود السلع من بلادها، وخاصة التوابل والعطور التى ترد من الهند والصين إلى أسواق مصر والشام وجدة ومكة وتكون فى مواعيد ثابتة لا تتغير، وبالطبع تخضع هذه المواسم لمواعيد هبوب الرياح الموسومية التى تؤثر على الملاحة فى المحيط الهندى.

ج — **الأسواق السنوية وهى أسواق محلية وعالمية**، اشتهرت بها بعض المدن والموانئ فى الشرق والغرب مثل: أسواق مكة وجدة التى تعقد فى موسم الحج، وأسواق القسطنطينة ومن أشهرها (البازستان)، وسوق ليون فى فرنسا، هذا ولا تقل أسواق الهند (قاليقوط) خاصة، وأسواق الصين وعلى الأخص (خانفو) التى تفوق الكل من حيث ضخامة ما يباع فيها كل عام من التوابل والعطور وغيرها[1].

وتؤدى مهمة الأسواق، القيساريات والخانات والوكالات والرباع، وقد أخذ المقريزى بأن لا فرق يذكر بين هذه المنشآت، فهى جميعا تقوم بجانب مهمة البيع والشراء، بمهمة النزل ومحل الاقامة، والخازن للتجار والواردين ببضائعهم وحفظ أموالهم.

وعموما فان هذه المنشآت تطوت جميعها إلى مجموعة أبنية تؤدى معنى الحى أو المستعمرة تحتوى على حوانيت كبيرة وصغيرة، ومستودعات بضائع، وفوقها رباع تؤجر لاقامة التجار ويجدون فيها المأوى لهم ولدوابهم خلال الرحلة، ويتوسط الخان فناء ضخم فى هيئة رواق يغطى، وقد بنى أبناء المماليك بعض الأبنية المسقوفة، انتشرت فيها المصانع الصغيرة، وعرضت السلع للبيع بالجملة وهى القيساريات[2].

الأسواق العربية

نشأت على طول الطرق التجارية فى الجزيرة العربية، وخاصة حيث الماء والكلاك، مجموعة من المحطات التجارية تطورت تدريجيا إلى (أسواق موسمية) تقام فى الأوقات التى يفترض وصول القوافل التجارية فيها. ويتوجه إليها سائر العرب، من بعد منهم ومن قرب، تجارا كانوا أم مستهلكين أم أصحاب مصالح.

وأول ما قامت هذه الأسواق الموسمية كانت تلبية لضرورات تجارية محضة، ثم تطورت إلى ما يشبه الآن المعارض العامة، ولم يتفق المؤرخون على عددها أو موعد

---

(١) د. نعيم زكى فهمى، الطرق والمحطات التجارية، ص ٢٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٣.

إقامـتها، وقد اختار الأستاذ عرفان محمد حمور فى كتابه (أسواق العرب) عشرين سوقا، اعتـبرها أشـهر الأسواق، يأتى فى الذورة منها "**سوق عكاظ، ثم دومة الجندل، المشقر، هجـر، عمان، حباشة، صحار، دبى، الشحر، عدن، صنعاء، حضرموت، مجنة، ذو المجاز، حجر اليمامة، دير أيوب، بصرى، أذرعات، الحيرة، المربد**"[1].

وفـى عكـاظ ملكـة أسـواق العـرب التـى جمعـت بـين المعـرض الـتجارى والمنـتدى الاجتماعـى، حـيث حفلـت بكـل ألوان النشاطات فى حياة العرب الاجتماعية: ندوات غـوث تطلـق، وقصـائد فخر تنشد، خطب تلقى، وأحكام تصدر، رايات ترفع، وأسلحة توضع، رقيق يباع، واعلانات تذاع، قمار ومسابقات، مناظرات ومنافات، وعظ وتبشير، خمر وخمارون، قبيان وحانات، جوار ومعاهدات![2] وكان موعدها مطلع ذى القعدة.

ويهمـنا أن نـبرز المعروضـات الـتجارية التـى شملـها السوق، مثلما عرض تجار اليمن الـبرود اليمنـية المخططـة والموشـاة والمسـيرة، والزعفران، والأصبغة والليلك، والخصاب، والـبخور والعقـيق، وكـذلك المـر والـتوابل والطـيب، عرض تجار الخليج وعمان: اللؤلؤ، والـتمور والخمـور، أمـا تجـار الشـام فـوجد لـديهم: الـزيوت والـزبيب ودقـيق القمـح والمصنوعات الذهبية والفضية (البتراء)، والحناء (من عسقلان) والمنسوجات الحريرية (من دمشـق وغـزة)، وأيـنما تـوجهت فـى السـوق لـتجد أصـنافا مـنوعة، الجلـود المدبـوغة، والأحذيـة ، والأدويـة، والعطـارة والأعشـاب، البـز والسـلاح كلارماح الخطبة والردينية وغوالى المسك والطيب والعطور،وإلى جانب ذلك كله تجارة الرقيق[3].

(١) عرفان محمد حمور، أسواق العرب، دار الشورى، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٧، ٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق، ص١٠٩

البرور الموشاه، المزركشة والمطرزة، المسيرة: المخططة ويخالطها الحرير.، الأوكية: جمع وكاء وهو كل وعاء شد رأسه بما يشبه رباط القربة، الرماح الخطبة: نسبة إلى الخط وهى مرفأ على ساحل البحرين، والدينية: نسبة إلى ردينة وهى إمرأة اشتهرت بتقويم السلاح فى البحرين.

أسواق الطيب

لما فطر العرب على حب الطيب والرائحة الطيبة، واتباعا لسنة الرسول (ﷺ) فى التطيب، وجريا على ما كان عليه نهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وشغفهم بشكل خاص بالمسك الذى يلائم طقس بلادهم الحار ويوجد بعيدا عنهم فى الصين، والهند، فطلبوه من مظانه، وكان من أهم عناصر تجارتهم مع بلاد الشرق الأقصى. وقد خصصوا أسواقا معينه للطيب والعطر، فكنت تجد فى كل مصر من الأمصار الإسلامية والمدن الكبرى سوقا للعطر، وأماكن وخانات للعطارين، فمظاهر التخصص فى الأسواق التجارية أمر معروف من قديم، فى بغداد ومصر ودمشق والأندلس.

ويحدث شيخ المؤرخين المصريين المقريزى فى خططه أنه كان بمدينة القاهرة وظواهرها من الأسواق شئ كثير جدا باد أكثرها، ومن بين هذه الأسواق " سوق العنبريين" التى كانت بين سوق الحريريين وبين قيسارية العصفر، وهو تجاه الخراطيين، وكان فى الدولة الفاطمية مكانه سجنا لأرباب الجرائم يعرف بـ " حبس المعونة" وكان شنيع المنظر ضيقا، يجد من يجتاز عليه رائحة منكرة! ! فتغير حال المكان من النتن إلى الطيب.

وكان العنبر إذ ذلك بديار مصر نفاق، وللناس فيه رغبة زائدة، فلا يكاد يوجد بأرض مصر إمرأة وأن سفلت إلا ولها قلادة من عنبر، وكان يتخذ منه المخاد، والكلل والستور وغيرها وتجار العنبر يعدون من بياض الناس، ولهم أموال جزيلة وفيهم رؤساء وأجلاء.

وقد كثر الغش فى العنبر، وقلت رغبة الناس فى استعماله، فتلاشى أمر هذه السوق بالنسبة لما كانت عليه وخاصة بعد المحن فى ٨٠٦ هـ حيث قل ترفه أهل مصر عن استعمال الكثير من العنبر وتعطل هذا السوق حتى عاد أهل العنبر إليه على عادتهم ٨١٨هـ[1].

وقد قُدِّر ما كان يشتريه العالم الرومانى من طيوب العرب والفرس والصين بقيمة مائة مليون من الدراهم، وكانت صيدون (صيدا) من أشهر الأسواق العطرية[2].

---

(١) حبس المعونة: لما صار قلاوون من جملة أمرا الظاهر بيبرس، وكان يمر من داره إلى قلعة الحبس فيشم روائحهم الكريهة، ويسمع صراخهم الموجع، وأنينهم وشكاواهم، فنذر إن جعل الله له من الأمر شيئا ان يبنى مكانه شيئا حسنا، فلما صار إليه الملك هدم السجن وجعل مكانه سوقا للعنبريين.

(٢) الأفغانى – أسواق العرب – ص ٢٥.

وسرد يوسف عبد الهادى الدمشقى المعروف بإبن المبرد ت (ق ٩هـ)، المواضع التى كانت تباع فيها الأمتعة والمصوغات والبضائع والأغذية والأشربة فى زمانه، قال فى "نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق": هذه نبذة يسيرة عن أسواق دمشق وما يتعلق بها، وما يباع فيها، وما تنسب إليه، فمنها: ما ينسب إلى ما يباع فيه (السلع)، وما ينسب إلى محلته (موقعه)، وما ينسب إلى واضعه (الشخص الآمر)، وعدّها ابن عبد الهادى مائة وخمسون سوقا، يهمنا منها الأسواق المتصلة بالطيب والعطر كالآتى:

السوق الخامس: سوق العنبريين وتقع عند باب الجامع القبلى ويُعمل فيه العنبر ويباع.

السوق التاسع: سوق الطيبيين وهى فى باب البريد.

السوق السابع عشر: سوق البذوريين وتقع تحت سوق السلاح ويباع فيه العطر والأبازيز ونحو ذلك

السوق الثامن عشر: سوق الرهبيانيين وتقع بعد سوق السلاح والبذوريين ويعمل فيه سائر الأدهان تباع[1]

وتتحدث المصادر عن شهرة بلاد الأندلس بازدهار متاجرها، وكثرة أسواقها واختصاص بعض المدن بكثرة منتجاتها الزراعية، وما يوقوم عليها من صناعات، وكانت هذه الأسواق تمتد حول ساحة المساجد الجامعة، وتباع البضائع القيمة فى بناء كبير على شكل مستطيل بداخله طريق تتوزع فيه الحوانيت على كلا الصفين، وكان يطلق على هذا البناء قيسارية وهى تعريب لكلمة لاتينية وتعنى السوق القيصرى التابع للدولة وكانت هذه القيسارية تضم: سوقا للثياب، وسوقا للخياطين، والصباغين، والصاغة، وسوق العطارين[2]، كما كان من بين أبواب مدينة قرطبة السبعة، باب العطارين، حيث يقع بالقرب منه قصر البستان الذى عاش فيه الملك الشاعر المعتمد بن عباد[3].وفى ذلك إشارة إلى تخصيص الأسواق والأماكن لتجارة العطر والطيب.

كثرت الأجناس المجلوبة إلى البصرة من عامة الأقطار، حتى بقيت بحق (خزانة العرب) وألف فيها الجاحظ كتاب، فيما يستظرف من الأصناف أسماء "التبصر بالتجارة".

---

(١) حبيب زيات، مقال فى مجلة المشرق لسنة ٣٧، بيروت ١٩٣٩، ص ٢٢ – ٢٧.

(٢) د. عبد العزيز سالم، العمارة المدنية فى الأندلس، دائرة معارف الشعب، مجـ٢ ص ١٤٤.

(٣) المقرى، نفح الطيب، جـ ٢ ص١٤.

وفـى البصـرة كـان أصحـاب كـل مهـنة يجتمعون معا فى محل واحد، مكونين سوقا فـرعية صغيرة مثل سوق العطارين، وسوق الطعام، وسوق الغنم، وسوق القصابين، وسوق القـداحين، وسـوق الصـرافين وغيرهـا[1]، وأشار ابن سعد إلى وجود أسواق متخصصة فى مدينة البصرة منذ السنوات الأولى من بنائها، إذ ورد ذكر سوق العطارين التى كانت فيها دار العون بن خلف[2]

ومـنذ شـروع المنصور فى بناء مدينة بغداد اهتم بالأسواق، فقدر لها أماكن مناسبة فى كـل ربـض، وقـد كـان السوق الرئيسى فى الجانب الشرقى فى المدينة حيث تجتمع فيه أصـناف — الـتجارات والصـناعات، ثـم تتفـرع إلى أسـواق فـرعية مـثل: سـوق الطـيب والعطـور، والأسـاكفة والصـيارفة، والصـاغة والـوراقين، والقصـابين وسـوق الغنم، وسوق السلاح.[3]

وعـند تخطـيط مديـنة واسـط أعطـى الـوالى الحجـاج بـن يوسف الثقفى عناية خاصة بالأسـواق، إذ أنشـأ السـوق الرئيسـية علـى مقـربة من المسجد الجامع ودار الإدراة، وقد امـتدت حتـى شـاطئ نهـر دجله شرقا ثم تكونت بداخلها أسواق فرعية: فكانت أسواق الطعام والبزازين، والصيارفة والعطارين والبقالين وأصحاب الفاكهة وغيرها[4].

وجديـر بالملاحظـة أنـنا نجد تلازما بين بيع العطور والمجوهرات فى بلاد الخليج أو قـد تنفصـل كتجارة منفردة، وقد يقوم بعض الباعة المختصون بجلبها إلى الدور والقصور، وقـد تفـنن بعـض صـناع العطـور الشرقية فى ابتكار أنواع من العطور تسمى المجموعة أو الـباقة، وتعـرف باسم صانعها أو صانعتها وتباع فى البيوت وليست بالمحلات، وتصنع بطلـب خـاص، ولنسـاء الخلـيج ذوق خاص متميز بالعطور، وتذكر مجموعة " المخمرية" ويدل اسمها عليها فهى مشتقة من التخيير أى وضع المادة فى إناء وتغطيته بإحكام يمنع وصول الهواء، وتظل كذلك حتى تتفاعل المواد الأولية المجموعة فى الاناء مدة تتراوح من ٣٠ — ٤٠ يوم[5].

---

(١) نقلا عن: الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ٥ ص ٥٠٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٢ ص ٣٠.

(٣) ابن الجوزى، مناقب بغداد، ص ٢٩.

(٤) بخشل، تاريخ واسط، ص٤٤

(٥) مقال بمجلة الدوحة القطرية – العدد ١٢٤ – ابريل ١٩٨٦، ص ٨٩.

طوائف التجار

كـان انتشار الإسلام عاملا من عوامل زيادة التجارة الدولية، فقد عمل الفرس والعرب وسـطاء تجاريين بين أوروبا وأفريقيا وآسيا قبل الإسلام وبعده، وقامت الصلة بين الشرق والغـرب علـى اكتاف التجار المسلمين، مما أوجد نوعا من الوحدة أنقذت التجارة العالمية مـن الانهيار، فقد أمكن لهؤلاء التجار السفر من الأندلس إلى الهند دون أن يشعروا بأنهم يخترقـون بـلادا غـريبة عنهم، ولم يبالوا بالمخاطر والصعوبات التى قد يتعرضون لها فى القفار أو البحار، ويمكن تقسيم فئات طوائف التجار كالآتى:

١- **الـتجار المغاربـة بـبلاد شمـال افـريقيا ومسـلمى الاندلس**، الذين يجلبون سلع شمال وغرب أفريقيا وأحيانا من أوروبا إلى مصر.

٢- **تجـار أوروبا المسيحين**، وعلى رأسهم التجار الايطاليين من البنادقة والجنوبيين والفلورنسـيين ولهـم تـاريخ قـديم مع شرق البحر المتوسط، حيث كانوا يعملون من خلال قناصل ونواب بموجب معاهدات مع سلطات المماليك.

٣- **الـتجار المسـلمون الشـرقيون** مـن الأتـراك والفـرس وعـرب شبة الجزيرة العربية والسوريين والعراقيين والسودانيين.

٤- **الـتجار الأرمـن والاغـريق والقبط**، وهم المسيحيون الشرقيون، عملوا فى التجارة ومنهم مهرة الصناع وقوافلهم تجوب البلاد العربية من حلب ودمشق وعمان وبيروت.

٥- **التجار اليـهود** الذين ساهموا بنصيب كبير فى تجارة مصر والتجارة الدولية

٦- وأهـم الطوائـف جمـيعا هم **تجار الكارميـة**(*)، أمهر التجار وأكثرهم دراية بعملهم والسـيطرة علـى الـتجارة بـين الشـرق والغرب، وخاصة فى جلب سلع الهند والصين إلى

(*) يذكـر ان الكارمـية مشـتقة من كلمة وهى لفظ أمهرية تفيد معنى الهيل أو الحبهال وهوتابيل من توابل التى اشـتغلوا فيها، ثم صحفت الكلمة وأصبحت كارم، كما يذكر أن كان فى القاهرة سوق مشهورة للعنبر أو الكارم، ولا يكـاد يوجد فى أرض مصر إمرأة وأن سفلت الا ولها قلادة من العنبر الأصفر أو الكارم، ولكما كان الكارم أحـدى السلع التى استجلبها الكارمية، فيجوز أن ترد نسبتهم إلى هذه السلعة، ولما لاكانت هذه الجماعة نقابة فى قـوص، فـيجوز أن كان كريم اسم أو لقب لأول تاجر وأشهر تاجر، ثم انسحب اسمه على الكارمية، او أنهم قد اشـتهروا بالكرم وحولت الصفة إلى اسم، أو انسحب عليهم المثل الشعبى، ردا على التساؤل عن موعد وصول البضائع فيقال " إننا فى انتظار الكريم"، وكل هذه الأقوال تخمينات.

د. شوقى عثمان، تجارة المحيط الهندى، ص٢٦٩

د. نعيم زكى، طرق التجارة الدولية، ص ١٩٢، ٣٠٢.

اليمن ومصر وأوروبا، عن طريق المحيط الهندى والبحر الأحمر الذى اعتبر بالنسبة لهم بحيرة إسلامية، واحتلت هذه الطائفة مركز الصدارة فى العالم الإسلامى فى العصرين الأيوبى والمماليكى، وكان لهم نقابة فى قوص بمصر، وكانت لهم خانات ومستودعات فى موانى البحر الأحمر وعدن والهند، وقد جلبوا: البهار والعنبر والبخور والتوابل والعقاقير والأصباغ والجواهر وجوز الهند وخلافه، حتى أن كلمة تجار الفلفل والبهار والتوابل كانت لا تطلق إلا عليهم[1].

(١) د. نعيم زكى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ٣- وما بعدها.

السوق العالمية للعطور

خمسة مليارات دولارات حجم السوق العالمية للعطور

اجتاح عالم العطور جميع ميادين الحياة اليومية حيث لم يعد يقتصر على الأسماء الكبرى للعطور النسائية بل فرض نفسه أيضا فى مساحيق التنظيف والأدوات المنزلية ليمثل سوقا عالميا قيمتها خمسة مليارات دولار.

وتبقى صناعة العطور مجالا تسوده السرية وتزاوله ستون مجموعة فى العالم تبتكر آلاف المواد العطرة لتستخدم فى جميع المواد من مساحيق التجميل وأدوات التنظيف.

وقال جويل ساباس رئيس مجلس إدارة شركة بارفيكس الفرنسية التى تدخل اليوم الأول من تموز / يوليو السوق الحرة فى بورصة باريس " أن سوق العطور شاسع ويطاول الكرة الأرضية بأسرها نظرا لتزايد عدد سكان العالم وتحسن ظروف الحياة". وأوضح أن "العالم من حولنا معطر أكثر وأكثر، سواء فى الدول الصناعية أو فى أقاصى أفريقيا". وتابع أن " مسحوق الغسيل معطر باللاوندة ومزيل روائح بالورد ومبيد العث بالياسمين والشموع بالبقدونس. وموضة العطور هذه اجتاحت أيضا عالم السيارات التى باتت لوحات قيادتها معطرة بعطور ابتكرت خصيصا لها. حتى اكياس القمامة اليوم معطرة بالليمون".

ويبدو مستقبل هذا القطاع واعدا، وهو بات يمثل خمسة مليارات دولار تتوزع بنسبة ٣٢٪ فى أميركا الشمالية و ٢٥٪ فى أوروبا و ٢٦٪ فى منطقة آسيا والمحيط الهادى.

وإذا ما أخذنا فى الاعتبار العطور والنكهات الغذائية، ازدات هذه السوق اتساعا ليبلغ رقم اعمالها ١٨,٤ مليار دولار بحسب مكتب فريدونيا.

وتسيطر عشر شركات عالمية على قسم كبير من سوق العطور، أكبرها شركة جيفودان السويسرية التى يبلغ رقم اعمالها مليارى دولار، تتبعها شركة اى اف اف الاميركية ثم شركة فيرمينيش السويسرية ايضا (١,٤ مليار دولار).

وتضم فرنسا بعض الشركات الكبرى فى هذا المجال، ولاسيما شركتا مان وروبرتيه اللتان تتخذان مقرا لهما فى منطقة غراس، العاصمة العالمية للعطور التى تؤوى العديد من الشركات تأسست قبل مائة عام وأكثر.

وتبتكر جميع هذه الشركات تركيبات معطرة يستخدمها منتجو أدوات التجميل ومساحيق التنظيف فى منتجاتهم.

وبين زبائن شركة بارفيكس شركات " ال فى ام اش" (عطور كريستيان ديور) وكلارينز (أدوات تجميل) وبيار فابر (أدوات تزيين وتجميل) وكارون (عطور) ولوكستيان ولامب بيرجيه (عطور منزلية)

وبلغ رقم أعمال مبيعات شركة بارفيكس العام الماضى ٦,٦ ملايين يورو وانتجت ٣٢٥ طنا من العطور خصصت ٤٠٪ منها للتصدير.

سوق العطور الفرنسية

تعتبر باريس عاصمة العطور في العالم وفرنسا بلدها. ليس فقط بسبب نوعية العطور الفرنسية وجودتها التى تغزو الأسواق العالمية، حيث بلغت أرقام أعمال شركات العطور وأدوات اللتجميل فى عام ألفين أكثر من ٤٠ مليار فرنك فرنسى للصادرات، أى ما يزيد عن ٥,٧ مليارات دولار، وإنما أيضاً بسبب الكميات التى يستهلكها الفرنسيون. وبشكل أدق الفرنسيات، حيث بلغت أرقام أعمال السوق الداخلية أكثر من ٣٧ مليار فرنك للسنة ذاتها أى نحو ٦ مليارات دولار، وهن أكبر مستهلكات لهذه البضائع فى العالم، حيث تجعل الفرنسية الواحدة تنفق ما يعدل مائة دولار سنويا على شراء مستحضرات التجميل والعطور، وهى أعلى نسبة للإنفاق فى العالم على هذه السلع، وتأتى بعدهن السويسريات والأميركيات واليابانيات.

وهذا يظهر أهمية قطاع العطور ومستحضرات التجميل الذى يحقق أرقام أعماله تصاعدا كبيرا على الرغم من عام ٢٠٠٠ قد سجل تراجعا بنسبة نموه بالمقارنة مع الأعوام الماضية.

وهذا يظهر أن صناعة العطور الفرنسية تحتل مركزاً مهما فى سوق العطور الدولية، وهذا ما يفسر تعدد الماركات الفرنسية، ويصدر صناعيو هذا القطاع أكثر من مائة مليون دولار يوميا يستورد دول الاتحاد الأوروبى نصفها.

ويكمن سر هذه الزيادة السنوية المطردة خلال العقد الاخير فى القرن الماضى فى تمكن شركات العطور من التحديث والابداع المستمرين للتمكن من الحفاظ ومن تجديد صورة الحلم المرفقة مع تسويق سلع هذا القطاع.

قواريرٌ للعطور

منذ زمن طويل تستعمل السيدات عامة والمصريات خاصة زجاجات عطر كتقليد ورمز لشخصية المرأة تضفى سحرا وجمالا وتعبيرا حقيقيا عن أنوثة المرأة، ومازال هذا التقليد يورث فى كثير من العائلات الأرستقراطية حيث تجد أن المرأة متحمسة لأن تحفظ تقليد عائلتها وتحتفظ بتشكيلة مختلفة من هذه القوارير داخل مخدعها، زجاجات العطر هذه مصنوعة من زجاج البايركس المنفوح ونحت يدوى بارز وغاطس وألوان معدنية وعضوية قابلة للذوبان داخل العجينة الزجاجية ومطعمة بالورق المدهب مع نعومة للمس السطح وإضافة بضع لمسات زخرفية جميلة، تعتبر هذه الزجاجات الاختيار الأمثل لتزيين دولاب الفضيات نقدمها بشكل مجموعات تحتوى كل مجموعة على تشكيلة الألوان والتصاميم المتاحة.

وفى هذه الصناعة يذكر من بين مصممى زجاجات العطور ***Rene Lilque*** (١٨٦٠ — ١٩٤٥) وهو مصمم مجوهرات فرنسى، وكذا مصنوعات زجاجية، ويعتبر المصمم الأول لزجاجات العطور الرائعة، حيث يزخرفها بالشعارات الأنيقة، وبعضها يرسمه باليد، وأيضا : ***Stiege*** ستيجل، ***De Vilbiss*** دى فيليبس، ***Baccarat*** باركارات، ***Sanit Gobian Desjonquere*** سانت جوبيان دى جونكير

وإذا جاء ذكر العطور وباريس فلابد أن يذكر شارع " الشانزليزية" وهو من أجمل الأماكن فى العالم، إن لم تكن أجملها على الإطلاق، وحين تسير فى ذلك الشارع الواسع الرحب والجميل، فتستمع كل لغات الأرض، وترى جميع أجناس البشر، واحدة من أحلى واجهات باريس العديدة والمتمايزة، التى يزورها الناس فى جميع الفصول، وتغمرها الحياة ليلا ونهارا. ولا تعد ولاتحصى فيه المحلات من جميع الأنواع، وفيه يوجد محل أعرق العطور الفرنسية (جيرلان) وأكبر محل للعطور فى العاصمة (سيفورا).

وهناك قسم لقوارير العطور ومغلفاتها، وهى من أفضل ما يدهش السياح حيث يجد السائح العجيب والغريب من التشكيلات المختلفة لأوانى وقوارير العطور. وفى هذا المتحف يعرف السائح تاريخ كل شركة من الشركات الكبيرة المنتجة للعطور، الحالية والسابقة، كما أنه سيتعرف على أسرار بعض صناعة العطور، وكيف تتم، وما هى المواد المهمة فى صناعته.

الباب الثالث

الطيب في الأدب

تمهيد : الطيب في المعاجم (معاجم اللغة العبقرية).

الفصل الأول : الطيب في النثر.

- ♠ أولاً : الطيب في الرسائل والمقامات.
- ♠ ثانياً : الطيب في الأمثال.
- ♠ ثالثاً : الطيب في القصص والنوادر.

الفصل الثانى : الطيب في الشعر.

- ♠ أولاً : الطيب في شعر المدح.
- ♠ ثانياً : الطيب في شعر الهجاء.
- ♠ ثالثاً : الطيب في شعر الرثاء.
- ♠ رابعاً : الطيب في شعر الغزل.

تمهيد

مع اللغة العبقرية

امتازت لغتنا العربية بأنها أفصح اللغات وأبينها، وأكثرها دقة في التعبير وتأدية المعاني، فلكل معنى لفظ خاص يعبر عنه[1]، وقد تتعدد المعاني للفظ الواحد[2]،وتكثر فيها المترادفات والأضداد[3]، وتهتم بأسلوب السجع والمحسنات، وكان كل ذلك من أسباب سعة اللغة واستيعابها للمزيد من الألفاظ والمعاني.

وكانت حكمة الله سبحانه وتعالى، أن أنزل أشرف الكتب {القرآن الكريم}، على أشرف الرسل {سيدنا محمد ﷺ}، بسفارة أشرف الملائكة {جبريل عليه السلام}، وبدأ نزوله في أشرف بقاع الأرض {مكة المكرمة}، في أشرف شهور السنة شهر{رَمَضَانَ} فكمل من كل الوجوه.

وقد حفظ الله سبحانه القرآن الكريم لسان الإسلام الناطق ومعجزته الباقية. لغتنا العربية من التغير والتبدل والضياع والفناء –كغيرها من اللغات– لأنه نزل من لدن عزيز حكيم، على وجه الإعجاز والتحدي، فذل له الجميع واستكانوا، وحرصوا على ألفاظه وحروفه احتفاظا بالمعجزة وتعبداً بالتلاوة وعملاً بالأحكام.

وأدب أي لغة هو ما أودع نثرها وشعرها من نتاج عقول أبنائها، وأمثلة طبائعهم، وصور أخيلتهم، ومبلغ بيانهم، مما من شأنه أن يهذب النفس ويثقف العقل ويقوِّم اللسان.

---

(١) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، ص ٤٤.

لكل ساعة من سعات النهار، وكل ليلة من ليالي القمر اسم خاص.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥.

للعين ٣٥ معنى، وللخال ٢٧ معنى، وللعجوز ٢٦ معنى.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٥.

للبئر ٣٨ اسماً، وللماء ١٧٠ اسماً، وللخمر مائة اسماً، وللأسد ٣٥٠ اسماً، وللحية مائة اسم، ومثلها للجمل، أما الناقة فلها ٣٥٥ اسماً، وسبب كثرة المترادفات لأسماء الحيوانات أن أغلبها صفات ونعوت صارت أسماء.

وفي هـذا الـباب "الطـيب في الأدب"، نـبدأ بتعريف الطيب والعطر فى المعاجم وكتب اللغة، ثم نستاف أرج المنثور(*) مما ذكر عن العطر والطيب في الرسائل والمقامات، وندلف إلى مـيدان الأمثال باعتبارها حكمة الشعوب باحثين عما قيل عن العطر والطيب، ونخرج ممـا حـوته جـؤن العطـارين ولطـائمهم مـن قصـص ونـوادر، حتـى نصل إلى واحة الشعر الفـيحاء ذات الألـوان المـتعددة مـن: مـدح ووصـف وغزل، وسوف تطول وقفتنا مع شعر الغزل.

(*) يستاف: يشم، والمنثور: هو نبات الخزامي، أو خيري البر أذكى نباتات البادية، له رائحة كفاغية الحناء، ويقصد به الكلام المنتثر مقابل الشعر.

العطر والطيب فى المعاجم

العطر اسم جامع للطيب، جمعه عطور، وبائعه العطار، وحرفته العطارة، وعطر وتعطر واستعطر تطيب بالعطر، ورجل عاطر وعطر ومعطير ومعطار محب للعطر كثير التعطر، وامرأة عطرة معطرة، وإذا تعهدت نفسها بالطيب فهي معطير ومعطار(1)، والطيب هو كل ما يتطيب به، من طاب الشيء أي لذ وزكا وطهر وحل الحلال(2)، والتطيب والتطييب يعني التضمخ والتلغم والتخلق والتغلف والتغلل والتلويب(3)، وبعض هذه الأسماء مشتق من أنواع الطيب مثل: الخلوق والغالية والملاب.

والرائحة هي النسيم الطيب، وراح وأراح وأروح بمعنى وجد الرائحة، والريحان هو بقلة طيبة الريح، وأصلها من ذوات الواو أي الريوحان، وقلبت الواو ياء، وأدغمت فيها الياء الأولى فصارت الريحان، ثم خففت -مثل ميت وميت- إلى ريحان(4)، وسطوع الرائحة ونشر الطيب يعني الشذا والفيح والفوع والفوغ والضوع، أمل العرف والذكاء والذفر والنفحة والفورة والبنة والريا تعم الرائحتين طيبة وغيرها، وإن كانت الريا فى الطيبة أغلب(5).

وعبقت الرائحة بقيت ولصقت، ورجل عبق وامرأة عبقة، إذا تطيبت تعلق بها الطيب فلا يذهب ريحه أياما(6)، وبالنسبة لبقاء الرائحة، فإنه يقال لليد إذا علقت بها شيء من الطيب عطرة، ومن الغالية غبقة، ومن الزعفران ردعة، ومن العنبر لطخة، ومن الخلوق ضمخة، ومن الرياحين فوحة(7).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف بمصر، ج٥، ص ٢٩٩٤.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص ٢٧٣٢.

(٣) المصدر السابق، ج٣، ص٧٣٢ - ١٧٦٥.

(٤) المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٣٣ ، ٢٧٨٦.

(٥) عبد المتعال الصعيدي ومحمد يوسف موسى، الإفصاح في فقه اللغة، دار الفكر العربى، ك٢،ج٢، ص١١٦١

(٦) ابن منظور، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٧٨٦.

(٧) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، ج٢، ص ٩٣.

أصناف العطر والطيب

تفصل المعاجم أصناف الطيب وألوانه :

فالمسك[*] أطيب أنواع الطيب وأشرفها، هو ريح الجنة، ومضرب الأمثال في طيب الرائحة. والقطعة منه مسكة والجمع مسك. فتاته الرضاب، والقليل منه الصوار، رائحته الفنع والشذو، وأجوده القارت، والنضح ما كان منه رقيقاً كالماء.

والعنبر مادة صلبة لا طعم لها ولا ريح إلا إذا سحقت وأحرقت، والإسم يذكر ويؤنث.

والغالية طيب مركب من مسك وعنبر يعجنان بالبان.

والزعفران نبات يتخذ منه صبغ وطيب، من أسمائه العبير والشعر والفيد والجساد؛ وتزعفر أي تطيب بالزعفران.

والخلوق ضرب من الطيب أصفر اللون. مكون من عدة أصناف أعظمها الزعفران.

والرامك ضرب من الطيب، في لونه رمكة وهي لون الرماد.

والبخور كل ما يتبخر به من عود ونحوه. وتبخر بالبخور أي تدخن وتطيب.

والعود نبات طيب الريح يتبخر به. ومنه الوج والقسط والمجمر والقطر والألنجج واليلنجج.

والذريرة فتات قصب الطيب، والدخنة نحو الذريرة.

والند ضرب من الطيب يدخن. وقيل هو مسك يعجن بعنبر وعود.

والكباء هو كل عطر يابس صلب، جمعه كبا، أمل الملاب فهو كل عطر مائع[1].

وفي عمل الطيب وصنعه يقول اللغويون:

الفتق يعني خلط المسك بالعنبر؛ فتذكو رائحته، **والفتاق** كل ما خلط من الطيب ببعضه البعض، ويعني كذلك التطرية والترويح والدوف والسهك والسحق، ومن الأدوات المستخدمة في صنع الطيب: الصلاية والمسحنة التي يسحق عليه الطيب، والعسيل هي المكنسة التي يكنس بها العطار بلاطة الطيب، والهاون ما يدق به، وكذلك الفهر.

---

* المسك كلمة فارسية الأصل معربة، أصلها مشك.
دكتور محمد موسى هنداوي، المعجم في اللغة الفارسية، مكتبة الأنجلو ودار مطابع الشعب، ص ٤٠٠.

(١) عبد المتعال الصعيدي ومحمد يوسف موسى، الإفصاح في فقه اللغة، دار الفكر العربي، ط٢، ج١، ص٣٥٧ وما بعدها.

أوصاف الطيب والنتن

وفي نعوت النساء فيما يختص بالطيب وتركه. يقال بهنانة للمرأة طيبة الريح، وعتكة للمرأة بها ردع (لطخ) من الطيب، وعتك الطيب بها عتكا وعتوكا أي لصق. ومحمرة من كثرة الطيب، والمرأة الأنوف هي طيبة ريح الأنف، والرشوف طيبة ريح الفم والريق(1).

ولما كانت الأشياء تعرف بأضدادها، فالنتن هو الرائحة الكريهة، ويطلق على الكريه من روائح الإنسان: الدفر والإجفار لسائر البدن، والبخر لرائحة الفم، والخلوف لتغير رائحة الفم من صوم ومرض، والذفر والصنن والصنان لرائحة الإبط، واللخن لرائحة الأرفاغ(*)، والصأك والسهك لرائحة العرق(2).

ويقال للمرأة تاركة الطيب تفلة، ومنتنة الريح عامة دفراء. والبخراء منتنة ريح الفم، والجخراء واللخناء منتنة ريح الفرج(3).

وفي وصف روائح التغير والفساد في الأشياء، يقال عند فساد الطعام عامةً، واللحم خاصةً: زنخ وسنخ وأروح وخمج وزخم وخنز وسهك وتهم وزهم ونشم. كما يقال عند تغير الروائح لغير ذلك: قتر الشواء، ووضر السمن أو الدهن، ومذر البيض، وتخ العجين، وقتم الجوز، وخمج التمر، ودخن الشراب. وأسن الماء. ونمس الطيب(4).

الشم ومتعلقاته اللغوية

الشم حس الأنف، وشم وأشم واشتم وتشمم الشيء أدناه من أنفه لإجتذاب رائحته، ومثل الشم: الإستنشاق من نشق واسينشق، والإنتشاء من نشي واستنشى: والإسترواح من راح وأراح واستروح، والإستنكاه من نكه واستنكه وهي تخص رائحة الفم. فالنكهة رائحة الفم، والإستياف من ساف واستاف، ويقال إن المسافة من هذا، لأن الدليل يسوف أي يشم تراب الموضع الذي ضل فيه، فإن إستاف أبوال رائحة الأبوال والأبعار علم أنه على جادة الطريق(5).

---

(1) عبد المتعال الصعيدي ومحمد يوسف موسى، الإفصاح في فقه اللغة، دار الفكر العربي، ط2، ج1، ص329

* الأرفاغ: الرفغ أصل الفخذ وهو ما اكتنف أعالي جانبي العانة عند ملتقى أعالي بواطن الفخذين، ص 96.

(2) المرجع السابق، الإفصاح في فقه اللغة، ج2، ص 116.

(3) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، طبعة مصطفى الحلبي، ص 139.

(4) فقه اللغة وسر العربية، ص 140.

(5) الإفصاح في فقه اللغة، ج2، ص 1166.

الفصل الأول

العطر والطيب فى النثر

ينقسم كلام العرب إلى نثر ونظم، والنظم هو الكلام الموزون المقفى، أما النثر فغير ذلك. وأصله من نثر الشيء أي رمى به متفرقا، وهو أسبق إلى الوجود لقُرب تناوله وعدم تقييده، ويكون حديثاً بين الناس في معايشهم ومصالحهم (المحادثة)، أو خطاباً من فصيح نابه يلقيه على جماعة في أمر ذى بال (الخطابة)، أو كلاماً تدل عليه حروف ونقوش دون نطق أو تلفظ أو لبعُد الشقة بين المخاطبْين (الكتابة)، فالنثر ينقسم إلى: محادثة وخطابة وكتابة[1]، ويهمنا منهما الكتابة أو ما يعبر عنها بالإنشاء، ويمكن تحديد ألوان الكتابة في: الرسائل والمكاتبات بأنواعها (سلطانية أو إخوانية أو أدبية)، والمقامات والمفاخرات والأمثال والقصص.

♠ أولاً: الطيب في الرسائل والمقامات.

فالرسائل السلطانية هي التي تصدر عن السلطان، وقد خصِّص لها ديوان الإنشاء، الذي كان يرأسه أعلم أهل العصر بفنون الكتابة وأساليبها، وتناولت مكاتبات الخلافة المهمة، والدعوة إلى الإيمان والجهاد ومعاهدات الصلح والهدنة.

والرسائل الإخوانية هي التي يتبادلها الكتاب والأدباء يبثون فيها عواطفهم الشخصية، في لغة سليمة أصيلة. وتتناول جوانب مختلفة: من تهاني وتهادي وتعازي وشكر وعتاب.

أما الرسائل الأدبية فهي الكتابات التي تشبه المقالات في عصرنا. حيث يتناول الكاتب أو الأديب فيها موضوعاً بعينه، وتُبنى على إثارة عواطف القارئ ومشاعره، مثل رسائل الجاحظ الأدبية.

والمُقامات (بضم الميم) واحدتها المقامة، وهي اسم للمجلس أو الجماعة من الناس، وهي الأحدوثة من الكلام تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه جماعة من الناس لسماعها، ومثلها: مقامات بديع الزمان الهمزاني، وعنه أخذ الحريري، ومن بعدهما الزمخشري،

---

(١) أحمد الإسكندراني ومصطفى عناني، الوسيط فى الأدب العربي وتاريخه،دار المعارف بمصر،١٩٧٨،ص٢١

ثم السُّيوطي.

والمفاخـرات هـي الكـتابات الـتي يُـراد بهـا بيان مزايا شيء ما وعيوبه، حيث تُعقد مـوازنة بـين شـيئين أو عـدة أشـياء في مناظـرة، وقـد اشتهر في أدبنا المعاصر مفاخرات: السيف والقلم، الليل والنهار، الشمس والقمر، الربيع والخريف[1].

ومن ألوان النثر كذلك الأمثال والقصص.

ذكر صاحب الفهرست، أن بعض الكتاب قد أفردوا للعطر والطيب تأليفاً، من ذلك[2] كـتاب "العطـر" ليحيـى بـن خالـد، كتاب "العطر" لإبراهيم بن العباس، وكتابا "العطر" و"كيمـياء العطـر" للكـندي. وكـتاب " العطـر لحبيب العطار، وكتاب " العطر وأصنافه" للمفضل بن سلمة وللأسف لم يقع فى يدى كتاب منها.

ويذكر لابن أبى حجلة التلمسانى كتاب " أطيب الطيب"[3].

ونعرض فيما يلى نماذج للكتب أو الكتابات عن العطر والطيب

* **" الإشارة إلى محاسن التجارة"**

وباقـى اسمـه " ومعـرفة جيد الاعراض ورديها وغشوش المدلسين فيها" ومؤلفه الشيخ أبو الفضل جعفر بن على الدمشقى (حوالى القرن السادس الهجرى)

وقد فصل فيه القول عن أصناف محاصيل الغذاء من البقول وغيرها والجواهر والحلى، وفـيما يخـتص بالطيب وعدَّد أصنافه من المسك والعنبر والكافور والعود والصندل والسنبل والقرنفل والزعفران وخواصها ومنافعها وجيدها ورديها وطرق الغش والتدليس فيها.

---

(١) د. أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر، ص ٥٧٣.

(٢) إبن النديم، الفهرست، طبعة دار المعرفة، بيروت، ص ٤٤٠.

(٣) د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربى، دار العلم للملايين، فى ستة أجزاء، ١٩٨٠، جـ ٦ ص ٥١٨، مقدمة تحقيق " ديوان الصبابة" للدكتور محمد زغلول سلام، طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية ص ٧٢.

من الكتب والكتابات عن العطر والطيب

* الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب

فـى سـبب تأليفه هـذا الكتاب، قال مؤلفه كمال الدين أبو القاسم بن العديم العقيلى الجلبـى، وكـان مؤرخا محدثا كاتبا، ت (٦٦٠هـ) بمصر: لما كان معظم اللذات الدنيوية والأخـروية فـى تـناول شـهى المآكل والمشارب، وكان تطيب الثياب والبدن مما يقرب إلى الأحـباب والحـبايب، واقتضى ذلك سلوك تطيبها للناشق والآكل والشارب، وفى تناول الطيبات تقوية على العبادة للعبد، وهى تستخرج من القلب خالص الحمد، فلذلك كررت المنة بها فـى كتاب الله العزيز، وأُخرج ذكرها مخرج المدح والتمييز ويتألف الكتاب من عشرة أبواب:

١- باب الطيب: عن تركيب العنبرينا المسك والعود والبخور والند والذريرة بأنواعها والبرمكية.

٢- الأشـربة: مـنها عشـرون شـرابا تصـنع لطيـبها أو لحسنها أو منفعتها أو فوائدها الطبية

٣- المياه وصنعها: ماء الحصرم وماء النارنج والخل.

٤- سلى الإلية (إذابة الدهن) وغليه إما لحفظه وإما لإستخدامه.

٥- أنواع الدجاج: طرق طبخه وخاصة الدجاج المطيب.

٦- طـرائق الطـبخ: صـناعة الأطعمـة المنشفات والسبنوسك وما يجرى مجراها، وغير ذلك من أنواع الخضراوات.

٧- الحـلاوات والمخـبوزات: الخانوتـية والمأمونـية وهريسـة الفستق والكنافة والكعك والعصايد.

٨- المخللات والملوحات: مخلل اللفت والليمون المالح والزيتون.

٩- الأشنان والصابون المطيب

١٠- تصـعيد (تقطـير) المـاء، وتطيـيب رائحـة الفـم، مـاء الـورد والزعفـران والكافور والقرنفل[1].

---

(١) بـرو كلمـان، تـاريخ الأدب العرب، تحقيق د. عبد الحليم النجار وآخرين، فى ستة أجزاء، دار المعارف بمصر، جـ٦ ص ٧٨.

جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، ص١٨٥.

مجلة العربى، العدد٣٧٣، ديسمبر ١٩٨٩، ص١٧٤.

وقـد نشر الكتاب بتحقيق سليمى محجوب ودرية الخطيب، ضمن منشورات جامعة حلب، وقد صدر فى مجلدين ١٠٧٦ صفحة من القطع الكبير، شغل كتاب ابن العميد منها ٢٨٧ صفحة من المجلد الثانى.

* "نهاية الأرب فى فنون الأدب"

ومن الكتابات الموسوعية، خصص شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويرى ت(٧٣٢هـ) الجزء الثانى عشر من هذا السفر العظيم للطيب، وقد اشتمل الكتاب على خمسة فنون:

١- فى السماء والآثار العلوية والعوالم الفلسفية

٢- فى الإنسان وطبائعه وأعضائه وعواطفه

٣- فى الحيوانات الأخرى

٤- فى النبات على اختلاف أشكاله وأقداره

٥- فى التاريخ منذ بدء الخليقة حتى ٧٣١هـ. وهو أكبر الأبواب على الإطلاق

وضم الفن الرابع (النبات) خمسة أقسام:

(١) فى أصل النبات وما تختص به أرض دون أرض

(٢) فى الأشجار ومالثمره قشر لا يؤكل، أو نوى يؤكل، وما ليس له ثمر ولا يؤكل.

(٣) فى الفواكة المشمومة فيما يشم رطبا ويستقطر، وفيما يشم رطبا ولا يستقطر.

(٤) فى الرياض والأزهار ويتصل به الصموغ والأمنان والعصائر

(٥) فى الطيب والبخورات، والفوالى والندود، والمستقطرات والأدهان والنضوحات.

وفى هذا القسم الأخير؟، لخص المؤلف، كما قال فى المقدمة — كتاب " طيب العروس وريحان النفوس" لمحمد بن أحمد التميمى المقدس، ثم فصّل فى تسعة أبواب أصناف الطيب:

المسك، والعنبر، والعود، والصندل، والسنبل الهندى، والقرنفل، والقسط، والفوالى والندود، والرامك والمسك، والنضوحات والمياه المستقطرة وغير المستقطرة[1].

* " صبح الأعشى فى صناعة الإنشا"

وقد تحدث القلقشندى، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن على، المصرى من قلقشندة قرب قليوب فى الجزء الثانى من موسوعته، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا،

(١) النويــرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب فى فنون الأدب، وزارة الثقافة، مصر، فى ٢٧ جزء، جـ ١٢.

وهـو مـن أهـم الكـتب فى الإنشاء وأدواته وشروطه وقد تحدث عن نفيس الطيب، وحدد المعتبر منه فى أربعة أصناف[1]:

المسـك والعنـبر والعـود والصـندل، وقـد ذكـر أنـه رجـع أيضا عند تأليفه إلى كتاب التميمى " طيب العروس" السابق الإشارة إليه.

***مقامات السيوطى**

مـن بـين مـؤلفات الإمـام جـلال الدين السيوطى، ت (٩١١هـ)، كتاب صغير بعنوان (مقامـات السـيوطى) تضمن أربع مقامات هى: الفستقية، والتفاحية، والوردية ثم المقامة المسـكية، وقـد ذكـر فـيها أربعـة أنـواع مـن الطـيب ومـنافعها: المسك والعنبر والزعفران والزباد، قال:

"حضـر أمـراء الطـيب، بين يدى إمام فى البلاغة خطيب، وقد قدم كل منهم نفسه، وعـرض خصائصـه ومـزاياه، قـال المسـك: أمـا بعد فإنى آتى أنواع الطيب شرفا عميما، وجعـل لهـا فـى الدنـيا والآخـرة والـبرزخ فضـلا عظـيماً وحبـبها إلى رسـله وأنبيائه وإلى ملائكـته: وخـواص أصـفيائه، ويكفـى فيما شَرُف به الطيب وأولاه" ثم أنكم إيها الأمراء الـثلاثة: المسـك والعنـبر والزعفـران ثلاثتكم فى الرياسة والسيادة أقران، ولهذا قام فيكم دلـيل الاقـتران، فـى السـنة التى هى تالية القرآن، ولكن للمسك بينكم الخصوصية، وله عليكم الفضل والمزية، حيث جاء ذكره فى التنزيل، وذلك فى غاية التشريف والتبجيل، ومن كلام العرب المأثور من قديم، ليس الطيب إلا المسك (بالرفع) على لغة تميم[2].

ويسـتمر الإمـام السـيوطى فـى حديـثه على لسان المسك! فيأتى على مزاياه العديدة، وخصائصـه المفـيدة، ويثنـى بحـديث العنبر، ثم الزعفران والزباد، ويذكر ما امتاز به كل منها واختص فى عالم الطيب الأرج.

---

(١) القلقشندى، شهاب الدين أحمد بن على، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، وزارة الثقافة مصر، فى ١٤ جزءاً ج ٢، ص ١١٨.

(٢) مقامات السيوطى، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندارى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٠٥.

♠ ثانياً: العطر والطيب في الأمثال.

المثل قول محكى سائر. يقصد منه تشبيه حال الذى حكى فيه، بحال الذى قيل لأجله[1]، هو وشى الكلام، وجوهر اللفظ، وحلى المعانى[2]، هو عظة بالغة من ثمار العقل الراجح، وعصارة خبرة الدهور، وخلاصة تجربة العصور، تمتاز بايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه ولا يخلو أدب أمة من الأمثال المتوارثة عن القدماء، وقد امتاز العرب وتفردوا بأمثلتهم المبنية على الحوادث، بخلاف أمثلتهم الحكيمة[3] أى التى تضم الحكم.

ونقطف فيما يلى بعض أزاهير الأمثال، التى تأرج فى حديقة الأدب العربى، مما له صلة بالعطر والطيب والرائحة والشم.

* **لا عطر بعد عروس**

أول من قال ذلك، امرأة من عذرة يقال لها أسماء بنت عبد الله كان لها زوج من بنى عمها، يقال له عروس، فمات عنها، فتزوجها رجل من غير قومها يقال له نوفل، وكان أعسراً أبخراً دميماً بخيلاً، فلما أراد أن يظعن بها، قالت له: لو أذنت لى فرثيت ابن عمى، وبكيت عند رمْسِه، فقال: افعلي فقالت: أبكيك يا عروس الأعراس، يا ثعلبا فى أهله، وأسدا عند الباس، مع أشياء ليس يعلمها الناس، قال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عن الهمة غير نعّاس، ويُعمل السيف صبيحات الباس، ثم قالت: يا عروس الأغر الأزهر، الطيب الخيم الكريم المخبر، مع أشياء له لا تذكر قال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عيوفا للخنا والمنكر، طيب النكهة غير أبخر، أيسر غير أعسر، فعرف الزوج أنها تُعرِّض به، فلما رحل بها، قال: ضميِّ إليك عطرك — وقد نظر إلى قشوة عطرها مطروحة ۰ فقالت: " لا عطر بعد عروس" فذهبت مثلا.

---

(١) أحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى – الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ۰ ص ١٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبدة قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، فى تسعة أجزاء، جا٣ ص٣.

(٣) حنا الفاخورى، الحكم والامثال، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ص١١.

ويقال المثل من طريق آخر: إن رجلا تزوج امرأة فوجدها تَفِلَةَ، فقال لها: أين الطيب؟ فقالت: خبأته، فقال لها: "لا مخبأ لعطر بعد عروس" فذهبت مثلا.

ويضرب المثل لمن لا يُدَّخر عنه نفيس[1].

* **حُق لفَرَس بعطر وأُنس**

كانت امرأة من العرب لها زوج يقال له فرس، وكا ن يكرمها بسخاء، فمات وخلفه عليها شيخ، فينما هو ذات يوم يسوق بها، إذ مرت بقبر فرس، فقالت: يا فرس، يا ضبع أهله وأسد الناس، كسر الكبش بجفر، وتركت العاقر أن تنحر، وبابات أخر، قال الزوج: وما هن؟ قالت: كان لا يبيت بغمر كفيه، ولا يتشبع بخلل سنيه، فدفعها الزوج عن البعير وقشوتها بين يديها، فسقطت القشوة على القبر، فقالت: " حُق لفرس بعطر وأُنس"، وتقدير المثل " حق الفرس أن يتحف بعطر وأنس" فثقل للازدواج.

ويضرب المثل للرجل الكريم يثنى عليه بما هو أولى[2].

* **نقط عروس وأبعار ظباء**

ومناسبة هذا المثل، أن جريراً مر بذى الرمة وهو ينشد شعره وقد اجتمع عليه الناس، فقال هذا المثل، ومعناه أن هذا الشعر مثل بعر الظبى، من شمه وجد له رائحة طيبة، فإذا فتته وجده بخلاف ذلك[3].

* **بطنى عطرى وسائرى ذرى**

ومناسبته أن رجلاً جائعا نزل بقوم، فأمروا جاريتهم أن تطيبه فقال هذا المثل، ويضرب لمن يعطيك ما لا تحتاج إليه، ويمنعك ما تحتاج إليه، فيؤمر بالأهم[4].

---

(١) يظعن: يرحل، الرمس: القبر، الخيم: السجية والخلق، الخنا: الفحش، القشوة: قفة تجعل المرأة فيها طيبها.
المفضل بن سلمة، الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحلاوى، ةهيئة الكتاب، ص ٢١١.
الميدانـــى، مجمع الامثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيس البابى الحلبى، فى جزءين، جـــ ٣ ص ١٥١.
التفلة: تاركة الطيب.

(٢) الجفـــر: ولد الشاه، والغمر: السهك وريح اللحم، والخلل: بقية الطعام بين الأسنان، والمرأة تكنى عن صفات زوجها السابق من النظافة والغنى والكرم.
مجمع الأمثال، جـــ ١ ص ٣٧٧.

(٣) المصدر السابق، جـــ ٣ ص ٣٨٤.

(٤) المصدر السابق، جـــ ١ ص ١٧١.

* لا يقومُ عِطرُه بفُسَائِه

العطر معروف، والفساء "مقروف"!

وهذا المثل يضرب للمرء الذى يفوق شرّه خيره[1].

* كفأرة المسك يؤخذ حشوها وينبذ جرمها

وفأرة المسك وعاؤه، وحشوها هو المسك

ويضرب المثل لمن يكون باطنه أجمل من ظاهرة[2].

* أشام من عطر منشم

اختلف الرواة فى لفظ الاسم، ومعناه، واشتقاقه، وسببه، أما اللفظ، فإنه يقال: منشم (بفتح الشين)، منشم (بكسر الشين)، ومشأم وفى المعنى، زعم أبو عمرو بن العلا أن المنشم (بفتح الشين) هو الشر بعينه، وزعم آخرون انه ثمرة سوداء منتنة، أو أنه شئ يكون فى سنبل العطر يسميه العطارون قرون السنبل وهو سم ساعة وقالوا إنه البيش وهو بنت سام ببلاد الهند، وقال آخرون: إن منشم اسم امرأة، وفى الاشتقاق. قالوا إن منشِم (بكسر الشين) اسم موضوع كسائر الأعلام.

وقال آخرون: منشِم اسم وفعل جُعلا اسما واحداً، وكان الأصل (من شم)

وقال آخرون: منشم، الأصل فيه (من نشم) ونشم بمعنى بدأ، ويقال ذلك فى الشر دون الخير أما من رواه مشأم، فإنه يزعم اشتقاقه من الشؤم.

وفى السبب:

كانت منشم عطّارة تبيع الطيب، وكانوا إذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم فى طيبها، وتحالفوا أن يستميتوا فى الحرب ولا يولون أو يقتلون، فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة، قال الناس " قد دقوا بينهم عطر منشم" وزعموا أن هذا المثل سار فى يوم حليمة، والذى اعتبر من أيام العرب المشهورة، وقد قيل فيه " ما يوم حليمة بسر" وكان أبوها الحارث بن أبى شمر ملك الشام، قد وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (العراق) فأخذت حليمة لقومها مراكن الطيب، وكانت تطيبهم كى تؤجج نار الحرب فى صدورهم، وقاتلوا حتى تفانوا.

---

(١) المصدر السابق جـ٣، ص ٢٣٥، من معانى القرف عدم الحسن. لسان العرب جـ ٥ ص ٣٦٠١.

(٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ٤٨.

وقيل إن امرأة من جرهم، كانت تخرج بقارورة من الطيب، تطيب قومها في حربهم مع خزاعة ثم تضرب بالقارورة الأرض فتدقها، فلا يتطيب من طيبها أحد إلا قاتل حتى يُقتل أو يُجرح.

وزعم آخرون أن منشِم كانت امرأة دخل بها زوجها فنافرته، فدق أنفها، فخرجت إلى أهلها مُدَمّاة، فقيل لها: " بئس العطر عطر زوجك".

وقيل إن منشم هي صاحبة يسار الكواعب، وقد أتته بمجمرة لتطيبه فقطعت مذاكيره وسيأتي ذكر ذلك بالتفصيل.

وخالف أبو عبيدة* الكل، فقال: إن منشَم اسم وضع لشدة الحرب، وليس ثم امرأة، وذلك كقولهم " جاءوا على بكرة أبيهم" إذا جاءوا جميعاً، وليس ثم بكرة، وقال ابن السكيت: العرب تكني عن الحرب: بعطر منشم، وثوب محارب، وبرد فاخر[1].

* صبرا على مجامر الكرام

كان يسار الكواعب عبداً تعرض لبنت مولاه، وراودها عن نفسها فنهته، فعاودها، فامتنعت عليه، فعاد لعادته، فقالت: إن كان لابد فإني مبخرتك ببخور، فإن صبرت على حرارته صرت إلى ما تريد، فعمدت إلى مجمر، فأدخلته تحته، واشتملت على سكين حديد فجبَّت به مذاكيره فصاح، فقالت: صبرا على مجامر الكرام! ثم لم يلبث أن مات، فصار مثلا لكل جان على نفسه، ومتعرض لما يجل عن قدره[2]، ويضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره تهكما

وروى أن اعرابيا قدم الحضر بإبل، فباعها بمال جم، وأقام لحوائج له، ففطن قوم من جيرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب

---

* أبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب التصانيف المتعددة في شتى فروع العلم، النحوي العلامة البصري ت ٢١٣هـ (ابن خلكان - الوفيات - جـ٥ ص ٣٥).

(١) المراكن: وعاء من أدم يتخذ للماء وغيره، نافر: فاخر، مدماه: ملطخة بالدماء.

حمزة بن الحسن الأصبهاني ٣٥١هـ، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تحقيق عبد المجيد دار المعارف - الطبعة الثانية، جـ ١ ص ٢٤٢، مجمع الأمثال جـ ٢ ص ١٩١.

(٢) أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ص ١٠٨.

والكمال، طمعا فى ماله، فرغب فيها، فزوجوه إياها، ثم إنهم اتخذوا طعاما وجمعوا الحى وأُجلس الاعرابى فى صدر المجلس، فلما فرغوا من الطعام ودارت الكؤوس وشرب الاعرابى، وطابت نفسه، أتوه بكسوة فاخرة وطيب، فأُلبس الخلع، ووضعت تحته مجمرة فيها بخور لا عهد له به، وكان لا يلبس السراويل، فلما جلس سقطت مذاكيره فى المجمرة فاستحيا أن يكشف ثوبه، وظن أن تلك سنة لابد منها، فصبر على النار وهو يقول: "صبرا على مجامر الكرام" فذهبت مثلا، وتفرق القوم، وارتحل الأعرابى إلى البادية، وترك امرأته وماله، فلما قص على قومه ما رأى، قالوا: " إست لم تعوَّد المِجمر" فذهب قولهم مثلا أيضا.

ويُضرب لمن لم يكن له عهد قديم[1].

ويقال إن أول من قال هذا المثل، حاتم بن عبد الله الطائى، وذلك أن ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج من أرادت، وربما بعثت غلمانا لها ليأتوها بأوسم من يجدونه فى الحيرة فجاؤوها بحاتم، فقالت له: استقدم إلى الفراش، فقال: " إست لم تعوَّد المجمر" فصارت مثلا[2].

* دُهن أبى أيوب

كان لأبى أيوب المورياني وزير المنصور، دهن طيب الريح يدهن به إذا ركب إلى المنصور، فكان الناس إذا رأوا غلبته على المنصور، وطاعة المنصور له فيما يريده، يقولون: دُهن أبى أيوب من عمل السحرة، ألى أن ضربوا به المثل، فقالوا للذى يغلب على الإنسان: "معه دهن أبى أيوب"[3].

صيغة أفعل (أطيب وأشم)

أشار الإمام حمزة بن على الأصفهاني، فى مقدمة كتابه المدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة، إلى أنه ألف كتابه فيما جاء فى الأمثال على قولهم "هو أفعل فى كذا، وقد سبقه فى ذلك: الأصمعى واللحيانى ومحمد بن حبيب البصرى، فنقل عنهم وزاد عليهم

---

(١) مجمع الأمثال، جـ٢ ص ٢١٤.

(٢) المصدر السابق، جـ٢ ص ١٠٤.

(٣) ثمار القلوب ص ٢٠١.

كما أشار ألى أن أكثر أمثال العرب مضروبة بالبهائم، فلا يكادون يذمون أو يمدحون إلا بما يجدون في الحيوان

* **أطيب نشراً من الصِّوار**

والنشر هو الرائحة الطيبة، وكذلك الصوار أو يعنى القليل من المسك أو وعاء المسك، قال شاعر:

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى   وأذكرها إذا نفح الصوار(1)

* **أطيب مضغة صيحانية مصلّبة**

وتقدير المثل: أن أطيب مضغة أكلها الناس، صيحانية مصلبة، وهو ضرب من تمر المدينة، أسود صلب المضغة، وقد سمى صيحانيا لأن صيحان كان اسماً لكبش ربط إلى نخلة بالمدينة، فأثمرت تمرا صيحانيا نسبة إلى صيحان، ومصلبة من الصليب وهو الوُدك أى الدهن، فيكون ما خُلط من هذا التمر بوُدك أطيب شئ يمضغ(2). ويضرب هذا المثل للمتلائمين المتوافقين

* **ذهب منه الأطيبان**

والأطيبان هما النكاح والطعام، أو النكاح والنوم، ويضرب هذا المثل: لمن أسن وهرم قال نهشل:

إذا فات منك الأطيبان فلا تُبَلْ   متى جاءك اليوم الذى كنت تحذر(3)

* **أشم من نعامة أو هقل، أشم من ذئب، وأشم من ذرة**

الرأل هو ولد النعام، يشم ريح أبيه وأمه وريح السبع والإنسان من مكان بعيد، وزعم أبو عمرو الشيبانى أنه سأل الأعراب عن الظليم (الهقل) وهو ذكر النعام، هل يسمع؟ فقالوا: لا، ولكنه يعرف بأنفه ما لا يحتاج معه إلى سمع، وقد لقب الشاعر بيهس، بنعامة، لأنه كان شديد الصمم، مائقا أى أهوج أحمق، وكان فارع الطول.

---

(1) مجمع الأمثال، جـ٢ ص ٣٠٠.

(2) المصدر السابق، جـ٢ ص ١٨٦

لسان العرب، جـ ٤ ص ٢٥٣٣، وأورد العباس فى عمدة الأخبار، حديثا عن جابر قال كنت مع رسول الله ﷺ يوما فى حيطان المدينة ويد على فى يده، قال فمررنا بنخل فصاح النخل هذا محمد سيد الأنبياء وهذا على سيد الأولياء، فالتفت النى (ﷺ) إلى على فقال له: سمّه الصيحانى، فسمى من ذلك.

(3) مجمع الأمثال، جـ٢ ص ١٣.

والذئب يشم فرائسه، ويستروح من مسافة ميل أو أكثر.

أما الذرة (النملة) فتشم ما ليس له ريح مما لو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة، ولو استقصيت الشم، كرجل الجرادة تنبذها من يدك، فى موضع لم تر فيه ذرة قط، فلا تلبث أن ترى الذر يفد إليها كالخيط الممدود، وقال صاحب المنطق: أنف الوحش أصدق من عينه، فهو يسمع من مسافة قريبة، ويشم من مسافة أضعاف تلك، تأتيه به الريح[1]

*** هنيئا لك النافجة**

كل ما ارتفع فقد نفج وانتفج وتنفج، والنافجة وعاء المسك، وهى معربة من الفارسية (نافة) ولكن اللفظ فى المثل لا يقصد به وعاء المسك، بل يقصد المُعظِّمة والمكثرة، فقد كانت العرب فى الجاهلية تقول إذا ولد لأحدهم بنت، هنيئا لك النافجة، أى التى تكثر مالك، لأنك تأخذ مهرها فتضمه إلى مالك فينتفج، فإذا كان المهر من الإبل مثلا، وضمها الأب إلى إبله نفجها أى رفعها وكثرها[2].

*** لا يعجز مسك السوء عن عرف السوء**

والمسك يعنى الجلد، والمعنى أنه لا يعدم رائحة خبيثة

وقال أبو عبيد: يضرب المثل للرجل اللئيم، الذى يكتم لؤمه جهده، فيظهر فى أفعاله[3].

*** يدهن من قارورة فارغة**

يضرب هذا المثل لمن يعد ولا يفى[4].

*** لا يُصلح العطار ما أفسده الدهر**

كانت عجوزا تحلم بالصبا الغارب والشباب الآفل، تغالت فى (التغلل) والتطيب، والتجمل والتزين، عسى أن يصلح الوجه الذى تفضن، والعود الذى جف، والظهر الذى أحنته الأيام، فهى تخفى طعام عشيرتها وتعطيه للعطار، بغية المزيد من الطيب والعطر،

---

(١) الدرة الفاخرة، جـ١ ص ٢٥٣.

(٢) مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ٥٠١، لسان العرب جـ٧ ص ٤٤٩٢.

(٣) المصدر السابق، جـ٣ ص ١٨٥.

(٤) المصدر السابق، جـ٣ ص ٥٤٥.

كـى يعـوض لهـا مـا فات، ولكن هيهات هيهات، وقد صور الشاعر حالها، ووضع المثل
فى جذع البيت الثانى:

عجــوزةً تُرَجِّــى أن تكــونَ فتــيةً   وقـد لحُـبَ الجنـبانَ واحَدوْدبِ الظهر
تَــدُس إلى العطّــارِ مَيْــرةَ أهلِــها   وهـل يُصـلحُ العطـارُ ما أفسد الدهر؟[1]

ومن الأمثلة المنظومة، والتى وردت على ألسنة الشعراء، ومن بين ثنايا قصائدهم تطل
الحكمـة، لتعـبر فـى ألفـاظ قلـيلة عن معانى جليلة، ومما ينسب إلى الإمام على بن أبى
طالب (كرَّم الله وجهه)

مـــن لم يكـــن عنصـــره طيـــبا   لم يخـــرج الطـــيب مـــن فـــيه
كـــل امـــرئ يُشـــبهُهُ فعْلــــهُ   وينضـــح الكـــوز بمـــا فـــيه[2]

ويعنى ذلك أن الأصل الطيب ذو فرع طيب ونتاج أصيل والعكس بالعكس.

* وقول أبى عثمان سعيد بن هاشم الخالدى:

فـى شمـك المسـك شُـغل عـن مذاقـته   وفـى سنا الشمس ما يُغنى عن القمر[3]

ويعنـى ذلـك أن الصـفة الأصيلة فى الشئ تشغل عما عداها من خصائص وقوله أيضا
من نفس القصيدة:

تزيدنـــى قســـوة الأيـــام طـــيب ثـــنا   كأننـى المسـك بـين الفهـر والحجـر[4]

ويعنـى أن حـوادث الأيـام القاسية، وتحملها تُخرج طيب معدن الإنسان، مثل المسك
عند سحقه ليُخرج شذاه وعبيره.

---

(١) العقد الفريد، جـ٤ ص ٤٦

وتنسب الابيات إلى جران العود، فى بهجة المجالس جـ٢ ص ٥٠:

عجـــوزُ ترجّـــى أن تكـــونَ صـــبيةً   وقـــد شـــاب مـــنها الرأسُ واحَدْوَدَبَ الظهرُ

(٢) العاملى، الكشكول، تحقيق الزواوى، طبعة مصطفى الحلبى، ١٩، جـ٢ ص ١٢٨.

(٣) الثعالبـى، يتـيمه الدهر، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية، الطبعة الأولى فى أربعة أجزاء ١٩٤٧ جـ٢ ص ٢٠٧.

(٤) المصدر السابق، جـ٢ ص ٢٠٧.

* ومن شعر ابن لبون التجيْبي، وقد ورد في كتابه "نصائح الأحباب وصحائح الآداب" قوله:

ذو النقص يصحب مثله فالشكل يألف شكْلَهَ

فاصحب أخا الفضل كيما تَقْفُو بفعلَك فِعْلَه

أما ترى المسك دأباً يُكسب طيباً مَحلَه[1]

ويعني دعوة الناس إلى مصاحبة ذوى الفضل والخلق، حتى نكتسب منهم فضلا وخلقا، مثل المسك دائما يُطيِّبُ مكانه

* ويحث الفقية الشاعر ابن رُشَيْد السَّبْتي على الرحلة والاغتراب، فالمسك ما طيّب مفارق الناس إلا بعد ان شقوا في نواله من فطانه البعيدة، مثل الدر يعلو على التيجان

تغّرب ولا تحفلْ لفُرقة موطنِ تَفُز بالمنى من كل ما شئت من حاج

فلولا اغترابُ المسِك ما حلّ مفْرقاً ولولا اغتراب الدُّرِّ لم يحظ بالتاج[2]

(١) المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق يوسف البقاعى، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ـ دار الفكرية جـ٨ ص ١١٨.

(٢) د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربى، جـ٦ ص ٣٨٥.

♠ ثالثاً : العطر والطيب في القصص والنوادر.

فى جعبة التراث العربى حكايات مطيبة، ونوادر معطرة، نشرت أريجها فى مجالس العرب، وفاح عبيرها فى منتدياتهم، وانطلق شذاها فى آفاق أسمارهم، فعبق والتصق، وقد انتقيت من مختلف الأعصر الأدبية، بعضا من طريف الحكايات وظريف النوادر، تدور كلها فى ذلك العطر والطيب، وقوامها الأرج والشذى.

فهذا دُهن النجاشى تسرقه إمرأته فتدسه إلى عشيقها الفاتك عمارة بن الوليد وذاك طيب المنصور يكشف المرأة الخائنة لزوجها، والطيب الذى حُرِّم على يزيد ابن مزيد الشيبانى، والطيب الآخر الذى طيبته يد الوزير الفتح بن حاقان ثم نعرف خبر العطار سنملام كثير — الذى ماطلته عزة فى دين عطر، وجارية الخليفة المتوكل التى كتبت اسمه على خدها بالمسك، ثم نرى مداد الكتابة "عطر الرجال"، وكيف كان يُعجن المسك! ، وأعجب من ذلك الطين الكافورى المسك والمعنبر والمحلول بماء الورد الذى عُمِل لتخوض الرميكاء فيه:

ذلك وغيره من النوادر والحكايات، نأتى عليه فى التالى فى الصفحات:

دُهن النجاشى

يروى أن قريشاً أوفدت عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص إلى نجاشى الحبشة ليفسدا أمر مهاجرى المسلمين عنده، ولكنه ردّهما خائبين مقبوحين، ثم انهما خرجا بعد ذلك فى تجارة إلى الحبشة، وكان عمارة حسن الصورة معجبا بالنساء، وكانت مع عمرو امرأته، فقال لها عمارة وهما يشربان فى السفينة: قبّلينى، فقال لها عمرو: قبِّلى ابن عمك، ففعلت، ثم حذّره عمرو، ولكن عمارة أرادها على نفسه، فامتنعت، وفطن عمرو بذلك، ثم إن عمرو جلس على حرف السفينة ليبول، فدفعه عمارة فى البحر، ولما كان يجيد السباحة، أخذ بالقلس وتخلص، وأضغنها عليه، وكتب إلى أبيه العاص بن وائل: أن اخلعنى وتبرأ منى ومن جريرتى على بنى المغيرة وبنى مخزوم، فقد كان من عمارة كيت وزيت، وهو يرصد له بما يرصد به.

ولم يلبث عمارة هذا حين دخل أرض الحبشة، أن دب لامرأة النجاشى فاختلف إليها، ويقال إنها رأته فعشقته، ودعته فجعل يختلف عليها، ويحدِّث عمرو بما يجرى

بينهما فيُظهر تكذيبه ليمحكه بذلك، فقال له ذات ليلة: إن كنت صادقا فأتني بدهن من دهن النجاشي، الذى لا تدهن به غيرك، فإني أعرفه، فأعطته قارورة منه، وثوبا أصفر من ثياب النجاشي، فجاء بذلك إلى عمرو، الذى قال له — بعد أن شم الدهن: لقد نلت ما لم ينله قرشي قبلك، وأخذ عمرو الدهن والثوب، ولما أصبح أتى النجاشي بها، وحّدثه الحديث.

ويقال إن النجاشي أخذ عمارة فقطعه آرابا ثم حرقه، وأخذ امرأته فدفنها وهى حية، ويزعمون أن النجاشي، دعا السواحر فسحرت عمارة، فكان يهيم، حتى مات على هذه الحالة، ويقال: إنه لما فعلن به ذلك هام فكان مع الوحش"[1].

لقد كان دهن النجاشي الذى أهدته المرأة الخائنة عمارة بن الوليد شؤما عليه، وسببا فى هلكته وفيه كانت نهايته، وبه لقي حتفه، مثلما كان عطر مُنَشْم، وعطر كعب بن الأشرف اليهودى المنافق.

- أم أبى جعل " عطارة"

كانت أم الجلاس، أسماء بنت مُخرِّبة، أم أبى جهل (عمرو بن هشام)، وأيضا أم عياش وعبد الله ابنى أبى ربيعة المخزوميين عطارة، تبيعه بالمدينة حيث يبعثه لها عبد الله من اليمن ويروى أنه فى خلافة عمر بن الخطاب دخلت أسماء على الربيّع بنت معوذ الأنصارية، وكانت من المبايعات للرسول (ﷺ) تحت الشجرة فى بيعة الرضوان، تعرض عليها العطر ومعها نسوة، وسألتها أسماء، فانتسبت الربيع، فقالت لها أسماء: أنت ابنة قاتل سيِّده، تعنى أبا جهل، فقالت الربيع: بل أنا ابنة قاتل عبده، فقامت أسماء وقالت: حرام عليّ ان أبيعك من عطرى شيئا، قالت الربيع تريد إغاظتها: وحرام عليّ أن اشترى منه شيئا، مما رأيت لعطر نتن غير عطرك[2].

---

(١) الآراب جمع إرب وهى الأجزاء والقطع

القلس: الحبل، يمّحك: يتمادى فى النزاع واللجاج

البلاذرى، أنساب الأشراف، تحقيق د. محمد حميد الله، دار المعارف ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، جـ ١ ص ٢٣٢

أبو الفرج الأصبهانى، الغانى، هذبه ابن واصل الحموى، طبعة دار التحرير، جـ٣ ص ٩٩٧.

(٢) انساب الأشراف، جـ١ ص٢٩٩، أسد الغابة، جـ٦ ص ١٠٧.

- كثير عزة وغلامه العطار

دخلت عـزة بـنت جمـيل صاحبة كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، والمعروف بكثير عـزة، علـى أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان وأخت خامس الراشدين الخليفة عمر بن عبد العزيز، فسألتها أم البنين عن قول كثير:

قضـى كـلُّ ذى ديـن فَوَفَّـى غَـريمَه وعـــزةُ ممطـــولُ معُنَـــى غَـــريُمها

فما كان هذا الدين؟ قالت عزة: وعدته قبلة فخرجت منها.

وكـان لكـثير غـلام يعمـل بالعطـارة فـى المديـنة، فأعطـى عزة عطراً وهو لا يعرفها، فماطلـته فـى دفـع الـثمن أياما، ثم حضرت إلى حانوته فى نسوة، فطالبها بوفاء دينها، فقالـت: حـبا وكـرامة مـا أقـرب الـوفاء وأسرعه، فأنشـد قـائلا، بيت كثير: قضى كل ديـن...، فقالـت النسوة: أتدرى من غريمتك؟ فقال: لا والله، فقلن له: هى والله عزة، قال: أشهدكُن أنها فى حِلّ مما لى عليها، ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك، فقال كثير: وأنا أشهد الله أنك حرٌّ لوجه الله، ووهبه كل ما فى الحانوت[1].

وفى حب عزة. حرّر كُثيرٌ غلامه العطار.

- الطيبُ يُشيِّب

نظـر الخلـيفة عـبد الملـك بن مروان إلى خالد بن يزيد — وقد شابت عنفقته — فقال: كأنك عاض على حجر، فقال: لأنهن يلثمن فاى، ولا يشممن قفاى — معرِّضا بعبد الملك لأنــه كـان أبخـر — فالنسـاء كن يشممن قفاه دون وجهـه، والناس يرون أن أنفاس النساء وأنفاس الطيب تشيب، قال الشاعر: إنما شيبنى الطيب وأنفاس الغوانى[2].

وفى ذلك يقول ابن سناء الملك

إذا هَجرتْنـــى شـــيبّتنى بِهَجْـــرها وإذا واصَـــلَتْنى شـــيبّتنى بِطِيـــبِها[3]

---

(١) الأغاني، طبعة دار التحرير، جـ٣ ص ٩٨٥، عبد العاطى جلال، دموع العشاق، الكتاب الذهبى:١٩ ص٥٨

(٢) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن، أبو هلال العسكرى، الأوائل، تحقيق د. محمد السيد الوكيل، دار البشير طنطا، ١٩٨٧، ص ٢٥٢.

(٣) ابن سناء الملك حياته وشعره، تحقيق محمد إبراهيم نصر، وزارة الثقافة مصر، ١٩٦٧ ص ٣٦٧.

– طيب المنصور

جلس الخليفة أبو جعفر المنصور، فى إحدى قباب مدينته بغداد، فرأى رجلا ملهوفاً مهموماً يجول فى الطرقات، فأتى به وسأله عن حاله، فأخبره أنه خرج فى تجارة فأفاد مالاً، وأنه رجع بالمال فدفعه إلى امرأته التى ذكرت أن المال سُرِقَ من بيتها، ولم يُر نقبا ولا تسلقا، فسأله المنصور عن زوجته، فقال إنه تزوجها منذ سنة وكانت ثيبا وهى حديثة السن، فدعا المنصور بقارورة طيب كان يُتخذ له حاد الرائحة، غريب النوع، فدفعها إليه، وقال له: تطيّب من هذا الطيب فإنه يُذهب هَمّك، فلما خرج الرجل من عند المنصور رتب المنصور أربعة من ثقاته للقعود على كل باب من أبواب المدينة، وإحضار من يمر ويشم منه رائحة هذا الطيب، وأشمهم منه، أما الرجل فخرج بالطيب فدفعه إلى امرأته، التى بعثت به إلى رجل كانت تحبه، وكانت قد أعطته المال من قبل، وقالت له: تطيب من هذا الطيب، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجى، فتطيب الرجل، ومر مجتازا بعض أبواب المدينة، فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه، فأتى بالرجل للمنصور: من أين استفدت هذا الطيب؟ فإن رائحته معجبة؟ قال: اشتريته، قال: أخبرنا ممن اشتريته؟ فتلجلج الرجل وخلط فى كلامه، فدعا المنصور صاحب شرطته، فقال له: خذ هذا الرجل، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخلّه يذهب حيث يشاء، وإن امتنع فاضربه ألف سوط، فلما خرجا من عند المنصور، دعا صاحب الشرطة، وقال له: هوِّل على الرجل، وجرِّده، ولا تقومن بضربه حتى تؤامرنى، فخرج صاحب الشرطة، فلما جرّده وسحبه، أذعن برد الدنانير، وأحضرها بهيئتها، فأعلم المنصور بذلك، ودعا صاحب الدنانير، فقال له: ما رأيك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها، أتُحكمِّنى فى امرأتك؟ قال: نعم، قال المنصور: فهذه دنانيرك، وقد طَلَّقتُ المرأة عليك، وخبّره خبرها[1].

.. هكذا أذهب طيب المنصور هم الرجل الذى خانته زوجته.

---

(١) أبو الفرج بن الجوزى، أخبار الأذكياء، تحقيق محمد مرسى الخولى، ١٩٧٠، المكتب الشرقى للنشر والتوزيع ص ٤١.

- النافجة المسروقة

سرق مزبّد المدينى، وكان من أصحاب النوادر والفكاهة المشهورين، نافجة مسك، فقيل له: إن كل من غَلّ أتى يوم القيامة بما غلّ يوم القيامة يحمله فى عنقه، فقال: إذن والله أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل[1]

ومن أخبار مزيد، يروى أن بعض الأمراء تبخر وعنده مزبد، ففرطت منه رويحة خفيفة، وأراد الأمير أن يدرى، هل فطن لها مزبد أم لا؟ فقال: ما أطيب هذه المثلثة! قال مُزبِّد: نعم، إلا أنك ربّعتها[2].

- الطيب المحرّم

كان يزيد بن مزيد الشيبانى أحد قادة هارون الرشيد الشجعان الذى أرسله إلى الوليد بن طريف عندما خرج على طاعته وقتل والى نصيبين، وعاث فى أرمينية وأذربيجان فساداً — فانتصر عليه يزيد، وروى أنه ركب يوما إلى الرشيد فتغلّف بغالية، لكنه لم يلبث أن عاد فدعا بطست، فغسل الغالية.

وقال: كرهت أن أكذّب قول الشاعر مسلم بن الوليد فىّ:

لا يعبق الطيبُ خدّيه ومفرقه ولا يُمسِّح عينيه من الكحل

والبيت من مديحية مشهورة لمسلم فى يزيد، عددّ فيها مناقبه وأشاد بصفاته؟ جوداً وكرماً وشجاعة وحلماً، وإباءً وشمماً، وأكد عدم شُغله بالطيب والتطيب والزينة.

ثم إن يزيد خرج من الحمام يوماً، وجلس على كرسى، ووقفت وصيفة له على رأسه وبيدها غلاف مرآة، وبيده هو مرآة ومشط يُسرِّح به لحيته، ثم تذكر بيت مسلم السابق، فوضع المرآة فى غلافها، وقال للجارية: انصرفى، فقد حرّم علينا مسلم الطيب[3].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ٤ أجزاء فى مجلدين، طبعة الخانجى ط ٥ ، ١٩٨٥ جـ ٢ ص ١٠٢.

(٢) الغزولى، مطالع البدور – مطبعة إدارة الوطن – الطبعة الأولى – ١٢٩٩هـ – جـ ١ ص ٦٢
المثلث نوع من أنواع الند الذى يتبخر به وهو أجودها وأعطرها ويتكون من أجزاء متساوية من كل من: العنبر رالشحرى، والعود الهندى، والمسك التبتى (نهاية الأرب جـ ١٢ ص ٦٦).

(٣) أبو الفرج الأصفهانى، الأغانى، تحقيق إبراهيم الابيارى، طبعة دار الشعب، ١٩٧٠، جـ ٢١ ص ٧٢٧٥، ديوان صريع الغوانى (مسلم بن الوليد) تحقيق د. سامى الدهان، دار المعارف بمصر ط ٣، ص ١٣

- ديك الجن والعطر

يروى أن الشاعر عبد السلام بن رغبان الحمصي المعروف (بـ ديك الجن) أهدى إلى زوجته ورد في ليلة زفافه، قارورة عطر نادر، لا يستجلبه إلا الملوك والأمراء، ولا يعرف سر تركيبة إلا هبة الله عطار الشام المشهور، وكانت دلال وصيفة ورد، تحب بكراً صديق ديك الجن، وقد عُرف عن بكر ولعه وحبه لألوان الطيب والعطر، وأراد أبو الطيب بن عم ديك الجن ان يستخدم سلاح الغيرة ضده — في ظل عقدته من النساء — التي طالما حدثته جدته العجوز بقصصهن، وسمّمت فكره بأخبار عندهن وخيانتهن، فانتهز أبو الطيب فرصة سفر ديك الجن لزيارة صديقه المريض أحمد بن على الهاشمي، واشترى قارورة من ذات العطر النفيس الذى كان قد اشتراه ديك الجن، لتكون سلاح المؤامرة الدنيئة، وأهداها إلى بكر، ثم نفث أبو الطيب أخباراً سامة عن علاقة بكر بورد، ولما عاد ديك الجن من سفره محزونا لوفاة صديقه — وكان قد أمن صديقه بكر على ماله وزوجته — قوبل بالاشاعة تملأ حمصا، وقد رّوجها أبو الطيب!! بل أبو الخبيث، فأسرع ديك الجن بقتل زوجته ورد وصديقه بكر، وكشفت المؤامرة بعد أن اعترفت الوصيفة دلال بأنها سرقت بعضا من عطر سيدتها ورد، كي تسترضى بها حبيبها بكراً، كما نثرت بعضا من العطر على فراشه لعلمها بولعه للطيب والعطر، ثم ظهرت قارورة العطر التى أهداها أبو الطيب إلى بكر — والتى دُسّت على ورد — كاملة ولم تُفتح، أما القارورة التى أهداها ديك الجن لعروسه ليلة زفافه فوجدت منقوصة، فوق منضدة زينتها، وتجلت براءة الحبيبة ورد، والصديق بكر، فظل ديك الجن ينشد أشعاره يبكيهما حتى امتزجت دموعه بدمائه[1].

- المتوكل وكاتبة بالمسك

حكى على بن الجهم الشاعر المعلق،وكان له اختصاص بالمتوكل، قال: لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه الشاعر الراوية أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ) جارية يقال لها محبوبة، كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها، فكانت تحسن كل ما

(١) الأغانى، جا ١٤ ص ٤٩٢٩، فتحى سعيد، عشاق لكن شعراء، سلسلة اقرأ، دار المعارف بمصر، ص ٨

* نفث: أطلق.

يحسنه علماء الناس، فحُسن موقعها من المتوكل، وحلت من قلبه محلاً عظيما، لم يعد لغيرها عنده، ودخلتُ عليه يوما للمنادمة، فقال لى: قدمت علىّ جاريتى قبيحة بيدها كأس بلور بشراب صاف، فأخذتها من يدها، وإذا على خدها جعفر مكتوبا بالمسك، فشربت الكأس وقبلت خدها، فما رأيت أحسن منه، فقل فيه شيئاً، وكانت محبوبة حاضرة تسمع الحديث من وراء الستار، فما أن طلب ابن الجهم ورقة وقلما ليكتب ما أمر به المتوكل حتى نطقت مرتجلة:

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا ... بنفسى مفحط المسك من حيث أثرا

لئن أثّرت بالمسك سطراً نحدها ... لقد أودعت قلبى من الحزن أسطرا

فيا من لملوك الملك يمينه ... مُطيعا له فيما أسر و أجهر

ويا من لعينى من رأى مثل جعفرا ... سقى الله صوب المستهلات جعفرا

يقول ابن الجهم: وتبلدت خواطرى، حتى كأنى ما أحسن حرْفاً من الشعر، فقال المتوكل ويلك يا علي، فقلت: يا سيدى: أقلنى فوالله لقد عزب عن ذهنى، فلم يزل يضرب على رأسى، ويعيّرنى به إلى أن مات"[1].

- الطِّيب المطيّب

دخل البحترى على الفتح بن خاقان وزير المتوكل ونديمه، وقد كان منه بمنزلة الروح والجسد، وأنشد القصيدة التى مطلعها:

ما للكبير فى الغوانى من أرب ... مات الهوى فلا جوى ولا طرب

فأمر له بعشرين ألف درهم، ورمى إليه بتمثال من ندٍّ كان فى يده، وفأر مسك، فقال البحترى: والله ما رأيت فأر مسك قط، فرمى إليه بعدة منها، فقال البحترى:

لئن كان هذا طيِّباً وهو طيِّبُ ... لقد طَيَّبَتْه من يَدَيْكَ الأنامِلُ[2]

---

(١) أقلنى: خذ بيدى واعذرنى، عزب: غاب وبَعُدَ.

المسعودى، مروج الذهب، تحقيق عبد الحميد، طبعة دار المعرفة، لبنان، فى أربعة أجزاء، ١٩٨٣، جـ٤ ص ١٢٥، النويرى، نهاية الأرب جـ ٥ ص ١١٢، الأصبهانى، الأغانى، جـ ٢٦ ص ٨٩١٧، وتنسب الأبيات برواية أخرى إلى فضل الشاعرة جارية المتوكل فى الأغانى، جـ ٢٢ ص ٧٦٢١.

(٢) ديوان البحترى، تحقيق حسن كامل الصيرفى، طبعة دار المعارف، فى خمسة أجزاء، جـ٥ ص ٢٦٩٨.

فما ألطف هذا المعنى فى مدح الوزير الفتح، بأن أنامل يديه المعطاءة الخيِّرة قد طيبّت ما أُعطى البحترى من نوافج المسك — وهو أطيب الطيب.

– طيب الإخشيد

يحكى أن محمد بن طفج الإخشيد، من ملوك فرغانة، وكل ملوكها يلقب بالإخشيد وحكم مصر والشام فى ٣٢٣ — ٣٣٤هـ، وقد وصف بالثراء وسعة العيش، حتى بالغ المؤرخ ابن زولاق فى الوصف فقال: إن خزانة طيبه حملت فى إحدى سفراته، على أكثر من خمسين جملا، وكان له بدمشق قبة مشبكة يتطيب فيها، فتصل رائحة الطيب إلى أقصى جهات المدينة[١]، وأثر عن الإخشيد أنه كان يحب العنبر، ويجمع منه مقادير كبيرة، حتى لم يكن يخفى على أهل دمشق رائحة بخوره[٢].

وعن نهاية الإخشيد تقول الدكتورة سيدة الكاشف، نقلا عن ابن سعيد، صاحب المغُرب فى حُلى المغرب "بعد وفاة الإخشيد بثلاث، وجُد الإخشيد قد انتفخ، وأكل الفأر أصابعه، وأكل الذر عينيه، فغُسل صباً وطلب له كافور فلم يوجد فى السوق إلا مغشوشا..."[٣]، أما المقريزى فيقول: " حدثنى محمد بن المنهال، قال: لقيت تابوت الإخشيد بنواحى طبرية على جمل أعور، والذين معه من السودان يتأذون بريحه، وإذا نزلوا بَعُدوا منه إلى أن وصلوا إلى بيت المقدس" ودفن هناك"[٤]

– المداد عطر الرجال

يروى أن أبا على بن مقلة شيخ الخطاطين، كان يأكل فلما رُفعت المائدة وغسل يده، رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوى التى كان يأكلها، ففتح الدواة واستمد نقطة من المداد، ونقطّها على الصفرة، حتى لم يُبق لها أثر، وقال: ذاك أثر شهوة، وهذا أثر صناعتى، ثم أنشد:

---

(١) لقب ملك الفرس (كسرى)، وملك الروم (قيصر)، وملك الحبشة (نجاشى)، وملك مصر (فرعون)

د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، دار النهضة المصرية، الطبعة التاسعة ١٩٧٩، فى أربعة أجزاء، جـ ٣ ص ١٣٦

(٢) د. سيدة اسماعيل الكاشف، مصر فى عهد الإخشيديين/ ص ٦٠، ٦٥، ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٣١.

(٤) المقريزى، المقفى الكبير، اختيار وتعليق محمد اليعلاوى، دار المذب الإسلامى، طبعة أولى ١٩٨٧، ص ١٣٦.

إنمـــا الزعفـــرانُ عطـــرُ العـــذارى ومـــدادُ الـــدواةِ عطـــرُ الـــرجال

ونظر جعفر بن محمد إلى ثيابه أثر المداد، وهو يستره، فقال له:

لا تجـــزعن مـــن المـــداد فإنـــه عطـــر الـــرجال وحلـــية الكـــتاب

وقال بعض الكتاب: عطروا دفاتر آدابكم يجيد الجر، فإن الأدب غوانى، والحبر غوالى، وأنشد أبو زيد:

إذا مـــا المســـك طـــيّبٌ ريـــح قـــومٍ كفتنـــــى ذاك رائحـــــة السّـــــواد

ومـــا مـــن شـــئ بأحســـنَ مـــن ثـــياب علـــى حافاتهـــا حِمَـــمُ السِّـــواد

وأنشد غيره:

مـن كـان يُعجبه فـى صحْنِ عارضة مســك يَطّـيبُ مـنه الـريحَ والنسِّـما

فـــإن مِسْـــكى مـــداد فـــوق أنملتـــى إذا الأصـــابعُ يـــوماً مسّـــتِ القلمـــا[1]

- مداد عُجِنَ بالمسك

كـان أبـو محمد عبد الله الفياض، كاتب سيف الدولة الحمدانى ونديمه، معروفا ببعد المدى فى مضمار الأدب وحلبة الكتابة، وقد أخذ بطرفى النظم والنثر، وكان سيف الدولة لا يؤثـر عليه فـى السفارة إلى حضـرته أحـداً، لحُسـن عـبارته، وقوة بيانه، ونفاذه فى اسـتغراق الأغـراض، وقـد بلـغ مـن أناقته فى الكتابة، وحرصه على كون السطور مطيَّبة وعطر، نشرا ومعنى، أنه كان يعجن المداد بالمسك، ولا يليق دواته إلا بماء الورد، خشية أن يقع عليه قول القائل بهجو كاتبا:

دخـــيلٌ فـــى الكـــتابة لـــيس مـــنها لـــــه فكـــــر تُعـــــد ولا بديـــــه

تشـــاكل امـــره خلقـــا وخَلقـــا فظاهـــــره لباطـــــنه شـــــبيه

كـــأن دواتـــه مـــن ريـــق فـــيه تـــلاق، فـــريحها أبـــداً كـــريه

---

(١) أبـو هلال العسكرى ديوان المعانى، طبعة مكتبة القدس بالقاهرة، جزءين فى مجلد واحد، جـ ٢ ص ٨٤، أحمد بن عبد ربه الأندلسى، العقد الفريد، تحقيق د. عبد المجيد الترحينى، دار الكتب العلمية ببيروت، ٩ مجلدات، جـ ٤ ص ٢٨٢، أبو بكر الصولى، أدب الكتاب، صححه محمد بهجة الأثرى والعلامة محمد وشكرى الالوسى، دار الكـتب العلمية لبنان، ص ١٠٢، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٢ ص ٤٧٣ وفيه " من كان يعجبه أن مسَّ عارضه".

وإيثار منه لقول أحمد بن إسماعيل:

فـي كفّـه مـثل سـنان الصَّـعدة أرقـشُ بـزّ الأقْحـوان جلْـده

كأنمـا الـنَّفَسُ إذا اسـتمده غالـيةُ مدوفـة بـنَدّه

وقال بعض الشعراء:

ومـا روضُ الـربيع وقـد زهـاه نَـدَى الأسـحارِ يـأرجُ بالغـدةِ

بأعـبقَ أو بأطـيبُ مـن نسـيمِ تـؤديه الإلاقـةُ مـن دواةٍ[1]

– الطين الممُسّك

تـزوج المعـتمد بـن عـباد، وكـان من ملوك اشبيلية بالأندلس، من جارية لتاجر يدعى رميك، وقـد تدلـه المعـتمد فـى حـبها، وعـرفت مكانهـا مـنه، فأسـرفت فـى الـدلال، واسترسـلت فـى النـزوات، فاسـتجاب لها مليكها العاشق فى كل ما تطلبه، حتى يروى أنهـا رأت القـرويان يمشـين فـى يـوم مطير بطرق أشبيلية الموحلة وعلى رؤوسهن الجرار رافعـات الثياب عن ساقهن، فقالت للمعتمد: يا سيدى، اشتهى أن أفعل وجوارى مثلى هـؤلاء النسـوة، فأمـر المعـتمد فسحقت ألوان الطيب من المسك والعنبر والكافور، ثم صب علـيها مـاء الـورد وعجـنت، وصـيِّر الجمـيع طينا!! بداخل القصر، ثم جعل لها جراراً تحمـل، وخـرجت الـرميكاء، مـع جـواريها تخوض فى الطين الكافورى المسك والمعنبر والمحلول بماء الورد!

فلمـا ابتز ملكه وساءت أحواله، ثم جرى بينهما ما قد يجرى بين الزوجين من نزاع، قالـت لـه: " والله مـا رأيـت مـنك خـيراً قط" فكان جوابه " ولا يوم الطين؟!! " تذكيرا وتبكيتا بما حدث فيه من إبادة الكثير من المال.

ويقول الفتح بن خاقان الأشبيلى:

---

(١) سـنان الصـعدة: القناة المستوية ، وأراد قلمه، أرقش: المنقط من الحيات، أقحوان: ذكر الحيات، بز: غلب وقهـر، يريد أنه اغتصب جلد الافعوان وليه، والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى، أبو بكر الصولى، أدب الكتاب، ص ٩٩ – ١٠٢.، الثعالبـى، يتيمة الدهر، تحقيق محمد محيى الدين، مكتبة الحسين أيوب، ١٩٤٧، فى أربعة أجزاء جـ ١ ص ١٠٢

وقـد حـدّد إبراهيم بن محمد الكاتب بعض الصفّات لكمال أهل الكتابة، من بينها: أن يكون الكاتب نقى الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة... العقد الأبد جـ ٤ ص ٢٥٣، يلبق: يلين.

"ولما أُسِر المعتمد فى أغمات، وفى أول عيد، دخل عليه من بنيه، من يسلم عليه ويهنئه، وفيهم بناته وعليهن اطمار، كأنهن كسوف وهن أقمار، يبكين عند التسايل، ويبدين الخشوع بعد التحايل، والضياع قد غبر صورهن، وحير نظرهن، وأقدامهن حافية، وآثار نعمهن عافية" وأنشد أبياتا مشجية مؤثرة، أشار فيها إلى قصة الطين المسك، قال:

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا ... فساءكَ العيدُ فى اغمات مأسورا

ترى بناتك فى الأطمار جائعة ... يغزلن للناسِ، لا يملكن قطميرا

برزْن نحَوك للتسليم خاشعة ... أبصارهن حسيراتٍ مكاسِيرا

يطأن فى الطين والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسْكاً وكافورا

من بات بعدكَ فى مُلك يُسرُّ به ... فإنما باتَ بالأحلام مغرورا[1]

فسبحان الله مالك الملك، يؤتى الملك من يشاء وينزع ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وصدق رسول الله (ﷺ) حيث قال فى حق النساء " لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيراً قط"[2].

- زر ذهب فى العنبر

ذكر عبد الرحمن بن نصر الدمشقى فى كتابه " التحفة والطرفة" أن أحد الوزراء خرج للتنزه، فرأى امرأة فى بعض القصور فأعجبته، فوقف متأملا لها، فأشارت إليه، وآنس منها قبولاً فأرسل إليها رسولا، يعلمها بشدة شوقه إليها ووجده بها، فردت رسوله ومعه تفاحة عنبر، فيها زر من ذهب، ولم تقل له شيئا، فلم يفطن هو ومن حضره لتأويل ذلك، فقال له ابنه أحمد: فهمت ما أرادت، ثم نظمه فى الحال فى بيتين:

أهدت لك العنبرُ فى جَوْفِه ... زرٌّ من التِّبر خفىٌّ اللَّحَام

فالزِّرّ فى العنبرِ معناهما ... زُرْ هكذا، مختفياً فى الظلام[3]

---

(١) الفتح بن حاقان، قلائد العقيان، مطبعة التقدم العلمية بمصر، ١٣٢٠هـ، ص ٢٥، المقرى، نفح الطيب جـ١ ص ٤٢٢، جـ ٦ ص ٥٣.

(٢) على أدهم، المعتمد بن عباد، وزارة الثقافة مصر، سلسلة أعلام العرب.

(٣) علـى بن ظافر الازرى، بدائع البدائة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٠ ص ٣٨٧، وأورد ابن خلكان القصة فى وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٧١ بطريقة قريبة.

- ندٌّ عن النَّدِّ

الند نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود، يبخر به، وهو طيب للغاية وحضر في مجلس الرشيد، طيب فيه ند غير طيب الرائحة، فقال الرشيد : " هذا ند عن الند" وهو نوع من التجنيس، يعنى أن ند الأدلى يراد بها بعد، والأخرى يراد بها الطيب المعروف، قد حكى ابن المعتز فى كتاب البديع : انه قدم فى بعض المجالس بخور الصديق، فقال له غلام صاحب المنزل : " تبخر فإنه ند، فلما ألقاه على النار لم يستطيبه، فقال: " هذا ند عن الند"[1].

---

(١) أسامة بن منقذ، البديع فى نقد الشعر، تحقيق د. أحمد بدوى وأخرى، وزارة الثقافة، طبعة مصطفى الحلبى ص ١٣.

الفصل الثانى

الطيب فى الشعر

تمادح العرب بكريم الصفات، وتفاخروا بأفضل الشمائل ومنها طيب الرائحة، وحسن الهيئة، وتهاجوا بعكس ذلك وذمه، ولما كان الشعر ديوان العرب، اجتمعوا عليه فى منتدياتهم وأسمائهم، وهتفوا به فى أسواقهم ومواسمهم، ونهض الشعراء — وهم أرق الناس — فى كل عصر ومصر، وصفاً لمجالس الملوك والأمراء، ومدحاً للقادة والرؤساء، وفخراً بالسادة من بنى العلياء، وعددوا فى مراثيهم مناقب الموتى رحما كانوا أو من الكبراء، ونشروا" فى قصائدهم كل نشر طيب من عاطر الكلم.

♠ أولاً: الطيب في شعر المدح.

المدح هو الثناء على إنسان بما يستحسن من الفضائل، وقد مدحت العرب خلالا مشهورة من الخُلُق، مثل: السخاء والكرم والشجاعة والحماسة، والفصل والأمانة والعفة والصبر والورع، ومن الخَلْق، مثل: الجمال والحسن وطيب الرائحة.

وقد تفنن الشعراء فى المديح، بأن يصفوا حسن خِلقة الإنسان، ويعددوا الفضائل الأربع: العقل والشجاعة والعدل والعفة، وأقسامها، وما يتركب منها بعضها مع بعض[1]

فالخليفة أو الأمير الممدوح على كرمه وشجاعته، وبأسه وقوته، وإشراق جماله وحسن صورته، يجب أن يكون نظيف الأعضاء، جميل الملابس،ينثر الطيب والعطر بين يديه[2]

ونعرض فيما يلى لبعض أنواع المدح، فنبدأ بأطايب المدائح النبوية التى هتف بها المحبون لرسول الله (ﷺ)، وما قيل فى طيبة الطيبة، ثم نعرض بعد ذلك ألوانا فى المديح المطيب فيما قيل فى الملوك والسادة، والعلماء والقادة.

أطايب المدائح النبوية

المدح من فنون الشعر العربى المعتبرة، وما يقال من ثناء على متوفٍ، وتعداد لمناقبه يسمى رثاء، وهذا حكم مطرد فى كل المراثى إلا فى سيدنا رسول الله (ﷺ) فإنه يسمى مدحاً، كأنه (ﷺ) موصول الحياة، وأنه يخاطب كما يخاطب الأحياء[3].

---

(١) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨ ص ٩٧.

(٢) قسامى الدهان، المديح، سلسلة فنون الأدب العربى، دار المعارف بمصر، طبعة رابعة، ص ٢٣.

(٣) زكى مبارك، المدائح النبوية فى الأدب العربى، طبعة دار الشعب، ص ١٤.

ويمتاز شعر المدائح النبوية بالتجرد عن طلب الدنيا، والتوجه لمرضاة الله سبحانه وتعالى، بحب رسوله (ﷺ)، وقصائده تنظر دائما إلى عطاء السماء، لا إلى خزائن الأرض، ولا تنتظر المنح والرِّفد، بل تتطلع إلى رضوان الله وشفاعة النبى (ﷺ).

وعلى مختلف الأعصر الأدبية، انشد المحبون لرسول الله (ﷺ)، ولا يزالون وسوف يستمرون حتى تقوم الساعة إن شاء الله، هتافاً بجليل المعانى، وعذب الألفاظ، حباً ووفاءً ومدحاً وثناءً على صاحب الرسالة الأمين، سيدنا محمد (ﷺ)، فهذا شاعر الرسول حسان بن ثابت يدعو إلى وضع الجسد الطاهر فى طبقات من أصناف الطيب منسقة بعضها فوق بعض:

ألا دَفَنْتم رسولَ اللهِ فى سَفْطٍ   من الألُوّةِ والكافورِ منْضُود[1]

والشاعر الأندلسى ابن هانئ، يعتبر أن مناجاة الرسول (ﷺ) ومدحه هى مسك مجالس المحبين العارفين:

تكادُ مناجاة النبى محمداً   تنم بها مسكا على الشم ذائعاً[2]

وقد أكثر الشاعر الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصرى — نسبة إلى صرصر قرب بغداد — من المدائح النبوية فى شعره، ويقول إن المدائح تكتسب نشرا طيبا، من ريح الطيب الطاهر (ﷺ):

أوَجْهُك أم ضوءُ الصباح تبلجا   أم البدر فى ضوءِ الكمال جَلا الدجى

وبرق سرى، أم نورُ ثغِرك باسماً   ونشرُك أم مسك ذكى تأرجا

إليك رسول الله أُهدى مدائحى   فتكسب من ريّاك نَشرا مؤرجاً

ويشير إلى طيب عرق الرسول (ﷺ)، وسبق أن ألمحنا إلى ما كانت تفعل به أم أنس ابن مالك، وكذا طيب بردته الشريفة ولباسه بعامة:

وإذا تكللّ بالجمان جبينه   عَرقاً لأمر عُظِّت أسراره

فلريحه أذكى وأطيب مَخبرا   من ريح مسكٍ فَضّهُ عطارُه

وتضوعت أردان بُردته به   طيباً، وطاب رداؤه وإزارُه[3]

---

(١) ديوان حسان بن ثابت، ص ٣٨٠.

(٢) ديوان ابن سهل الأندلسى، تحقيق يسرى عبد الغنى عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨، ص ٥٤.

(٣) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، تحقيق د. احسان عباس، جـ ٤ ص ٢٩٩، ٣٠٢.

وفى قصيدة البردة أو البُرأة،للمادح البوصيرى، والذى رأى فى منامه أن الرسول (ﷺ) قد خلع عليه بردته الشريفة، وهو ينشدها فى حضرته، فبرأ من مرضه، يقول:

لا طيبَ يعدل تُربا ضم أعظمه طوبى لمنتشق منه ومُلتثم

أَبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدأ منه ومُختتم

ويقول إن مدائح الرسول هى شفاء القلوب، وفرج الكروب، ومغفرة الذنوب، حتى كأنها حل وطيب:

بمدح المصطفى تحيا القلوب وتغتفر الخطايا والذنوب

يفرِّج ذكره الكُربات عنا إذا نزلت بساحتنا الكروب

مدائحه تزيد القلب شوقا إليه، كأنها حلى وطيب

ثم يُهدى أعطر صلاة، يشم من أرجها طيب الجنة، فمدح الرسول (ﷺ) والصلاة عليه تُحيى القلوب

أزكى صلاة وأنماها وأشرفها يُعطِّر الكون ريّا نشرها العَطر

مفتوقة بعبير المسك زاكية من طيبها أرج الرضوان ينتشر[1]

وكان تقى الدين شبيب بن حمدان الطبيب الكحال نزيل القاهرة، محبا للرسول (ﷺ) ويدعو إلى الفخر بأن نعفر الخدود بالتراب المسك الطاهر فى مقام الرسول (ﷺ) حتى تشملنا أنوار الهداية

هذا مقام محمد والمنبرِ فاستَجلْ انوارَ الهداية وانُظر

والثُم ثرى ذاكَ الجنابِ مُعَفِّرا فى مسكِ تربته خدودَك وافْخرِ[2]

وذكر صفى الدين الحلبى، أشعر شعراء العصر المغولى، وكان من العراق، أن ذِكر الرسول (ﷺ) يكاد يُكسب الأزهار طيب نشر من ريحه الطيب:

وفاح من أرج الأزهارِ مُنتشرا نشراً تعطّر منه كل مُنْتَشق

كان ذكر رسول الله مرّ بها فأكِسبت أرجاً من نشرهِ العَبَق[3]

---

(١) ديوان البوصيرى، تحقيق محمد سيد كيلانى، طبعة مصطفى الحلبى، الطبعة الثانية،١٩٧٣، ص٢٤٢، ٢٧٢.

(٢) فوات الوفيات، جـ ٢ ص ٩٨. الكحال: طبيب العيون.

(٣) ديوان صفى الدين الحلى، دار صادر بيروت، ص ٨٤.

ويدعو الفقيه القاضى محمد بن شبرين، من غرناطة، إلى المزيد من حب الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) بالصلاة عليه وذكر الله، حتى تنال طيب رضاه، فإن ذلك من حب الله:

ألا يا محبُ المصطفى زدْ صَبَابةً   وضمِّخ لسانَ الذكّر منه بطيبه
ولا تعْبأن بالمبُطلين فإنما   علامةُ حبٍّ الله حبُ حبيبهِ[1]

ويعتذر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى من غرناطة، عن عدم الوفاء بقدر الرسول (ﷺ) فى المدح بما هو أهله، فقد مدحه الله فى القرآن الكريم بكل طيب طاهر من الكلم.

قَصّرْتُ فى مدحى فإن يك طيباً   فبما لذِكرك من أريجِ الطيبِ
ماذا عسى يبْغى المطيل وقد حَوَى   فى مدحكِ القرآنُ كل مُطيب[2]

وقال الشاعر ابن حجة الحموى:

شدت بكم العشاقُ لّما ترنموا   فَغَنُّوا وقد طابَ المقامُ وزمزم
وضاعَ شذاكم بين سلع وحاجر   فكان دليل الظاعنين إليكم
عليكَ سلامٌ نشرهُ كلما بدا   به يتغالى الطيب، والمسكُ يُختم[3]

وأُشرب قلب الشاعر أبو عبد الله احمد المقرى حب رسول الله (ﷺ) وزخر كتابيه: نفح الطيب وأزهار الرياض، بأطايب المدائح النبوية، لكل المحبين، وقد عبر عن ذلك الحب فى قوله:

وأجل الكلام، ما كان فى مد   حِ شفيع الورى عليه السلام
طيب العرْفِ دائم الذكر، لاتأ   تى الليالى عليه والأيام[4]

(١) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، جـ٣ ص ٤٦٠.

(٢) المصدر السابق، جـ٣ ص ٥٠٩.

(٣) الغزولى، مطالع البدور فى منازل السرور، جـ ١ ص ٥٥.

(٤) المقرى – نفح الطيب

طيبة المُطيّبة

المدينة المنورة، حرم الرسول (ﷺ)، فيها مسجده وبداخله الروضة الشريفة، تعددت أسماؤها، والمشهور منها أربعة: طابة وطَيبة وطِيبة والمطيبة، وهى أخوات لفظا ومعنى، مختلفات صيغة ومبنى، فمبنى طابة مثل طاقة، ومبنى طَيْبة مثل غَيْبة، ومبنى طِيبة مثل غِيبَة[1]

وفى الحديث عن جابر بن سمرة أن الله تعالى سماها طابة[2] وعن عبد الله بن جعفر ان الله قد أمر الرسول (ﷺ) أن يسميها طيبة[3].

وسبب التسمية: إما من الطيب وهو الرائحة الحسنة، لحسن رائحة تربتها، وتمتاز بأن من سكنها وجد فى تربتها وحيطانها رائحة طيبة، والعجونات من الطيب فيها أحَدُّ من غيرها[4]، فالمسك وجميع الطيب يوجد لهما من التضوع والفوح بطيبة، أضعاف ما يوجد فى سائر البلاد[5]، فهى طيبة وإن لم يكن فيها شئ من الطيب، والعيش فيها طيب حيث تتوافق النفوس الكريمة، والأرواح الطاهرة التى تتجاذب وتتآلف، وكفى وجود الرسول (ﷺ) فيها، ولله در القائل:

ماذا على من شمّ تُربة احمدٍ ألا يَشمُ على الزمانِ غواليا[6]

وهى طاهرة من الدنس، خالصة من الشرك بعد هجرة الرسول (ﷺ) واتخاذها حاضرة للدولة الإسلامية، وكان يطلق عليها فى الجاهلية يثرب، من التثريب بمعنى الفساد أو بمعنى اللوم والتوبيخ[7]

---

(١) العباسى، عمدة الأخبار فى مدينة المختار، تحقيق حمد الجاسر، الطبعة الخامسة، نشرة أسعد درا بزونى، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ص ٧٣.

(٢) ابن حجر العسقلانى، فتح البارى بشرح صحيح البخارى، طبعة الريان بمصر، فى ٢٣ جزءا، ١٩٨٠، جـ٤ ص ١٠٦.

(٣) صحيح مسلم شرح النووى، طبعة دار الشعب، ١٩٨٠، باب فضل المدينة جـ ٣ ص ٥١٣.

(٤) الزهرى، الجعرافية، تحقيق محمد صادق الحاج، مكتبة الثقافة الدينية، ص ٣٧.

(٥) الزركشى، إعلام الساجد فى أعلام المساجد، المجلس الاعلى للشئون الإسلامية مصر، ١٩٧٠ ص ٢٣٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة ترب، جـ ١ ص ٤٧٥.

ويشير كثير من الشعراء إلى طيب العيش فى طيبة المطيبة الطاهرة، والتى طابت باستقرار الطيب الطاهر (ﷺ)، فطلبا لطيب الجوار، مع أحب الأحباب والأطهار وذلك الجوار الذى يجير الإنسان من جور الزمان، وكم لك يا منازل فى القلوب من منازل، فالديار والمنازل تُحب من أجل من سكنها، ومن فضل المجاورة شفاعة رسول الله (ﷺ)، ففى الحديث الذى رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد وابن حبان، عن ابن عمر، قال رسول الله (ﷺ): من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها"[1].

قال حسان بن ثابت

بطيبة رسمٌ للرسول ومعهد منير، وقد تعفو الرسوم وتهمد[2]

وعندما شارف ابن جبير الكنانى، صاحب الرحلة المشهورة إلى الأماكن المقدسة، وتكحلت عينه بمرأى المدينة المنورة هتف منشدا:

أقولُ وآنستُ بالليل ناراً لعل سراجَ الهُدى قد أنارا

وهذا النسيمُ شذا المسكِ قد أُعير، أم المسكُ منه استعارا

جرى ذكر طيْبةَ ما بيننا فلا قلبَ فى الركب إلا وطارا

حنيناً إلى أحمد المصطفى وشوقاً يهيجُ الضلوعَ استعارا[3]

وللفقيه الشاعر محمد بن رشيد الفهرى السبتى، رحلة إلى الأماكن المقدسة أيضا، ضمنها كتابه "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة، فى الوجهتين الكريمتين، إلى مكة وطيبة" قال عن طيبة:

ربوعَ يودُّ المسكُ طيبَ ترابها ويهوى حصىً فيها عقيق وجوهرُ

فطوبى لمن أضحى بطيبة ثاوياً يجر أذيال الفخار وينشرُ

وَرَدتُ فيا طيبَ الورودِ بطيبة صَددتُ فواحزنى فلا كان مصدر

إذا ما بدت للعين أعلام طيبة ولاحت قباب كالكواكب تُزْهرُ

---

(١) مختصر شرح الجامع الصغيرة جـ ٢ ص ٢٧٧.

(٢) ديوان حسان بن ثابت، ص ٩٦.

(٣) الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ ٢ ص ٢٣٥.

هناك، هناك، القرب فانعم بنبلةْ بحيث ثوى جسم كريم مُطهَّرُ

ودع عنك تطواف البلاد وخَيْمن بطيبة طابتْ فهى مسك وعنبرُ[1]

ولقد ضّمن خليل بن أيبك الصفدى، الأماكن المقدسة فى بيتين، مراعياً طريقته المفضلة فى التجنيس:

وفى عرفاتٍ عُرفه فاح عَرْفُه فراح ثراها بالندى وهو عاطر

ونال المُنى منه الحجيج على " منِى" وطابت مغانى " طيْبة" وهو زائر[2]

وعن طيبة وطيبها وجمالها، ونسبة ذلك إلى الرسول (ﷺ) ينقل العباس عن الفقيه أبى محمد

لقد طبتَ، إن الطيبَ بعضُ خصالك أطيبه قد يُقضى لنا بوِصَالِك

وطبت لمن طابَ الجناب بطيبةٍ فأضحى مثال الشمسِ دون مثالكِ

ومن طيبك الآفاقُ طُرًّا تُطيّبُ ولا طيبَ إلا ما شذا من هلالكِ

جمالُك منسوب إلى خير مرسلٍ فأى جمالٍ لا يُرى من جمالك؟![3]

وأشار المقرى إلى كتاب الإمام أبو عبد الله محمد العطار الجزائرى، والمسمى " نظم الدرر فى نسب سيد البشر، وقد تضمن مدائح نبوية كثيرة، منها قوله فى المدينة:

أبداً تشُوقك أو تروقُك يثرب فإلى متى يُقصيك عنها المغربُ

هى جنة فى النفس يعذُب ذِكرها والقربُ منها والتدانى أعذبُ

المسكُ معترف بأن نسيمها أسمى وأسرى فى النفوس وأطيبُ

والعنبر الوردى دانَ لطيبها منه التعطرُ والتأرج يُطلبُ

حتى النسيمُ إذا سرى من ربعها يثنى من الروض الغصون ويطربُ

---

(١) المصدر السابق، جـ ٣ ص ١٣٩.

(٢) خليل ايبك الصفدى – جنائم الجناس، تحقيق سمير حسين حلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٠٥.

(٣) عمدة الأخبار، ص ٧٣.

حـيّا فأحـيا المستهام بطيـبه فنفوسـنا بهـبوبه تَسـتطيبُ

يـا حـبذا فـى ربـع طيْـبة وقفـة بـين الـركائب والمدامـع تُسـكبُ[1]

والمقرى التلمسانى نفسه محب عظيم، عرفنا بعضا من مدائحه النبوية، ونورد بعض قصيده فى طيبة:

إذا لم تَطَب فـى طيـبْة عـند طـيِّبٍ بـه طيـبة طابـت، فـأين تطـيبُ؟

وإذا لم يُحـب فـى أرضـها ربُّنا الدُّعا ففـى أى أرض للـدعء يجـيبُ؟

أيـا سَـاكنى أكـناف طيـبة كلكـم إلى القلـب من أجل الحبيب حبيب[2]

وقال أيضا:

يـا شـفيعَ العصـاةِ أنـت رجائـى كـيف يخشـى الـرجاء عـندك خَيْـبة

لـيس بالعـيشِ فـى الـبلاد انـتفاعٌ أطـيبُ العـيشِ مـا يكـون بطيْـبة[3]

وهكـذا تغنـى الشـعراء بحب طيبة الطيِّبة المُطيِّبة، مثوى الحبيب، رسول الله (ﷺ)، ودبجـوا قصـائدهم بأعطـر الألفاظ وأطـيب المعانى، وصولا إلى قلوب المحبين الذى يأرج بينهم ذكر طيبة وعرفها، فكان له فى النفوس فعل السحر الجلال.

المدح المطيَّب

أشـاد الشعراء بـنعت ممدوحـيهم بملازمـة الطـيب كـناية عـن العيش الناعم والحياة الـرغدة فهـذا المسَيب بن علس، يمدح بنى شيبان، بأصولهم وخلقهم بالإضافة إلى طيب ريحهم:

تبـيتُ الملـوك علـى عتبـتها وشـيبان إن غضـبت تُعـتبُ

وكالشـهدِ بالـراح ألفـاظهم وأخلاقهـم مـنها أعـذبُ

وكالمسـكِ تُـرب مقامـاتِهم وتُـرْب قُـبورهم أطـيبُ[4]

---

(١) المقرى، نفح الطيب، جـ ١٠ ص ٣٤١.

(٢) المصدر السابق، جـ ١ ص ٥٥.

(٣) المصدر السابق، جـ ١ ص ٦٣.

(٤) المسـيب بن علس (خال الأعشى بن قيس، وراويته) وكان شاعراً مقلا مجيدا، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، جـ ١ ص ٨٢.

كما مدح كعب بن زهر (صاحب اللامية المشهورة فى مدح الرسول "ﷺ"، قوماً بالكرم، وطيب الرائحة، قال:

المطمعـــون إذا مـــا أزمـــةَ أَزَمـــت والطيِّـــبون ثـــياباً كلمـــا عَـــرِقوا[1]

أمـا الشاعر الحزين الكنانى، فقد دخل على عبد الله بن عبد الملك بن مروان، فأذهله جماله وبهاءه، وطيب ريحه، فقال:

فـــى كفِّــه خيــزرانٌ ريحهـــا عَـــبقٌ مـن كـف أروع فـــى عـرنينه شمـم[2]

وبخـلاف ملازمـة الطيب والتطيب، يربط الشعراء بين صفات الجود والكرم، والعطاء وأدوات ذلك العطاء: اليد والكف، فيشيد الشعراء بطيب ريح اليد أو الكف وهم يقصدون العطاء والنوال، قال الفرزدق:

ومـا مـسّ كفـى مـن يـد طابَ ريُحها مـن الـناسِ، إلا ريـحُ كفِّـك أعطـر[3]

وبمـثل ذلـك مـدح الشـاعر المخضـرم سـلمة بن عياش، ممدوحه جعفر بن سليمان مع ملاحظة اتفاق جذعى البيتين قال:

ومـا شـمّ أنِفـى ريـحُ كـفٍّ شَـمَمْتها مـن الـناس، إلا ريـح كفِّـك أطـيب[4]

وقـال الشـاعر صردر، الـذى عـاش فـى العـراق وخراسان، فى ممدوحه، أن يده قد اقترنت بالمكارم من كثرة العطايا، إلى جانب ألوان الطيب من المسك والعنبر

يـــد عَـــبَقت بالمكـــرمات وضُـــمِّخت ومـا الطـيب إلا مِسْـكها وعـبيرها[5]

---

(١) ابن قيتبة، عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣، فى أربعة مجلدات، مجلد ٣ ص ٣٠٤

(٢) * الحزين الكنانى كان شاعراً أموياً، عاش فى الحجاز وكان هجاء.

ويخطئ الأصفهانى فى الأغانى جـ ١٦ ص ٥٦٧٤ من ينسب البيت للفرزدق فى مدح على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

(٣) ينسبه صاحب نزهة الأبصار، ص ٢٣ إلى الفرزدق، وغير موجودة فى ديوانه.

(٤) الأغانى، جـ ٢٣ ص ٧٩٨٨.

(٥) ديوان صردر، طبعة وزارة الثقافة – ١٩٧٠، ص ٥٨.

ومع العطاء يكون الثناء، الذى يصفه الشعراء بطيب الرائحة، فطيب الثناء فى الأذن مسموع، مثل طيب الريحان فى الأنف مشموم، وفى ذلك يقول صريع الغوانى مسلم بن الوليد فى ممدوحه:

يلقاكَ منه ثناؤه وعطاؤه بذكاء رائحةٍ وطيبِ مذاق[1]

وفى البرامكة الذى أسرف مسلم فى مدحهم، قال:

ثناءٌ كعرفِ الطيب يُهدى لأهلهِ وليسَ له إلا بنى خالدٍ أهلُ[2]

ومثل ذلك قول شاعر:

وليس فتيقُ المسكِ ما تجدونه ولكن ذاكَ الثناءُ المخلّفُ[3]

وقال أبو تمام:

فوالله لا أنفك أهدى شوادراً إليك يُحمله الثناء المبجلا

ألذ من السلوى وأطيب نفحة من المسك مفتوناً وأيسر محملا

وقال ابن الرومى:

أعبقْتَه من طيب ريحك عبقةً كادتْ تكونُ ثناءك المسموعا[4]

وقد فتح الشعراء باب فى تشبيه الفرح والسرور بالطيب والعطر، ويكثر فى مناسبات التهانى والتهادى، وقد هنأ الشاعر ابن الرومى ممدوحه بفصاد (عملية جراحية) حتى أنه شبه دم الفصاد بعصارة المسك الأذفر، وأن بقية من ذلك الدم ستكون عنبرا على مر الأيام، قال:

عِرُقَ فراه شباَ الحديدة عن دم كعصارة المسك الذكى الأذفر

إنى أظن قرارة حَظَيْت به ستكون أخرى الدهر معدن عنبر[5]

---

(١) ديوان مسلم بن الوليد، ٣٢٩، ٣٣٣.

(٢) ديوان مسلم بن الوليد، ٣٢٩، ٣٣٣.

(٣) النهشلى، اختيار الممتع فى علم الشعر وعمله، تحقيق دكتور محمود شاكر القطان، دار المعارف ١٩٨٣، ط١ ص ١٧٨

(٤) ديوان ابن الرومى.

(٥) نزهة الأبصار فى محاسن الأشعار – شهاب الدين العنابى – ص ٢٠١.

ويهنى أبو عبادة البحترى الخليفة المتوكل، بسلامة وزيره ونديمه الفتح بن خاقان من الغرق:

لتهنئ أمير المؤمنين عطية من اللهِ يزكو نَيْلها ويطيبُ

بقيتَ أمير المؤمنين فأنما بقاؤك حسنٌ للزمان وطيبُ[1]

وفى الفتح بن خاقان يقول البحترى

والغوانى وإن غَنَينْ عفافاً يُطَيبهن منه حُسنُ وطيب[2]

وفى نعت ممدوحيه أتى أبو الطيب المتنبى بالصور المبتكرة، والمعانى النادرة، وحلق فى سماء المدح عاليا بخياله الخصب المجنح، وقد استخدم فكرة تفصيل الجزء على الكل فى مدحه سيف الدولة الحمدانى، حيث قال:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسكَ بعض دم الغزال[3]

وقد أجاد استخدام كنية كافور الاخشيدى بأبى المسك، حيث كان أسود البشرة، وربطها برشاقة وإحكام بالطيب فى مديحه

إنما يفخر الكريمُ أبو المسك مما يبتنى من العلياء

وبمسكٍ يُكنى به ليس بالمسك ولكنه أريج الثناء[4]

وقال أيضا فيه:

أبا كلِّ طيب لا أبا المسكِ وحده وكلّ سحابٍ لا أطنُ العواديا[5]

وفى مدح الشاعر ابن هانئ للخليفة المعز لدين الله الفاطمى، يقول إن أنفاس المعز تشبه عبير الروضة المعطرة فى وقت الربيع

أهدى الربيعُ إلينا روضةً أُنفُاً كما تنفّس عن كافوره السَّفْط

والريح تبعث أنفاساً معطرةً مثل العبير بماء الورد يختلط

---

(١) ديوان البحترى جـ ١ ص ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق، جـ ١ ص ٣٥٠.

(٣) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى، عبد الرحمن البرقوقى، دار الكتاب العربى بيروت، ١٩٨٠، جـ ٣، ص ١٥١

(٤) المصدر السابق: جـ ١ ص ١٥١.

(٥) المصدر السابق، جـ ٤٢٦.

كأنما هي أنفاسُ المعز سَرَت   لا شبهة للندى فيها ولا غلط[1]

ويقول عن جعفربن أحمد بن على بن حمدون القائد الشيعى، إن الثناء عليه بطيب الأفواء، فتعذب الثغور

قد طيّب الأفواة، طيبُ ثنائه   من أجل ذا بخر الثغور عذابا[2]

وكما قال البحترى للمتوكل " بقاؤك حسن للزمان وطيب، مدح القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى، الصاحب بن عباد، فقال إن الدهر والدنيا تطيب من ظلالك:

بك الدهرُ يُبدْى ظلة ويطيبُ   ويُقلع عما ساءنا ويتوبُ

تهلّل وجهُ المجدِ وابتسم الندىِ   واصبح غُصن الفضل وهو رطيبُ

فلا زالت الدنيا بِمُلكك طَلقة   ولا زال فيها من ظلالكِ طيبُ[3]

وتوسع الشعراء فى وصف طيب شمائل المدوح، وتشبيهها بألوان الطيب والعطر التى تفوح كرما وجوداً وحسنا بين الناس

ومدح الشاعر أحمد بن دراج القسطلى شمائل القائد السرقطى منذر بن يحيى التجيبى، بأنها من طيبها توزع على الناس ريحها:

وشمائلٌ عبقت بها سبل الهدى   وذرت على الآفاق مسكاً أذفرا[4]

وبمثل ذلك خاطب الشاعر ابن شهيد الوزير أبا مروان بن إدريس الجزيرى وربط بين حسن شعره ورسائله، وشمائله الطيبة التى تشبة ريح الورد

يا سيدا أرحت طيبا شمائلة   وشاكلت شعره حسناً رسائله

الورد عهداً، ونشراً، صنو عهدك، لا   تُنسى أواخره طيبا شمائله[5]

---

(١) ديوان ابن هانئ، دار صادر بيروت، بدون تاريخ ص ١٨٤.

(٢) المصدر السابق ص ٥١.

(٣) ياقوت الحموى البغدادى، دار الفكر العربى ببروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠، ٢٠ جزءاً فى ١٠ مجلدات، جـ ١٤ ص ٣٢.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة، دار الخانجى بمصر، ١٩٨٠، أربعة أجزاء جـ ٣ ص ٢٨٤.

(٥) ديوان ابن شهيد/ جمعة يعقوب ذكى، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، مصر، ص ١٤٦ شاكل: شابه.

وأكثروا من ربط التهانى والأمنيات بريح العطر والطيب قال الشاعر أبو سعيد الرستمى من أبناء أصبهانى:

نـــبأٌ تباشَـــرَت القلـــوبُ لذِكـــرْه أذْكـى مـن المسـكِ الذكـىِّ وأعـرفُ[1]

وهنأ الحسن بن رشيق صديقا له بمولود، قال:

بُشـراى بـل بُشـرى الـنَّدى والجـود طلعـــت بســـعدِ طلعـــةِ المولـــود

حـــل الســـرور بكـــل قلـــبٍ ثاويـــاً لا مـــثل قلـــبِ المجـــد والتوحـــيد

وتعطّـــر الأفْـــقِ البعـــيد لذِكـــره طيـباً وأظهـر نضـرةً فـى العـودِ[2]

وشاعر الأندلس الكبير ابن زيدون، الذى وزر للمعتضد ابن عباد، وعمل كاتبا له وسفيرا إلى الملوك والأمراء، وكان نديمه يشاركه مجالس سمره ولهوه، ويدخل حمام القصر، فيبعث له المعتضد ببخور وطيب، فيلهج ابن زيدون بالثناء عليه، قائلا

رضـــاك لـــنا قـــبل الطهـــور مُطهّـــر وقُـــربك مـــن دون الـــبخور مُعَطّـــرُ

فلـــو عـــزّ حَمّـــام لأدفأنـــا ذرى يفـــيض بـــه مـــاء الـــندى المتفجّـــرُ

ولم لم يكـــن طـــيب لأغْـــنت حفـــاوة تُمسّـــك مـــنها حالـــنا وتعَنْـــبرُ

فـــلا فـــارق الدنـــيا ســـناء مقـــدس بعيْشـــك فـــيها، أو ثـــناء مجمـــرُ[3]

وأطال الشاعر أبو بكر بن عمار، القول فى ملكيه ونديمه المعتمد بن عباد، وأشاد بخلقه وكرمه بأبيات عطرة بأطيب الصفات، قال:

مَلِـــكَ يـــروقك خَلْقـــه أو خُلْقـــه كالـروض يَحسُـن منظـرا أو مَخْـــبرا

قـــاح الثـــرى متعطّـــرا بثـــنائه حتـى حَسِـبْنا كـل تُـربٍ عنـــبرا

---

(١) يتيمة الدهر، جـ ٣ ص ٣١٨.

(٢) نزهة الأبصار، ص ٢٠٨.

(٣) ديوان ابن زيدون، شرح محمد سيد كيلانى، دار مصطفى الحلبى بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٥، ص ١٢١، الذرى: الكن من البرد والريح، والمراد هنا الظل او الحمى، كأن تقول فلان يعيش فى ذرى فلان، اللسان جـ ٣ ص ١٥٠٠.

نمقْـــتُها وشـــيا بذكـــرك مُذْهــبا   وفَتقْــتُها مســـكاً بحمـــدكِ أذفـــرا

مـــن ذا ينافحنـــى وذكُـــرك صـندل   أوْردْتــه مـــن نـــار فكـــرى مَجْمـــرا

فلـئن وجـدتَ نسـيمَ مدحـىَ عاطـرا   فلقـد وَجـدْتُ نسـيمَ بِّـرك أعطـر[1]

ومـدح شاعر، أحد الأجواد الكرماء فى حبسه، وشبهه بالمسك وقد حبس فى وعائه، ولكن نشره وعطاؤه منطلق فى كل المكان:

إن يَحْبســـوك فـــإن جُـــوَدك ســـائرُ   أو قـــيّدوك، فـــإن ذكـــرك مُطلـــقُ

والمسـكُ يخـزنُ فـى الـوعاء ونشـرهُ   أبـــداً بأفنـــيةِ المـــنازل يَعـــبُقُ[2]

وقـال الحسـن بـن أحمـد الكاتـب، وكـان مـن كبار مشايخ المصريين، إن روائح نسيم المحـبة تفـوح مـن المحـبين، وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن اخفوها، وفى ذلك المعنى:

إذا مـا أسـرّت أنفـسُ الـناسِ ذكـرةَ   تُبيـــــنهُ فـــيهم ولم يـــــتكلّموُا

تطـــيبُ بـــه أنفاســـهُمُ فـــتذِيُعها   وهـل سرُّ مسكٍ أودع الـريحَ يكـتمُ[3]

ومثل ذلك قال الشاعر صفى الدين الحلبى، فى ممدوحه

يُخفـى مكارمُــه، والجـود يُظهـرها   وكـيف يَخْفَـى أريجُ المسك إن نفحا[4]

وقـال أبـو الحسـن علـى بـن أبى طالب البلخى من قصيدة نقلها الباخرزى من كتاب "قلائـد الشـرق" إن خصال ممدوحه يفوح منها ما يفوق المسك طيبا، ويمنه وكرمه لو حّل بالأرض الجدباء، لتفتق عنها أعطر أنوار الربيع:

يفـوحُ إليـــنا مـــن نســـيم خصـــالهِ   أريـجُ كـريح المسـكِ بـل هـو أعـبقُ

ولـو حـلّ بـالأرض الجديـبة يُمـنهُ   لظلّـــت بأنـــوار الـــربيع تفـــتّقُ[5]

---

(١) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، مطبعة التقدم العلمية بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٠هـ، ص ٩٩.

(٢) دكتور على شلق، الشم فى الشعر العربى، دار الأندلس بيروت ١٩٨٤ ص ٨٧.

(٣) الأبشيهى، المستطرف فى كل فن مستظرف، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٨٨، جـ ١ ص ٢١٤.

(٤) ديوان صفى الدين الحلبى، ص ١٦٠.

(٥) الباخـرزى، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار الفكر العربى مصر، فى ثلاثة أجزاء جـ ٢ ص ٢٨٤.

ويعبر عن أشواق الأحباب، بعاطر التحيات، وطيب السلامات، ولذلك يشبة الشعراء تحاياهم وأشواقهم بألوان العطر والطيب، ويمزجونها بها ويرسلونها إلى محبيهم وممدوحيهم، فقال شاعر:

سلام كما فاح الزكى من الندِّ   على من له فى مُهجتى خالصُ الودُّ[1]

وقال آخر:

سلامٌ إذا فاحتْ روائحِ عِطْرٌ   كفَتْك من الكافورِ والمسكِ والندّ[2]

وقال ثالث:

سلام كنشر الطِّيب عُلِّل بالقَطْر   وقادت به أنفاسُ رائحة تسْرى

فأهدت إلى مشتاقها طيب عنبرِ   ومسكِ ذكىِ الريح من ذلك الزهر[3]

وكان ابن يونس المنجم المصرى قد اختص فى علم النجوم، وتصرف فى سائر العلوم، وبرع فى الشعر، ومن شعره الحسْن، قوله:

أُحمّل نشرَ الريح عند هبوبه   رسالة مشتاق لوجه حبيبه

بنفسىَ من تحيا النفوس بقُربهَ   ومن طابت الدنيا به وبطيبه[4]

وبعث الشاعر سيف الدين المشد (قزل) تحيته إلى ممدوحه شذية العرف، طيبة الأرج إجابة على ورد الريح المطيبة بريا الممدوح، قال:

وكم ليلة هبّت من الغور نفحة   برياكم طيباً، فقُلت لها: هُبّى

عليكم سلام الله منى تحية   شذا عرفهُا كالمسك والمندل الرطب[5]

وقال الصلاح الصفدى مثل ذلك:

يا طيب نشر هبّ لى من أرضكم   فأثار كامن لوعتى وتهتُكى

---

(١) نزهة الأبصار، ص ١٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧١.

(٤) ابن خلكان – وفيات الأعيان. جـ٣ ص ٤٣٠

(٥) الكتبى – فوات الوفيات. جـ٣ ص ٥٢

أَهَــدى تحيــتكم، وأشــبه لطفكــم   وروى شــذاكم، إن ذا ريــح ذكــى[1]

وكـتب السـيد الناصـر بن محمد بن اسحق المهدى إلى الإمام الفقيه الشوكانى يحييه، قال:

تحــيةُ ودٍ مــا لغــوالى وعَــرْفُها   بأعطـر مـنها، وهـى فـوّاحة العطـر

تــأرج أرجــاء، هــى الطــيبُ إنمــا   أتــت بمــراعاة الـنظير فـى النشـر[2]

(١) تزيين الأشواق، جـ ٢ ص ٤١٤.

(٢) الإمام الشوكانى، البدر الطالع فى محاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة – بيروت جـ ٢ ص ٣١٥.

♠ ثانياً : الطيب في شعر الهجاء.

الهجاء هو تعداد المثالب والعيوب، ونفى المكارم والمحاسن، وذكر أضداد الفضائل والخلال، فالهدف منه هو الحط من قدر المهجو، ورسم صورة ساخرة له، تضحك الناس عليه، والسبيل هو تضخيم العيوب، وتوسيع النقص، ولما كانت العرب تتمادح بحسن الهيئة، وطيب الرائحة، فكان من المنطقى أن تعد نتن رائحة الجسم، وبخر الفم من عناصر الهجاء التى تذم فى الإنسان، وقد تستغرب فكرة استخدام الطيب فى شعر الهجاء، ولكن عند النظرة المتفحصة، نجد أن تستخدم ألفاظ العطر والطيب فى عين موضعها بمعنى معكوس، فإنه بأضدادها تعرف الأشياء، فيصور النتن كصفة منفرة كريهة، ويبالغ فى تصوير نتن ريح المهجو، تغلب على ريح العطر والطيب وتفسده، مما يكون أنكى وأوجع، ولم يجد ابن المعتز أنتن من رائحة الهدهد — الذى يعيش على الجيف كى يصف ريح الفم، وخبث الريق، لعجوز شمطاء، فقال:

خبيثةُ ريح الريق تحسبُ هُدهدا يبيض بفيها ثاوياً ويُعشّشِ[1]

كما شبة أنفاس المهجو، كأنها رياح خبيثة، نقلت أخبث الروائح:

وكأن الأنفاس منه رياح حملت ريحَ جيفةٍ يوم طل

روى أن الشاعر مروان بن أبى حفصة أجيز من الخليفة المهدى بثلاثين ألفاً، فطلب منه الشاعر الكوفى الهجّاء صاحب النوادر، أن يعطيه منها فرفض، فأقذع فيه القول:

لحيةُ مروانَ تقي عنبرا خالط مسكاً خالصاً أذفرا

فما يُقيمانِ بهاَ ساعةً حتى يعودان جميعاً خرا[2]

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن الطوبى من شعراء المغرب، فى شخص أبخر يدعى معمرا:

مالى أرى صاحبناً مَعْمرا قد عَدِمَ المنظر والمخْبرا

تُفْسد ريحَ المسكِ أنفاسُهُ وتُبْطل الكافور والعنبرا

---

(١) ديوان ابن المعتز، تحقيق دكتور محمد بديع شريف، طبعة دار المعارف بمصر، جـ٢ ص ٤٥٠.

(٢) الاغانى، طبعة دار التحرير، جـ٣ ص ١١٠٨.

وكـــل مـــن حدّثـــه ســـاعة يَشُـــم أيامـــاً نســـيم الخـــرا[1]

وهـذه زوجـة تذم صفة البخر فى زوجها، وترحب بالموت فرارا من رائحه فيه، وريح جيفة الخنزير بالنسبة له هى ريح المسك والغالية!!

لـو أن المـنايا أعرضـت لاقـتحمهاُ مخافـة فـيه، إن فـيه لداهـية

فما جـيفةُ الخنزيـر عند " ابن مُغِرب قـتادة" إلا ريـح مسـكٍ وغالـية[2]

وينسب الوطواط إلى الإمام جعفر الصادق، أبياتا تعبر عن حكمة آل بيت النبى (ﷺ) فى بعض السباب الطعَّان المتفحش، الذى لا يخرج من فيه إلا النتن من فحش القول

مـــن لم يكـــن عنطـــره طيـــباً لم يخـــرج الطـــيبُ مـــن فـــيه

كـــل امـــرئ يُشـــبهُه فعْلـــه ويرشـــح الكـــوز بمـــا فـــيه

أصـــل الفتـــى يخفـــى ولكـــنه مـــن فعلـــه يظهـــر خافـــيه[3]

وأقـذع الشـاعر صـفى الـدين الحلى، فى هجاء يحيى الأبخر، لدرجة أنه تصور القط ينفر مـن أكـل الفـأرة لـو عضها قبله يحيى، فقد نزلت من ثقب لم يعرف الحيوان أكره منه، أو أشد خبثا ونتنا وهو فم المهجو:

فـــم ليحيـــى ريحُـــه مـــنتن لم يُـــر يـــوماً مـــثله قَـــط

لـــو أنـــه عَـــضٌ علـــى فـــأرة لعـــافَ أن يأكلـــها القِـــطُّ[4]

وقال أيضا فى مليح أبخر، معرضا بروائح أفواه بعض الحيوانات:

لا تجـــزعنّ إذا ارتاعـــوا لـــرائحة بفّيكِ لـيسَ لهـا فـى الحسـن من أثر

للكلـــبِ والضـــبِّ أفـــواه معطـــرةُ والليثُ والصقرُ موصـوفات بالبخَـر[5]

---

(١) جريدة القصر، جـ ١ ص ٦٩.

(٢) الهجاء، سلسلة فنون الأدب العربى، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ص ٢٩.

(٣) غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، ص ٥٤.

(٤) ديوان صفى الدين الحلى، ص ٦٤٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٨٩.

ووصف شاعر شامى معاصر لحية أحد خصومه، بأنه يرى فيها منظرا زرياً، فيشم منها ريح روث البغال، رغم ما يضعه من مسك " ضائع":

لا يأخـــذُ المشـــطُ مـــنها فـــيها الفصـــوص الغـــوالى

كـــم شـــعرة فـــوق أخـــرى تـــبدو كـــروث الـــبغال

المســـكُ فـــيها مضـــاعَ بـــين الخـــنا والضـــلال[1]

---

(١) الهجاء، ص ٣٩.

♠ ثالثاً : الطيب في شعر الرثاء.

الرثاء هو تعداد لمناقب المتوفى ومحامده، ومدح وإشادة بما كان من فضائله النفيسة الكريمة، وخلاله الحميدة، من كرم وشجاعة وعفة، وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أن يدل على أن الممدوح ميت، وكما كان الممدوح يطيب المجالس بحضوره، ويعطرها بأنسه و كان يفوح كرمه وخلقه بين الناس، بالخير والجود والسخاء، فإن الشاعر يفتقد كل تلك الخصال الطيبة، فلا يمكن أن ينسى أياديه الطيبة بالعطاء، ونواله المعطر بالخير، والشاعر يشيد بالمتوفى وانه قد طيب الموضع الذى دفن فيه، ويصور ريح تراب القبر كأنه ريح المسك، ومما يميز قبره عن القبور، وقد ذكر ابن رشيق القيروانى، إن أرثى بيت هو قول مسلم بن الوليد:

أرادوا ليخْفوا قبره عن عَدوِّه   فطيبُ تراب القبر دلّ على القبر[1]

وتذكر أبيات الشاعر محمد بن عبد الرحمن العطوى، فى الشاعر البليغ أحمد بن داود قاضى قضاة المعتصم، يصور كريم خصاله من الكرم والشجاعة، قال:

وليس صريرُ النعش ما تسمعونه   ولكنه أصلاب قوم تُقَصّف

وليس نسيم المسكِ ريا حنوطه   ولكنه ذاك الثناء المُخَلَّفُ[2]

وقال فيه أيضا:

أحنّطْتَه يا نصر بالكافور   ورفَعْتَهَ للمنزل المهجور

هلاّ ببعض خصاله حَنّطتَهَ   فَيضُوع أفق منازل وقُبورِ[3]

ومثلما كانت مدائح أبى الطيب المتنبى رصينة قوية، كانت مراثيه أيضاً، قال مشيدا ببنى تميم قوم على بن محمد بن سيار بن مكرم، فقد صورهم أكسبوا الرياض طيب الريح بعد دفنهم إلى جوارها، قال:

وما ريحُ الرياضِ لها ولكن   كَسَاها دَفْنُهم فى التربِ طيباً[4]

---

(١) العمدة، جـ ٢ ص ١٥٠، ديوان مسلم ص ٣٢٠، الاغانى جـ ٢١ ص ٧٢٦٧.

(٢) الأغانى، جـ ٢٧ ص ٩٢٧٢.

(٣) المصدر السابق، جـ ٢٧ ص ٩٢٧٠.

(٤) شرح ديوان المتنبى، جـ ٢ ص ٢٧١.

وقال الشريف الرضى فى رثاء صديقه النحوى أبى عثمان بن جنى، إنه كفاه أن يكفن فى بُرد عفافه، وأن يطيب بعرف خلاله، بدلا من ثوب الكفن، وطيب الحنوط:

مضَى طيّبَ الأردان يأرجُ ذِكْره   أريجُ الصَّبا تَنْدى لعرنين ناشق
أمدوه من طيب لغير كرامةٍ   وضمّوه فى ثوب جديد البنائق
وما احتاج بُردا غير بُرد عفافه   ولا عَرْف طيب غير تلك الخلائق[1]

ومثل ذلك قال الشاعر البهاء زهير فى رثاء صديقه فتح الدين عثمان والى الاسكندرية، أنه لم يك بحاجة إلى تطييبة بعد غسله، فقد طاب حيا وميتا:

عليكٍ سلامُ الله يا قبرَ عثمان   وحيّاك عنِّى كل روح وريحانِ
فيا ثاوياً طيب الله ذِكْره   فأضحى، وطيبُ الذكر عمر ثانِ
هنيئاً قد طاب حيا وميتا   فما كان محتاجاً لتطييب أكفانِ[2]

أما الشاعر الشيخ يحيى الصرصرى، فقال يرثى صديقه الفقية الشافعى أبا صالح الجيلى:

أبَا صالح ما العيشُ بعدك صالحُ   نَزَحْت، فقيكَ الحزنُ للدمع نازحُ
فالله قبر ضم فضلك إنه   لقبر بعيدَ قطره متفَاسِحُ
به الروح والريحان والنور عاكف   وفوق ثراه فأرة المسك فائح[3]

وكتب على قبر فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر، وكان من أعيان غرناطة وكبرائها:

فيا أيها القبرُ الذى هو روضة   تفوح شذىً أذكى من المسكِ والنِدِ[4]

---

(١) ديوان الشريف الرضى، دار صعب بيروت، فى مجلدين. جـ ٢ ص ٦٦.

(٢) ديوان البهاء زهير، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الحبلاوى، دار المعارف الطبعة الثانية، ص ٢٦٧

(٣) فوات الوفيات، جـ ٤ ص ١٩٣.

(٤) الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ ٤ ص ٢٦٤.

وفى مناسبة تأبين المغفور له عمر لطفى بك، وكان عالماً قانونيا ضليعاً، قال أحمد بك شوقى أمير شعراء العصر الحديث:

بـــالأمسِ أرســـلتُ الـــرثاء مُمَسَّـــكا   والـــيومَ أهـــتفُ بالثـــناءِ معنـــبرا[1]

ومـن قصـيدته عـن حادث حريق ميت غمر عام ١٩٠٥، صوَّر رائحة الحزن! إن جاز التعـبير فـرغم أن الـناس كانـوا يشـمون رائحة الجثث المحترقة منتنة، إلا أن الثاكلات الحزانى كانوا يشمونها طيبة باعتبارهم شهداء زفوا إلى جنة الخلد:

وتُشَـــم رائحـــةُ الـــرُّفاتِ كـــريهة   وتَشُـــمُ مـــنها الـــثاكلات العنـــبرا[2]

---

(٥) ديوان الشوقيات، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٧٠، أربعة أجزاء فى مجلد جـ ٣ ص ٨٧.

(٦) المرجع السابق، جـ ٤ ص ٤٦.

♠ رابعاً: الطيب في شعر الغزل والنسيب.

الغـزل والنسـيب والتشـبيب بمعنـى واحـد، وهو لون من ألوان الشعر موضوعه علاقة الـرجل بالمـرأة من حيث الحب وأخبار القلب، ويقسم الغزل قسمين: أولهما غزل حسن مـاجن، يـندى له الجبين وقد شاع وذاع وملأ الاسماع فى أشعار بشار بن برد الحسن بن هانـئ (أبـو نـواس)، وقـد وصفوا الأعضـاء وأوجـدوا مـا يشبههـا، الرأس والشعر والنحر والعـين والفـم والشـفاه والأسـنان وغيرهـا وكـأن الشـاعر يـنحت تمـثالا للمـرأة بالألفـاظ والكلمـات، ثـم أقـبل يصـفها عاريـة ويـرسمها تـتمايل معه، ثم شنعوا الوصف، وبشعوا الصورة، بالتغزل فى المذكر بما يأباه الطبع السليم ويمجه.

واللـون الثانـى غـزل عـذرى عفيف وصف المشاعر فقط، وتأججت فيه العواطف قوية وصـادقة، فسـال الدمـع حينا، وعلا البكاء حينا آخر فى أشعار من وصفوا بالعذريين — وكانت قبيلة تتسم بالرقة — مثل جميل بثينة، وقيس ليلى، وكثير عزة.

وقـد سـئل امـرؤ القـيس — وكـان مفـتونا بالنساء — ما السرور؟ فقال: بيضاء رعبوبة بالطيب مشبوبة باللحم مكروبة[1] ووصف أعرابى، امرأة، فقال: لها جلد من لؤلؤ رطب، مـع رائحـة المسـك الأذفـر، فى كل عصومها شمس طالعة[2]، ولما كان ذلك رأى الرجل، فـإن المرأة تهدف أن تكون مرغوبة دائما لديه، فهى تهتم أبداً بتطييب جسدها، وتعطير جلـدها، وتفلـل شـعرها، ونسـوك أسـنانها، وتمسـك فاهـا، حتـى يفوح أرجهـا، ويعبق شـذاها، وتضـوع أنفاسها ويعذب فاها، وتكون أهلا للحب، وهدفاً للرجل. ليسكن إليهـا بالمودة والرحمة.

وفـى البداية نبدى ملاحظة لأن الشعراء قد استخدموا عناصر العطر بكثرة فى غرضين مـن أغـراض الشـعر: المـدح والغـزل عـن باقى الأغراض من رثاء وهجاء وفخر وغير ذلك والسـبب فـى رأيى هو سهولة توظيف " جسم " الكلام وهو اللفظ، وحسن استخدامه فى عـرض المـدح والغـزل — ولا فـرق بينهما فالغزل مدح للمرأة — وذلك للوصول إلى " روح" الكلام وهو المعنى

---

(١) نهاية الأرب، جـ ٢ ص ١٤، صحيح الأعشى، جـ٢ص ٩ رعبوبة: بيضاء ناعمة، مكروبة: مشدودة.

(٢) الجاحظ، المحاسن والاضداد، تحقيق فوزى عطوى، طبعة الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩، ص ١٢٤.

ونقسم موضوع الطيب فى شعر الغزل والنسيب إلى العناصر الآتية:

(أ) دوام ريح المحبوب طيبا، وتفوقها على الطيب

يستحسن الإنسان فى المرأة صفات منها: طيب رائحتها عامة، مع طيب ريقها وطيب نفسها، وطيب خلوتها، ولذلك تعنى المرأة دائما بأمر طيبها وعطرها وزينتها، وقد استعرضنا ذلك على مدى حضارات العالم فى الفصل الأول من هذا البحث، غرض المرأة ان تكون دائما مطيبة "معروفة"، والمحب يجد فى حبيبته فى كل الأحيان ريحا طيبة، وأرجاً عطرا، سواء تعطرت ام لم تتعطر، لقد تفنن شعراء الغزل فى تصوير هذه الحقيقة، وأجادوا، ولم يكن لتفوتهم دون التغنى بها بالغزل الرقيق ومدح المحبوب، ومس شغاف قلبه، وصولا إلى حبه وقد سئل أعرابى: أية رائحة أطيب؟ قال: رائحة بدن تحبه، وولد تُربّه، ومن ذلك قول ابن الرومى: ريحه ريح طيب الأولاد[1]. وقال الشاعر الغزلى امرؤ القيس

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تُطيب[2]

وقال شاعر آخر:

أتاها بعطر أهلها فتضاحكت وقالت: وهل يحتاج عطر إلى عطر؟

ومثله قول بشار بن برد

وزائرة ما مسّها الطيبُ برهةً من الدهرِ، ولكن طيبَها الدهرُ فائح

ووصف المرقش ريح المرأة بعامة، وشبهه بالمسك، وكذلك ما يظهر من النساء الوجه مشرق مثل الدنانير، وأطراف الأصابع مثل العنيم الأحمر الرقيق

النشر مسك، والوجوه دنانير، واطراف الأكف عنم[3]

وفى المعلقة اللامية المشهورة، وصف الأعشى محبوبته هريرة، بإن المسك يضوع منها إذا قامت، وطيب الريح يشمل اردانها، حتى ان ريحها يفوق ريح الروضة المعطرة

---

(١) ديوان المعانى، أبو هلال العسكرى، مكتبة القدس، اربعة أجزاء فى مجلدين جـ ١ ص ٢٦٠.

(٢) ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة س ٤١.

(٣) اختيار الممتع، جـ ١ ص ١٨٨.

إذا تقــوم تضــوع المســكُ أصــورة   والــزنبقُ الــوردُ فــى اردانهــا شمِــلُ

مـا روضـة مـن ريـاضِ الحـزنِ مُعْشبة   خضـراء جـاد علـيها مُسْـبل هطِـلُ

يــوما بأطــيب مــنها نشــر رائحــةٍ   ولا بأحســن مــنها إذ دنــاَ الأُصــلُ[1]

ومثل ذلك قول كثير عزة:

فمــا روضــة بالحــزن طيــبة الثــرى   يمــج الــندى جــثجاثها وعــرارها

لهــا أرج بعـــد الهـــدوء، كأنمـــا   تلاقـــت بـــه عطـــارة وتجارهـــا

بأطـيب مـن فـيها إذا جـئتُ طارقـا   وقـد أوقـدت بالمـندل الـرطب نارها[2]

ويـرى سحيم عبد بنى الحسحاس، أن رائحة برده ظلت طيبة لمدة عام حتى بلى من مجرد أنه لمس ثوب محبوبته

فمــا زال بُــردى طيــباً مــن ثــيابها   إلى الحـولِ حتـى أنهـج الـبرد باليا[3]

أمـا بشـار الشـاعر الضـرير، الـذى رأى الحسـن ببصـيرته، فتغـزل، وشـبه محبوبته بالروضة المتفتحة الأزهار، الفواحة بالعطر، تجمع بين الحسن والطيب، قال:

كأنهـــــا روضـــــــة مـــــــنورة   تجمـــع طيـــباً، ومنظـــراً حســـناً[4]

ثم يشبهها بالحورية التى أقبلت من الجنة، بطلعة الشمس وريح المسك

حـوراء جـاءت مـن الفـردوس مُقـبلة   فالشـمس طلعـتها والمسـك رياهـا[5]

وقـال ابـن الاعرابـى إن الجمـيلة تمـس القلـيل من الطيب فيكثر على جلدها الصافى الرقيق

خـــودٌ يكـــون بهـــا القلـــيل تمَسُّـــه   مـــن طيـــبها عَـــبقاً يطـــيبُ ويكثـــرُ

---

(١) الحزن: الأرض الغليظة، الزنبق: أردان: جمع ردن وهو أصل الكم، سبل هطل: ، ديوانْ الأعشى ص ١٣١

(٢) الجثجاث: نبات سهلى ربيعى، العرار: بهار أصفر طيب الريح، الموهن من الليل: بعد منتصفه، لسان العرب جـ ١ ص ٥٤٤.

(٣) ديوان سحيم: المحاسن والأضداد، ص١٧٠، ديوان المعانى، جــ١ ص٢٦٠، نهاية الأرب، جــ٢، ص ٦٣.

(٤) ديوان بشار بن برد ص ٢٢٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٤٥.

شكر الكرامة جلدُها فصفا لها إن القبيحة جلدها لا يَشكُرُ[1]

ويذكر أبو هلال العسكرى إن الشاعر ابن الرومى، قد أخذ هذين البيتين، ونسج عليها من شعره:

ألوفُ عطرٍ، تذكى وهى ذاكية إذا أساءت جوار العطر ابدان

يُقيم كل نهار من مَجامرها ويُشمس الليل منها وهو ضحيان

كأنها وعثان الندّ يشملُها شمسُ عليها صبابات وإدجان

نمامةُ المسِك تلقى وهى نائية فنأيها بنميم المسكِ لُقيان[2]

وتغزّل الشريف الرضى، فى عفة أهل البيت، فالمحبوبة رقيقة طيبة الريح، طلعتها كالشمس

ومُعتادة للطيب ليست تغبُّة منعمةُ الأطراف تُدمى من اللمس

إذا ما دُخانُ الندّ من ثوبها عَلا على وجهها، أبصرت غيما على شمس[3]

كما يتغزل الشاعر المدنى السرى بن عبد الرحمن الانصارى، فى زينب الجميلة التى يشفى المريض من ريحها الطيب: قال:

مازال فينا سقيمُ يُستطب به من ريح زينبَ فيناً ليلةَ الأحد

حُزْتِ الجمال، ونشراً طيبا أرجاً فما تُسَمّين إلا مسكة البلد[4]

وقال ابن سكرة الهاشمى فى وصف وجه محبوبته أبياتا حسنة التقسيم:

فى وجه إنسانة كلفت بها أربعة: ما اجتمعن فى أحَد

---

(١) خود: فتاة حسنة الخلق.

عيون الأخبار، جـ ٣ ص ٣٠٥، وينسب أبو العسكرى الأبيات ليزيد بن الطثرية من ديوان المعانى، جـ ١ ص ٢٥٩.

(٢) ألوف: معتادة من الإلف والعادة، ضحيان:/ الضحيان من كل شئ، البارز للشمس، عثان: دخلن، إدجان: غيم واظلام، اللسان جـ ٣ ص ١٣٣١، ديوان المعانى، جـ ١ ص ٢٥٩، ديوان ابن الرومى ص ٢٢.

(٣) ديوان الشريف الرضى، جـ ص ٥٦٥، غب: بالغ وأسرف، اللسان، جـ ٥ ص ٣٢٠٤.

(٤) الأغانى، جـ ٢٢ ص ٧٨٧٣.

الخـــد ورد، والصُّــدغُ غالـــية والـريق خمـرُ، والثغـر مـن بَـرَد[1]

وفى طريق الاهتمام بالصنعة اللفظية، قال شاعر، بيتا غزليا تضمن كلَّ حرف الهجاء

صرف خلو خودك كمثل الشمس أدبر يحظى الضجيع بهـا بخلاء معطار[2]

وكـان شعيب بـن مـيمون المـرى المغربى، شاعراً غزليا، ولد بالحجاز ونشأ بالقاهرة، قال:

هـــزُّوا الغُصـــونَ معاطفـــا وقُـــدودا وجلَـــوْا مـــن الـــوردِ الجنِّـــى خُـــدودا

وغـــدا الجمـــالُ بأســـره فـــى أُسَـــرهم فـــتقاسموا طارفـــاً وتلـــيدا

وتَحمّلـت ريـح الصـبا مـن عَـرْفهم مسـكاً يضُـوع بـه النسـيم وعـودا[3]

وقـد وصـف شـاعر محبوبـته، بكـل صـفة مستحسنة فى كل قبيلة، وفى تقسيم جيد قال:

خُـــزاعية الأطـــراف، مُـــرية الحشـــا فـــزارية العيَـــنين، طائـــية الفـــمِ

مَكـــية فـــى الطـــيب والعطـــر دائمـــا تـــبدّت لـــنا بـــين الحطـــيم وزمـــزمِ[4]

شـعر المرأة هـو تاجهـا النفيس علـى الرأس، فهى تحافظ عليه تطيبه بأثمن أصناف الطـيب، والعطـر والأدهان، وتغلله بالغالية بعد غسله وتنظيفه وتمشيطه، والعرب تحب فى المرأة، الشعر الكثيف الوافر أى الطويل والأسود الجعد،

قال سويد بن أبى كاهل:

وقـــروناً ســـابغاً أطـــرافها غللـــتها ريـــح مســـك ذى فَـــنَع[5]

أما علقمة ذو جدن الحميرى، فعبر عن طيب ريح شعر المحبوبة، وسطوع شذا المسك فى مفارق شعرها، بأن المزكوم — وقد أعيق مؤقتا عن الشم — يميز هذه الرائحة

---

(١) يتيمة الدهر، جـ ٣ ص ٧.

(٢) نزهة الأبصار، ص ٥٤٧.

(٣) فوات الوفيات، ج، ٢ ص ١٠٥.

(٤) ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت ص ٢٣٩.

(٥) القرون: زوائب أو جدائل الشعر، سابغا: طويلا، الفنع: شدة ذكاء يح المسك، المفضليات، ص ١٩٠.

كــان فــأرة مســكٍ فــى مفَارِقِهــا   للباســطِ المتعاطــى وهــوْ مَــزْكوم[1]

وقال أبو العلاء المعرى إن ذوائب الحبيبة تضوع مسكاً عند التمشيط

إذا مشّـــطتْها فَيْـــنةً بعـــد فيـــنةٍ   تضــوع مســكا مــن ذوائــبها المشُــطُ

ويُـرفع إعصـار مـن الطـيب لا يُـرى   علـيه انتصـار كلمـا سُـحب المِـرْطُ[2]

ويتغـزل الشاعر الأندلسى الأسعد بن بليطة فى الحبيبة، بأن غدائر شعرها قد مسكت وطيب المشط

غَـدتْ تـنقع المسواكَ فـى بَـردْ ثغرها   وقـد ضُـمِّخت مسكا غدائرها المُشطا[3]

تفوق ريح الحبيب على الطيب

المحـب الحقيقـى يشم ريح الحبيب، دائماً متفوقاً على كل طيب، بل إنه يزيد ريح الطـيب طيـباً، فيطـيب الـروض، ويعطر الأرض، وأكثر الشعراء فى وصف طيب المواضع التـى وطـنها الحبيب، وقد تكرر معنى أن ريح الطيب يزداد طيبة عند ملامسة الحبيبة، وبالغ المحبون فى نعت أثر نعل الحبيب، فى إكساب ما وطئ من تراب رائحة الطيب.

يقول النابغة الذبيانى:

والطـيبُ يـزداد طيـبا أن يكـونَ بهــا   فـى جـيد واضـحة الخـدين معطـار[4]

---

(١) وبمناســبة شــم المزكوك لطيب الحبيبة، يرمز عمر بن الفارض لأثر التجليات الإلهية فى ديوانه ص ١٨١ بقوله:

لــو عَـبقت فــى الشــرق أنفــاسُ طيــبها   وفــى الغــربِ مــزكوم لعَــادَ لــه الشــم

وقد ذكر داود الانطاكى، أن ابن الفارض قد جعل الشام المزكوم – المحروم مؤقتا من الشم – فى ناحية الغرب الـذى يكثر الهواء منه لا إليه، وجعلت المحبوبة فى الشرق (جهة الشمس) حيث تفنى الرائحة إذا عبقت، من أثر حــرارة الشــمس التــى تحلــل ما يحمله الهواء من تصعيد البخار، ولذلك قال داود فى تزيين الاسواق جــ ٢ ص ٤٣٦

لــو اشــتاقها فـــى الغــرب فاقــد شــمّه   وكانــت بأقصـــى الشــرق شــمّ نســيمُها

(٢) سقط الزند، شرح دكتور ن. رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، ص ١٨٢.

(٣) وفيات الاعيان، جــ ٥ ص ٤٣.

(٤) ديوان النابغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص ٢٠٢.

ومثله قول الفرزدق:

والطيبُ يزداد طيبا أن يكونَ بها   وإن تَدَعْه، تَدَعْه غير متفال[1]

وكذلك قول أبو عبد الله الحسين بن أحمد بطويه النحوى، بأن حسن وجه المحبوبة، يزين الدُّر، ورقة جلدها تزيد الطيب طيبا:

وإذا الدُّر زان حُسنُ وجوهٍ   كان للدرِّ حسنُ وجهك زَيْنا

وتزيدين أطيب الطيب طيبًا   أن تمسِّيه، أين مثلك أيْنا؟[2]

أما قيس بن الملوح، فقد قال: إن السيل — بمائه المالح — قد جرى قريبا من وادى حبيبته ليلى، قد طاب من طيبهم:

يكونُ أجاجاً دونكم، فإذا انتهى   إليكم، تلقى طيبَكم فيطيبُ[3]

وقال أيضا: إن ليلى تُطيِّب كل أرض داست عليها، بل ويزداد طيبها على مر السنين

أرى كل أرض دُست فيها، وإن   لها حجج، يزداد طيبا ترابها[4]

أما العباس بن الأحنف فقد قال:

وأنت لو تَطَئين التراب   لزدتِ التراب على الطيب طيبا[5]

وأكثر من ذلك، أنه تصور المحبوبة عطراً للعطر!

ماذا على أهلكِ ألا يروْا   عطراً، وأنتِ العطرُ للعطِر[6]

---

(١) ديوان الفرزدق، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٨٣ - ص ١٨٩.

(٢) معجم الأدباء، جـ ٩ ص ٢٠٠، نهاية الأرب جـ ٢ ص ٣٤.

(٣) ديوان مجنون ليلى، تحقيق الستار فراج، مكتبة مصر، ص ٤٤، ديوان المعانى جـ ١ ص ٢٦١، وبدون نسبة فى نهاية الأرب جـ ٢ ص ٦٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٤.

(٥) ديوان العباس بن الأحنف، دار بيروت للطبع والنشر، ١٩٨٢، ص٢٥.

(٦) المصدر السابق ص ١٤٣

ثم يسرف العباس بن الأحنف في المبالغة، بقوله إن محبوبته ظلوم سوف تُطيِّب البقاع المقدسة عندما تنزلها، وفي هذا شطط وتجاوز يرفضه الحس الديني

بشّر منّي ظلوم أن تحُل بها ... وبشّر البيت، والأركان والحَرما

لينزلن بها طيبُ تطيبُ به ... تلك البقاع، ونور يكشفُ الظّلما[1]

وقريب من ذلك قال أبو العباس ثعلب، إنه رأى في البقاع المقدسة، وجها جميلا، وكفا ممسكاً تطيب أنامله كل ما يلمس حتى حصيات الجمرات:

فيا حصياتٍ كُن في لمس كفِّها ... رُزقْتُن ريّا من نشا المسك أطيبا[2]

ودعي الشاعر محمد بن يسير الرياشي إلى وليمة عند قثم بن جعفر بن سليمان، فقامت جاريته فغلفتهم وبخرتهم، فأنشد في ذلك:

يا باسطاً كفّه نحوى يُطيِّبُني ... كفّاك أطيب يا حُبِّي من الطيب

كفّاك يجرى مكان الطيب طيبهم ... فلا تزدني عليها عند تطييبي[3]

ووصفت خشف جارية خالد بن يحيى البرمكي نفسها، وكانت مشهورة بالحسن والجمال، انها غنية عن كل طيب، حتى إنها تطيب المسك! ولو استغنى الملاح عن الطيب مثلها لافتقر أغنى العطارين

عَجبتُ لمن يُطيِّبُني بطيب ... وبي يتطيب المسك الفتيت

ولو غَنِيَ الملاحُ بطيب ريح ... عن المسكِ الذكيِّ كما غَنيتُ

لأصبح كل عَطار غَنيٍّ ... فقيرا جائعاً ما يستبيتُ[4]

ولم يكتف الشريف أبو البركات على بن الحسن العلوى، بتشبيه الحبيبة بالروضة المعطرة، ولكنه أخبر أن ريح طيب المحبوبة، عند حضورها، قد أضفى على الروضة شذا المسك

---

(١) ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٨١.

(٢) أبو على القالى، ذيل الأمالى، ص ١٠٧.

(٣) الأغانى، جـ ١٤ ص ٤٩١٧.

(٤) نزهة الأبصار، ص ٣٧٢، ينسب صاحب العقد الفريد الأبيات إلى المؤمل – ٨ / ١٧١.

كـــأن ريـــح الـــروض لـــا أتـــت فـــتّتْ عليـــنا مســـك عطـــار[1]

. وفـى ولادة بـنت المستكفى، حبيبـته، قال ابن زيدون إن الورد قد تحلى من حلى الحبيبة، وإن المسك قد تعطر من ريحها

مـا الـوردُ فـى مجـناهُ سـامره الـندى مُتَحلّــياً، إلا بـــبعض حُـــلاَك

كـــلاّ ولا المســـكُ الـــنمومُ أريجُـــه مُتَعطِّـــراً، إلا بوســـم ثـــناك[2]

وقد صور ابن زيدون حبيبته، كأنها مخلوقة من مسك، وقد خلق الورى من طين

ربـــيبَ مُلـــكَ، كـــأن اللهَ أنشـــأهُ مسـكاً، وقـدَّر إنشاءَ الورى طينا[3]

ويقارن الشاعر ابن سناء الملك طيب ريح معشوقته، ! ! بطيب ريح عزة كثير بأن تراب معشـوقته يـأرج مسـكاً، بيـنما مسك عـزة كـتراب معشوقته فى طيبها، ويلاحظ الجناس الكامل عَّزة وعِزة

خـــذُ ياكثـــر عَـــزَّة لـــكِ عـــزَّة ودع الملـــيحة إننـــى أولى بهـــا

فـــترابُ قاتلـــت يَفـــوح كمســـكها طيـــبا، وعَـــزَّةُ مســـكها كترابهـــاِ[4]

ومثل ذلك قوله:

والمســـكُ يُنســـبُ للظـــباءِ، وهـــذه منهم، ولكـن مسـك هـذى تـربُها[5]

---

(1) يتيمة الدهر، جـ ٤ ص ٤٢٠، بدائع البداءة، ص ٣٠٢، نفح الطيب، جـ ٤ ص ٩٦.

(2) ديوان ابن زيدون ص ٤٣.

(3) ديوان ابن زيدون، ص ١٦٥.

(4) ديوان ابن سناء الملك، ص ٢٢.

(5) المصدر السابق، ص ٣٤.

ب- فم مطيَّب وريق عذب وحديث عطر

اعتادت النساء تنظيف أسنانهن وتبييضها، وفاقت المرأة العربية غيرها فى استخدام السواك، الذى يتخذ من عيدان بعض الأشجار ذات الرائحة الطيبة مثل، الأراك وقد عرفن من السنة النبوية الشريفة أن السواك مطيبة للفم، مرضاة للرب، وعندما يطيب فم الحبيب، يعذب ريقه، وتعطر أنفاسه، وقد درج العرب على تشبيه أنفاس الحبيب بكل عطر وطيب، حتى نجدهم يؤثرون انفاس الحبيب على نفائس الطيب، وطرق الشعراء هذه المعانى. قال طرفة بن العبد:

وإذا تضحك بتدى حَببًا كرضاب المسكِ بالماءِ الخَصِر[1]

وقال المرقش إن فم الحبيبة اطيب من ريح الخمر المعتقة، والمحببة إلى نفس الشاعر الجاهلى:

وما قهوة صَهْباء كالمسكِ ريُحها تُعَل على الناجود طوراً وتقدح

بأطيب من فيها، إذا جئتُ طارقا من الليل، بل فوها ألذ وأنصح[2]

أما عنترة العبسى، فقد صور أنفاس " عبلة" محبوبته

تبيتُ فتاتُ المسك تحت لثامها فيزداد من أنفاسها أرجُ الندّا[3]

وعمر بن أبى ربيعة سيد الغزليين، أثر فيه ريح المحبوبة حتى كاد يجن، وخاصة طيب فمها، وعذوبة ريقها، فقال:

فرجت المسكَ بحتا ليس يخلطه إلا سحيقُ من الكافور قد نُخلا

والزنجبيل مع التفاح تحسَبُه من طيبَ ريقتها قد خالط العسلا

يا طيب طعم ثناياها وريقتها إذا استقل عمود الصبح فاعتدلا

لو كان نُخبل طيب النّشر ذا بشر لكنتُ من طيب ريّاها الذى خُبلا[4]

---

(١) الحبب، ماجرى على الاسنان من الماء، اللسان جـ ٤ ص ٧٤٥، الحضر: وسط الأسنان، اللسان جـ ٥ ص ١١٧١، ديوان طرفة بن العبد، شرح مهدى محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ص ٤١.

(٢) تقل: تخلط تباعاً من العل وهو الشرب تباعاً، القهوة: هى الخمر لأن شاربها يقهى عن الطعام أى لا يشتهيه، القرش، جمهرة أشعار العرب، ص ٥٤٧.

(٣) ديوان عنترة.

(٤) ديوان عمر بن أبى ربيعة، ص ١٦١.

ثم بالغ الشاعر في وصف ريق محبوبته، حتى صوره من عذوبته يزيل ملوحة مياه البحر، عندما تتفل فيه:

فلو تَفَلت في البحرِ، والبحرُ مالحٌ لأصبحَ ماءُ البحرِ من ريقها عَذْبُ[1]

وقال بشار بن برد في امرأة كان يهواها اسمها (رحمة)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر إلا شهادة اطراف المساويك

يارحمة الله خليٌ في منازلنا حَسْبى برائحة الفردوس من فيك[2]

وقال:

وهَبْتِ له على السواك ريقاً فطاب له بطيب ثنيتيك[3]

أما يعقوب الكندى، فقد قال يصف محبوبته في أبيات حسنة التقسيم

وفي خمسة مني حلّت منك خمسة فَريقُكِ منها في فمي طيّب الرشفِ

ووجهك في عيني، ولَمْسك في يدى ونُطْقك في سمعي، وعَرْقك في أنفي[4]

ويشبه أبو بكر الخوارزمي أنفاس الحبيب بكل طيب، وعن شمه يأخذ بالقلوب

وطيبُ لايحُل لكل طيب يُحيينا بأنفاس الحبيب

متى يُشمِمْه أنف، جُن قلبه كأن الأنف جاسوس القلوب[5]

وقريب من ذلك ما قاله الشاعر سيف الدين المشد (قزل) عن أنفاس الحبيب

مسْكية الأنفاس تُمْلي الصَّبا عَنها حديثاً قط لم يُمْلل

جُننْت لما أن سرى عَرْفُها وما نرى من جُنَّ بالمندل[6]

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٩.

(٢) ديوان بشار بن برد، ص ١٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٤) نهاية الأرب، جـ ٢ ص ٣٣.

(٥) يتيمة الدهر، جـ ٤ ص ٢٢٩، ثمار القلوب ص ٦٦٤.

(٦) داوود الانطاكى، تزيين الأشواق في أخبار العشاق، دار مكتبة الهلال، بيروت جـ ٢ ص ٤٩٤، ١٩٨٤.

وقال شاعر:

ذكـــــرتُ ريــــقَ حبيبــــى بشُـــــــربِ راحٍ معطَّـــــــرِ
ولـــــــيسَ ذا بعجــــــيب فالشـــيُ بالشـــئِ يذكـــرِ[1]

أمـا عـز الـدين بـن أبـى الحديد، القاضى الشاعر، شارح نهج البلاغة للإمام على بن أبـى طالـب، فقد تصور المسواك يـتحدث عـن ريـق المحـبوبة، وقـد استخدم أسلوب الجناس، قال:

عـــن ريقهــا يـــتحدث المســـواكُ أرجـاً، فهـل شـجرُ الأراكِ، أراكَ؟[2]

حديث طيب وذكريات عطرة

فـى لقـاء الأحـباب والصـحاب، ومجـالس الـندماء والخـلان، يكـون حـديث الحب والغـرام، محبـباً إلى الـنفس، قـريباً مـن القلـب، لـه أثر السحر الحلال! فيضوع شذاه، ويطيب أرجه، وذكريات اللقاء مع الحب والأنس به، معطرة بطعم القبل، معبقة بأنفاس الطيب

قال الأخفش، أنشدنى أبو سعيد السكرى:

وذكّرنـــى حُلـــو الـــزمان وطيـــبه مجـــالس قـــوم يمـــلأون المجالســا
حديـثا، وأشـعارا، وفقهـا، وحكمـة وبـــراً، ومعـــروفاً، وإلفـا مؤانســا[3]

وكان أبو نصر الخباز المعروف بالنيرى من أهل واسط، ونظمه جيد رغم أميته

حبيبـــى مــــا يفارقـــك الـــرقيبُ ولا لى مـــنك يــا ســكنى نصــيبُ
ولا تخلـــو وأخلـــو معـــك يـــوما فأملـــى مـــن حديـــثك مـا يطـيبُ[4]

وعـن حـديث الأحـبّة الطيّب، قال الحفيد أبو بكر محمد بن زهر، وكان طبيباً بارعاً وشاعراً مكثرا

---

(١) المصدر السابق، جـ ٢ ص ٤٧٦.

(٢) فوات الوفيات، جـ ٢ ص ٢٦٢.

(٣) معجم الأدباء، جـ ١ ص٩٥.

(٤) فوات الوفيات، جـ٤ ص ١٧٢.

يــا مــن يذكّرنـــى حــديث احبتـــى طــاب الحـــديث بذكـــرهم ويطـــيبُ

إِعـد الحـديث علـىّ مـن جنـباته إن الحـديثَ عـن الحبـيب حبـيب[1]

ويقـول الحكيم رشيد الدين أبو حليقة، وكان أوحد زمانه فى صناعة الطب، مع تفنن فى الآداب:

أقــول لهــا عــند الــوداع وبينُــنا حــديث كنشــرِ المسـك خالطـه نـدٌّ

وفـى الـوردِ معنـى شـاهَد فـوق خدها نشــاهدُه فــيها إذا عَــدمِ الــوردُ[2]

ووصف شاعر طيب أحاديث المحبين بأنها تلهى عن الدر، وتغنى عن المسك

أحاديـث لـو صـيغت لألْهت بُحسنها عن الدِّر، أو شُمَّت لأغنت عن المسك[3]

وعبّـر شـاعر عن طيب ذكر الحبيب، وقد احسن استخدام شطر بيت بشار فى البيت الثانى

تبسّــم الثغــرُ عــن أوصْــافكم فغــدا مــن طـيب ذكــركم نشْــرا فأحــيانا

فمــن هــناك عشـــقناكم، ولم نــركم والأذن تعشــق قـبل العـين أحـيانا[4]

وشاية ريح الطيب على الحبيب

تفوح روائح الحب من المحبين وإن كتموه، وتظهر دلائله وإن أخفوه، وتدل عليه وإن ستروه مـثل الطيب ينم على مكانه من نافجته او قارورته، وقد بين الشعراء كيف يشى الطـيب علـى الحبـيب وينبـئ عطره وريحه بحضوره قبل المعاينة، ويحس به القلب عن طـريق الأنـف، وإذا كـان بشـار بـن بـرد قد قال: والأذن تعشق قبل العين أحياناً، فإننا نقـول: إن الأنف تعشق قبل الاثنين فى أحايين كثيرة، فعندما يسبق ريح الطيب حضور الحبيب، فإن الأنف تستحسن ذلك وسرعان ما يصل إلى القلب ويكون الحب، وقد سبق القول بأن الطيب غذاء الروح، والحب هو لقاء أرواح، قال شاعر:

---

(١) ابن أبى أصيبعة، عيون الأبناء فى طبقاء الأطباء، منشورات مكتبة دار الحياة لبنان، ص ٥٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٩٧.

(٣) عن الخصائص، ص ٦.

(٤) المستطرف، جـ ١ ص ١٨٤.

والعـينُ تعشَـقُ مـا تَهْـوى وتُبْصـره   كـذلك تعشـقُ فـيكَ الأنـفَ والأذن[1]

ويدعـو الشـاعر بن برد حبيبه للقاء فى ليلة مظلمة خشية الرقباء، ويحذره من سطوع طيبه لينم عليه، قال:

سـيّدى لا تـأتِ فـى قمـرٍ   لحـديثٍ وارقُـب الـدُّرعا

وتَـوَق الطـيبُ ليلتـنا   إنـه واشـى إذا سـطعا[2]

وأخبر البحترى أن ترحل الأحباب فى الظلام لم يخف، فقد أظهره تضوع ريح المسك منهم وحاولن كتمان الترحل فى الدجى

وحـاولن كـتمان الترحـل فـى الدجـى   فـنم فـيهن المسـك حـين تضـوعا[3]

وقال أيضا

وزارت علـى عجـلٍ فاكْتسـى   لـزَوْرتها " أبـرق الحـنّان" طيـبا

فكـانَ العـبيرُ بهـا واشـياً   وجـرْسُ الحُلِـى علـيها رَقيـبا[4]

وقال ابن سكرة الهاشمى

تسـتّرت بالدجـى عمداً فما استترت   ونـابَ إشـراقُها لـيلاً عـن القَـبسَ

ولـو طـواها الدجـى عـنا لأظهـرها   بـرقُ الثـنايا، وعْطـر النحر والنفس[5]

وما أرق تعبير الشريف الرضى عن وشاية الطيب

بتـنا ضـجيعين فـى ثـوبِ هوىً وتُقى   يلفـنا الشـوق مـن فـرع إلى قَـدم

يشـى بـنا الطـيبُ أحـيانا، وآونـة   يُضـيئُنا الـبرقُ مجـتازا علـى أضَـم[6]

---

(١) ابن أبى حجلة التلمسانى، ديوان الصبابة، تحقيق د. محمد سلام مدكور، منشأة المعارف بالاسكندرية ص ٨٢

(٢) الليالى الدرعا: ثلاث ليال تلى البيض، لا سوداد أوائلها، وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح، ديوان بشار بن برد، ص ١٥٦.

(٣) ديوان البحترى، جـ ٢، ص ١٦٣٢.

(٤) المصدر السابق، جـ ١ ص ١٤٩

(٥) يتيمة الدهر، جـ ٣ ص ٩.

(٦) ديوان الشريف الحلى، ص ٢٧٤، أضم: وادٍ بالمدينة المنورة.

قال السراج القارئ

كـــتمت خشُـــية الـــرقيبِ خُطاهـــا　فوشـــى الطـــيبُ بالملـــيحة نشـــرا[1]

وقال الطغرائى

فسِـر بـنا فـى زمـام اللـيل مهـتديا　بـنفحة الطـيب تهديـنا إلى الحُلَـل[2]

وقـال أبو الحسن على بن الطوبى، وكان فى زمان المعز بن باديس، ويلاحظ الجناس فى الأبيات، فى عرفها وعرفناها:

مـا أحسـبُ السـحرُ غـير معـناها　والعنـــبرُ الجـــونُ غـــير ريّاهـــا

إنـــا جهلـــنا ديارَهـــا فَـــبَدا　مـــن عَـــرْفها مـــا بـــه عـــرفناها[3]

وقال أبو الحسين على بن ثابت الحداد، فيمن سرت ليلا، فدل عليها عرفها وصوت خلخالها وقد جنّس

سَـرَتَ تـتهادى بَعـدما هَـومّ الـركبُ　وقـد قلّـد جيدُ الدُّجى الأنجم الشهب

فــنمّ علــى عِـرفانها طـيبُ عَـرْفِها　ووسْوسَ من وَسْواسِ خلخالها القلب[4]

وقال شاعر

دلائـل العشـقِ لا تخفـى علـى أحَـدٍ　كحامـلِ المسـكِ لا يخلـو مـن العبق[5]

وقال آخر

لـو كـان يـوجدُ ريـحُ مسـكٍ فـائحٍ　لـــوجدتّه مـــنهم علـــى أمْـــيال[6]

---

(١) السراج، مصارع العشاق، دار صادر بيروت، فى مجلدين ص ٦٤.

(٢) ديوان الطغرائى، ٥٤ ، الحلل: جمع حلة وهى مجلس القوم، اللسان، جـ ٢ ص ٩٧٣.

(٣) العمـــاد الاصـــفهانى، فـــريدة العصر وجريدة القصر، قسم شعراء مصر، الجزء الأول، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، جـ ١ ص ٧٤.

(٤) نزهة الأبصار، ص ٣٣٩.

(٥) فتحى سعيد، عشاق لكن شعراء، دار المعارف بمصر، سلسلة اقرأ، ص ١٢.

(٦) ديوان الصبابة، ص ١٧٩، تزيين الأشواق، جـ ٢ ص ٤٣٣.

(د) تطيب كتب الحب

عندما يعجز المحب عن التعبير عما يكنه القلب من الوجد والجوى، أو يشرح ما يعترى الفؤاد من تباريخ النوى، بسبب حصر اللسان أو ما يكون بين المحبين من حياء وخجل، أو ما يحسون من هيبة وجلال، يقوم كتاب الحب بما يعجز عنه اللسان، ويعبر أكثر فيه فى النطق والبيان، ويصفه الإمام ابن حزم بأنه "سفير بين المحبين، ولوصوله إلى المحبوب، ووقوعه بيده، لذة يجدها عجيبة تقوم مقام الرؤية، ولرده والنظر إليه سرور يعدل اللقاء، ولهذا ترى العاشق يضع الكتاب على عينيه وقلبه ويعانقه"[1].

وكتب الحب دائما معطرة مطيبة بأفضل ألوان العطر والطيب، أنيقة مهذبة مثل خاطر الحبيب، بالإضافة إلى ما تحوى من ألفاظ أرجة بالحب، ومعانى عبقة بالود ويتحدث الوشاء عن كتب الحب عند أهل الظرف: بأنها ملاح، وألفاظها صحاح، يستعطفون بها القلوب، كتبوها بالذهب والمسك، والزعفران، والسك، واتخذوا لها طرائف المناديل الرقاق، وجياد الزنانير الدقاق، وطيبوها بالمسك والزرائر، وعنونوها بمستظرفات الأمثال والنوادر، وختموها بالغالية المستمسكة"[2].

قال الشاعر عمر بن أبى ربيعة فى كتاب جاءه من حبيب:

أتانى كتابٌ لم يرَ الناسَ مثله   أمد بكافور ومسكٍ وعنبر

كتاب بسُكٍ حالكٍ وبُصفْرةٍ   ومسكٍ صهابيٍ يُعَل بمجمرِ[3]

وقال إبراهيم بن على بن الحصرى القيروانى عن كتاب الحبيب إنه قد ظهرت بالكتابة مثل الأنوار والأزهار، ونشرها مثل الكافور المسك:

نَقَشْتْ بحالكِ الأنفاسُ نُوراً   جلا لعيوننا نوراً وزَهْرَا

ففى عطر الجنوب لهُ نسيم   أقولُ إذا أُناسم منه نَشْرا

نَثَرتْ لنا على الكافورِ مسْكا   ولم تُنْثر على القرطاس حِبْرا[4]

---

(١) ابن حزم الأندلسى، طوق الحمامة فى الالفة و الألاف، تحقيق د. الطاهر احمد مكى، دار المعارف الطبعة الثالثة ص ٥٦، ١٩٨٠.

(٢) الوشاء؟، الظرف والظرفاء، ص ٢٩١.

(٣) ديوان عمر بن أبى ربيعة، طبعة دار القلم – لبنان، ص ١١٠.

(٤) نزهة الابصار ص ١٦٢.

وقال شاعر عن كتاب الحب

فكأن الكتابَ مسك فتيتُ ... ثم فيه على الحبيب دليل[1]

وقال القاضي العلامة حسن بن عبد الله، من فقهاء، القرن العاشر باليمن، رداً على خطاب صديق له

وافى كتاب من حبيب حاضرٌ ... فى وسط قلبى، غائبٍ عن ناظرى

وفضخت مسك ختامه عن روضة ... غنَّاء ذات خمائل وأزاهر

وجنيت من ألفاظه تسبُوا ريّاه ... طيب لأريج زهرِ ناضرِ[2]

أما الإمام محمد بن على البكرى الصديقى، من فقهاء اليمن أيضا، فقد كتب فى صدر مكاتبة لصديق

يا نسمة البانِ، بل يا نسمة الشِّيح ... إن رُحتِ يوماً إلى من عندهم رُوحى

خُذى لهم من ثنائى عنبراً عبقا ... وأوقديه بنار من تباريحى[3]

ورد ابن أبى أصيبعة على كتاب أتاه من صديقه مهذب الدين محمد بن أبى حليقة المولود بالقاهرة ٦٢٠هـ، وقد اتقن الصناعة الطبية، وعرف العلوم الحكيمة قال:

أتانى كتابُ وهو بالنقشِ مُونق ... وفيه المعانى وهى كالشمسِ تُشرق

إذ ذُكِرت أوصافه فى محافل ... فمن طيبها نشَر من المسك يعبق[4]

---

(١) الشم فى الشعر العربى، ٨٧.

(٢) نجم الدين الغزنى، الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الطبعة الثانية فى ثلاثة أجزاء جـ ٣ ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق، جـ ٣ ص ١٤٢.

(٤) ابن أبى أصيبعة، عيون الابناء فى طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار وحنا، منشورات دار مكتبة الحياة، ص ٥٩٨.

قائمة المصادر والمراجع

١- إبن الأثير – أبو السعادات مجد الدين – (ت ٦٠٦ هجرية)

– جامع الأصول فى أحاديث الرسول – تحقيق محمد الأرناؤوط – ١٩٦٦.

٢- إبن الأثير – عز الدين الجزرى (ت ٦٣٠ هـ)

– أسد الغبة فى معرفة الصحابة – تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور

٣- إبن أبى أصيبعة – موفق الدين أبو العباس أحمد ب القاسم (ت ٦٦٨هـ)

– عيون الأنباء فى طبقات الأطباء – تحقيق د. نزار رضا – دار مكتبة الحياة ١٩٦٥.

٤- إبن الجوزى – أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٨٧هـ)

٥- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز – دار الكتب العلمية – ١٩٨٤.

٦- إبن حجر العسقلانى – شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على – (ت ٨٥٢هـ)

– فتح البارى شرح صحيح البخارى – دار الريان – ١٩٨٦.

٧- إبن خاقان – أبو الفتح (ت ٥٣٥هـ) – قلائد العيان – مطبعة التقدم بمصر – ١٣٢٠ هجرية

٨- إبن خلكان – شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – تحقيق د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت.

٩- إبن سعد – محمد كاتب الواقدى (ت ٣٢٠هـ) – الطبقات الكبرى – دار التحرير – مصر ١٩٦٨.

١٠- إبن شبة – أبو زيد بن عمر النميرى (ت ٢٦٢هـ) – تاريخ المدينة المنورة – تحقيق شلتوت

١١- إبن الزبير – الذخائر والتحف – تحقيق محمد حميد الدين – الكويت.

١٢- إبن عبد ربه – أبو عمر احمد بن محمد القرطبى (ت ٣٢٨هـ)

العقد الفريد – تحقيق د. مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٣

١٣- إبن قتيبة – أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى (ت ٢٧٦هـ)

– عيون الأخبار – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣.

١٤- المعارف — تحقيق د. ثوت عطاشة — دار المعارف ١٩٦٩.
١٥- إبن قدامة — أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ) — المغنى — مكتبة الراض — ١٩٨٠.
١٦- إبن قيم الجوزية — شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ)
- زاد المعاد فى هدى خير العباد — راجعة وقدم له طه عبد الرؤوف طه — طبعة مصطفى الحلبى ١٩٧٠.
١٧- إبن كثير — أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) — تفسير القرآن العظيم — طبعة عيسى البابى الحلبى.
١٨- البداية والنهاية.
١٩- إبن منظور — أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) — لسان العرب — دار المعارف
٢٠- إبن هشام — أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) السيرة النبوية تحقيق السقا والأبيارى وشلبى — مكتبة مصطفى الحلبى ١٩٥٥.
٢١- الأصفهانى — أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ) — الأغانى — تحقيق إبراهيم الأبيارى — دار الشعب — مصر ١٩٦٩.
٢٢- الأزرقى (ت ٢٤٧هـ) — أخبار مكة — تحقيق رشدى الصالح — دار الأندلس — بيروت ١٩٨٣.
٢٣- البلاذرى — أبو جعفر أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)
أنساب الأشراف — تحقيق محمد حميد الدين — دار المعارف مع معهد المخطوطات
٢٤- الثعالبى — أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ)
- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب — تحقيق محمد أبو الفضل — دار المعارف.
٢٥- فقه اللغة وسر العربية — تحقيق السقا والأبيارى — مصطفى الحلبى ١٩٧٢.
٢٦- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر — تحقيق محمد محيى الدين ١٩٤٧.
٢٧- الجاحظ — أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)
- البيان والتبين — تحقيق عبد السلام هارون — مكتبة الخانجى
٢٨- التبصر بالتجارة — نشره حسن حسنى عبد الوهاب — دار الكتاب الجديد ١٩٦٦

٢٩- الدمشقى — الإشارة إلى محاسن التجارة
٣٠- الزركشى — محمد بن عبد الله (٧٩٤هـ)
- إعلام الساجد بأخبار المساجد — تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى — المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية — ط٢ — ١٩٨٢.
٣١- الغزالى — أبو حامد (ت ٥٠٢هـ) — إحياء علوم الدين — مكتبة دار الشعب.
٣٢- الغزولى — (ت ٨١٥هـ) — مطالع البدور فى منازل السرور — مطبعة إدارة الوطن ١٢٩٩ هجرية.
٣٣- القرطبى — إبن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) — الجامع لأحكام القرآن — دار الكاتب العربى — ١٩٦٨.
٣٤- المسعودى — (ت ٣٤٦هـ) — مروج الذهب ومعادن الجوهر — تحقيق محمد محيى الدين — دار المعرفة بيروت ١٩٨٢.
٣٥- المقرى — أحمد بن محمد التلمسانى (ت ١٠١١هـ)
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب — حققه الشيخ يوسف البقاعى — دار الفكر لبنان ١٩٨٦.
٣٦- المقريزى — تقى الدين أبو العباس.
- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا.
٣٧- المواعظ و الإعتبار فى ذكر الخطط والآثار.
٣٨- الميدانى — أبو الفضل محمد بن أحمد (ت ٥١٨هـ)
مجمع الأمثال — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — عيسى البابى الحلبى
٣٩- النووى — أبو زكريا محيى الدين (ت ٦٧٦هـ) — صحيح مسلم — تحقيق عبد الله زينة، دار الشعب.
٤٠- النويرى — نهاية الأرب فى فنون الأدب — وزارة الثقافة بمصر — تواثنا.
٤١- الوشاء — أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحق (ت ٣٢٤هـ) — الظرف والظرفاء.
٤٢- الوطواط — جمال الدين الكتبى الوراق (ت ٥١٨هـ)
غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائص الفضحة — دار صعب — بيروت

-W. A.Poucher, Perfumes, Cosmetics Soap, Chaoman Hall, London 8 th edition, 1976. v 11.*

- *James Mitchell * Jes Stien, The Random Encyclopedia, 1977*
- *Harold Macmillan, The Macmillan Encyclopedia 1981*
- *Microsoft Corporation, Encarta Encyclopedia.*

المُحتَوَياتُ

محتويات الكتاب

تابع محتويات الكتاب

هذا الكتاب

يصعب وضع تعريف للرائحة.، ومازال موضع التمييز بين الروائح المختلفة أمرا يكتنفه الغموض ويتغير تبعا للحالة النفسية للإنسان فالجائع يميز رائحة الطعام ويلذه بينما الشبعان لا تؤثر فيه وتعتبر حاسة الشم مفتاح الحواس الخمس و أهمها على الإطلاق فبينما يمكن غض البصر أو إغلاق العينين و الأذنين بلا أية مشاكل فإن الإنسان لا يملك سد أنفه للحظات والا انقطع نفسه.

ويحتوى هذا الكتاب على أبواب فريدة هى:

الباب الأول : دواعى التطيب.

الباب الثانى: تصنيع الطيب وتجارته.

الباب الثالث: الطيب فى الأدب والشعر.

وآمل أن يجد القارىء فى هذا الكتاب فائدة ومتعة وإضافة لما يعرفه.

الناشر




ISBN 977-339-151-5